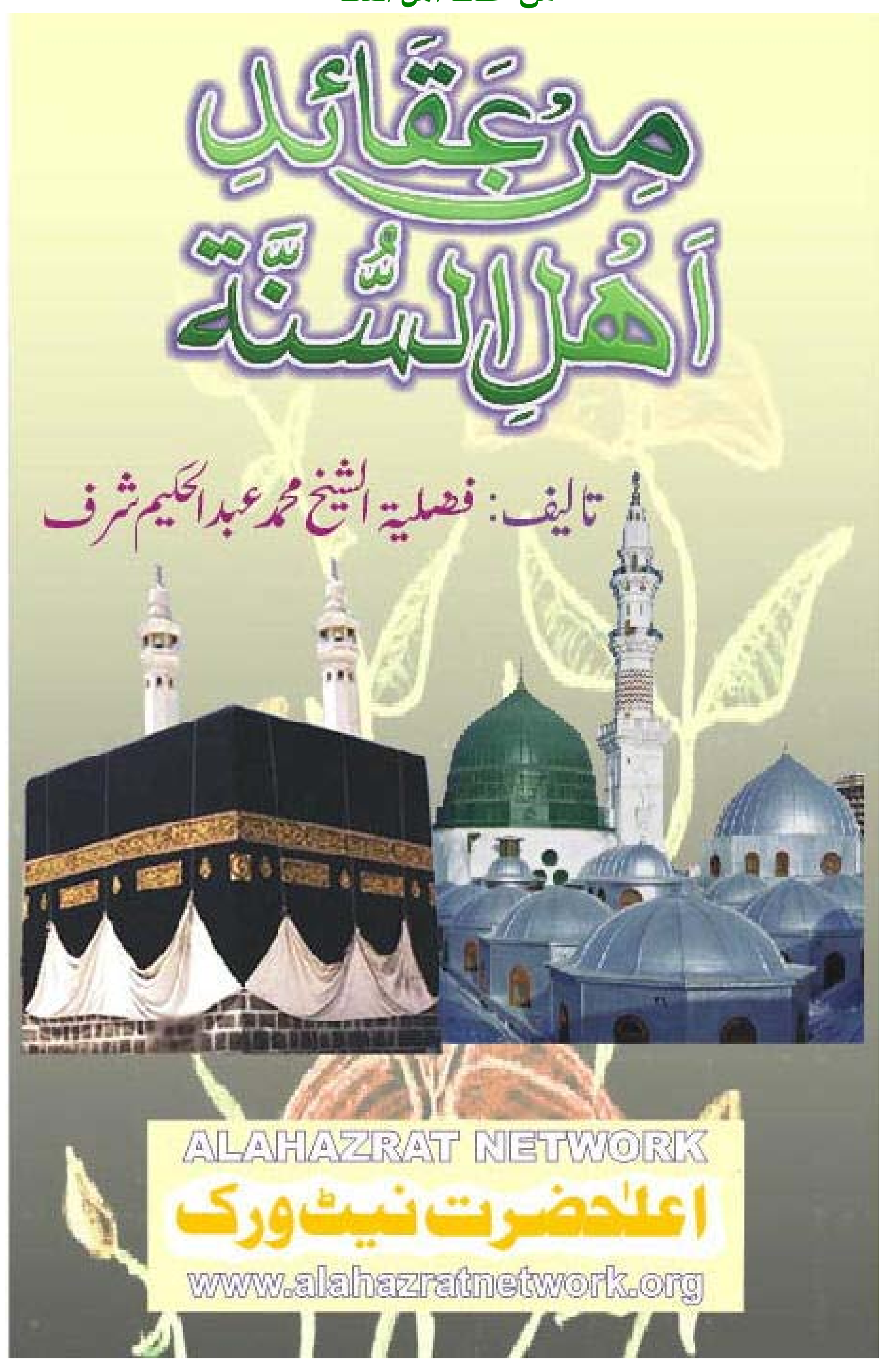

مِنْ عَقَائِدِ
أَهْلِ السُّنَّة
تالیف: فضلیة الشیخ محمد عبدالحکیم شرف
ALAHAZRAT NETWORK
اعلیٰحضرت نیٹ ورک
www.alahazratnetwork.org



الطبعة الاولى
١٤١٥هـ/١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الانسان وعلمه البيان والصّلوة والسّلام على سيد الانس والملك والجان وعلى آله وأصحابه ما استدار القمران وتعاقب الملوان ـ

وبعد : فقد تم انهيار الاتحاد السوفيتى اليوم وتشتت شمله وانطفأت نار الحرب بين الشيوعيين والرأسماليين والآن تشعر القوات اللادينية خوفا من القوة الاسلامية، لأن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يملك الخلود لنفسه ويستطيع أن يواجه جميع التحديات المعاصرة، وهذا الدين يجذب المشاعر والافكار كليها ، ولهذا السبب نراه ينتشر بسرعة غريبة فى العالم ، فاتحد اليهود والهنود والنصارى فيما بينهم خوفا من قوة الاسلام التى تزداد يوما فيوما ، وكلهم ينعتون المسلمين بالارهابية والأصولية ، والتطرف ، وهم يستخدمون جميع الوسائل من أجهزة الاعلام لنشر هذه الأكاذيب ، والعالم الاسلامى بأمس حاجة إلى التضامن فى هذا الاطار، لأنه لو اتحد المسلمون كالبنيان المرصوص لا يقدر اتحاد الهنود واليهود والنصارى أن ينال منهم شيئا ـ

يهمنا أن نرجح الفكر الاجتماعى على الفكر الانفرادى لتحقيق هدف التضامن الاسلامى على النطاق العالمى، وأن نتعامل فيما بيننا

بشرح الصدور في الشئون الخلافية ، وأن لا نسلط الرأى على المخالف وأن لا نسلك سبيل هتك أعراض المخالفين وتجريحهم ، بل تقنع المخالفين بالادلة العلمية ، ولو عملنا هكذا فلا يستحيل تحقيق هدف التضامن الاسلامي، فمن حسن حظ الأمة بأن هذا الشعور بدأ ينهض على النطاق العالمى -

انعقد مؤتمر وزراء الاعلام بالدول الاسلامية تحت إشراف المؤتمر الاسلامي وذلك بغرة ربيع الأول سنة ١٤٠٩ھ/١٩٨٨م، وضح فيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز كما يأتي :

"هذا الأمر قد لايعنيكم كثيراً ولكن إذا سمحتم لى أن اعتبر هذه المناسبة فرصة لكى يعلم إخواننا الاعلاميون أو كتابنا ويدركوا تماما أنه ليس هناك شيء اسمه الوهابية ، إذا أراد أن يهين أحد هذه البلاد فانه يطلق عليهم وهابيين وهذا معناه إذا تقبلناه أن لنا مذهبا آخر يختلف عن العقيدة الاسلامية"[1]

التوسل بالانبياء والصالحين والاحتفال بالمولد النبوى الشريف شعار المسلمين فى العالم كله ، وبعض العلماء المعنفين يعدون التوسل بالنبي ﷺ والصالحين والاحتفال بالمولد شركا وكفراً وقد أذيع خبر عن مفتى ديار المملكة العربية السعودية، الشيخ عبدالعزيز بن باز بأنه يكفر الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فرفض الشيخ هذا الخبر ونشر موقفه الحقيقى فى احد الجرائد السعودية كما يلى :

١- الرابطة (مكة المكرمة) عدد ربيع الاول ١٤٠٩ھ

بن باز ينفي تكفير الاحتفال بالمولد النبوى

و قال سماحته: "إن مقاله الذى نشر وأذيع من قبل أجهزة الاعلام السعودية قبل أيام لم يتضمن هذا الحكم"[1]

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز فى أحد فتاويه :

التوسل بحياة فلان أو ببركة أو بحق فلان فهذا بدعة وليس بشرك[2]

يبدو من هذه الكلمات أنه بدأ السفر من العنف إلى الاعتدال فى الرأى وهذا هو المطلوب فى العصر الحاضر -

إتخذ بعض الناس هواية إثارة نارالخلافات ويتخيلون الفلاح للامة فى هوايتهم، ومن أوضح أمثلتها "البريلوية" لاحسان إلهى ظهير زعيم إحدى الطائفتين من الوهابية اللامذهبية فى باكستان ، أذيع الكتاب المذكور بالعربية والانجليزية فى العالم كله على الدعم المالى الاجنبى ، ماذا أفيد العالم الاسلامى بهذا الكتاب ؟ غير الطائفية التى أذيعت على أساس الاتهامات والافتراءات ولقد حاول مؤلف الكتاب إثارة الغبار على شخصية امام أهل السنة والجماعة الشيخ أحمد رضا البريلوى رحمه الله تعالى، وأن يثبت فيه بأنه كان مؤسس الطائفة الحديثة وكتب الشيخ رحمه الله تعالى التى ترفض هذه الفكرة مطبوعة وموجودة ، ويستطيع أى رجل محايد من العلماء أن يعرف هذه الحقيقة بأن الشيخ المفترى عليه عاش فى ضوء القرآن

١- المدينة (جده) عدد ٦- صفر ١٤٠٣ﻫ

٢- الرابطة (مكة المكرمة) عدد جمادى الاولى ٦- صفر ١٤٠٩ﻫ، ص ٦٠

والسنة وتوضيحات الأئمة وقضى حياته فى تاييد المذهب الحنفى وتبليغه ۔

اعترف العلماء والمدبرون من العرب والعجم بمنزلة الشيخ احمد رضا البريلوى وسعة نظره ولكن مؤلف "البريلوية" ليس بمستعد لاعتراف هذا الأمر، لأنه لاينظر شخصية الشيخ أحمد رضا إلا من وراء نظارة العصبية ، نقدم بعض الآراء من أعلام المفكرين والعلماء فى شخصية الشيخ رحمه الله تعالى ۔

يرى الشاعر الاسلامى الجليل العلامة محمد إقبال كما يأتى :

"كان (الشيخ احمد رضا) عالما ذكيا، دقيق الفكر، وكانت له مرتبة رفيعة فى التفقه ، يعرف مواهبه الاجتهادية العالية من مطالعة فتاويه ، وكان من نوابغ الهند ، يصعب علينا أن نجد فى الهند فقيها طباعا ورجلا ذكيا فى عصر المتأخرين مثله"[١]

أما الشيخ المودودى فقال فى رسالته المؤرخة ٢٨۔ مايو ١٩٦٨م:

أحترم من أعماق قلبي الشيخ أحمد رضا بعلمه وفضيلته ، كان له نظر عميق فى العلوم الدينية واعترف بهذه الحقيقة والفضيلة رجال من المخالفين له أيضا[٢]

يقول الدكتور ظهور أحمد أظهر رئيس كلية اللغة العربية بجامعة بنجاب فى أحد بحوثه العلمية :

ينفرد الشيخ (أحمد رضا الحنفى البريلوى) من بين المفتيين

١- عبدالنبي كوكب العلامة : مقالات يوم رضا (ط : لاهور) ٣/ ١٠

٢- نفس المرجع السابق ٣/ ٦٠

فى شبه القارة الهندية والباكستانية بمرتبة عالية جداً ، فتاويه مملوءة بالفوائد العظيمة ، وإلى جانب هذا الأمر وضع الاصول والقواعد ، والجامعية فى العلوم والفنون والتعمق فى الفكر بالاضافة إلى حسن الكمال وسعة النظر والعمق والبصيرة والبراعة الفقهية التى يستخدمها الشيخ رحمه الله تعالى بأسلوبه الخاص فى تقديم الجزئيات فى الكليات وتقديم الكليات فى الجزئيات ما يهز القلب والروح ، لم تسمح هذه الميزة بالكثرة لكبار من المفتين فى شبه القارة الهندية والباكستانية، إنما نجدها متوفرة فى مصنف الفتاوى الرضوية.

- - - والميزة الثانية للفتاوى الرضوية هى أن مصنف الفتاوى ليس عالما عاديا أو مفتيا وفقيها محضا ، إنما نراه شخصية ذات أبعاد كثيرة ، أعنى أنه عبقرى فى جوانب شتى ، ولهذا لا ينحصر نظره فى الفقاهة فقط ولا يخرج كلامه من الجامعية بل يلمع فى كلامه درر العلوم والفنون من المعقولات والمنقولات(١)

وقد اتهمه المخالفون بالاتهامات الكاذبة وقذفوا القسط والديانة وراء ظهورهم ، قيل عنه أحيانا بأنه كان يزعم النبى ﷺ نوراً فقط ولم يعترف ببشريته ، رغم أنه لا يستطيع أن يرى هذا الرأى من له أدنى فهم فى الدين ، وكان الشيخ أحمد رضا من عباقرة عصره ، وقد صرح بعقيدته فى هذه المسألة :

• من يرفض بشرية النبى ﷺ اطلاقا ، فهو كافر ، قال تعالى :

١- ظهور احمد اظهر الدكتور : نوائے وقت (لاهور) ٦ ديسمبر ١٩٩٣م

﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾[1]

وقيل أحياناً بأنه كان يأمر الناس بالسجود للقبور، مع أنه قد صنف رسالة فى هذا المضمار سماها "الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية" وأثبت موقفه بالآية القرآنية وأربعين حديثا ومائة وخمسين من نصوص الفقهاء ، فشتت شبهات المخالفين بتصنيفه ، وكيف يتصور الشيخ أحمد رضا أن يجوز السجود والطواف للقبور، وقد نهى المسلمين عن تقبيل شبابيك روضة الرسول ﷺ قائلا :

"ألا (يا زائر الحرم النبوى) إياك وتقبيل الشبابيك ومسها لأن هذا الأمر يخالف الأدب ابتعد من الروضة الشريفة بأربعة أذرع"[2]

انهم إحسان إلهى ظهير أتباع الامام من أهل السنة والجماعة (البريلوية) فى شبه القارة الهندية والباكستانية بأن عقائدهم معاذ الله منحرفة عن القرآن والحديث والعقل والنقل، اخترعها البريلوية وحاول أن يقدم هذه العقائد بأساليب مضحكة ، لكننى قمت بتوفيق الله تعالى وكرمه باثبات هذه العقائد فى ضوء النصوص من الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدين واستشهدت لتدعيم موقف أهل السنة بأقوال ابرز العلماء من طائفة إحسان إلهى ظهير وطائفة الديوبنديين . يمكن أن يرفض هذه العقائد رجل من العلماء الامناء بعد مطالعة هذه العقائد بنظر المحايد ولكنه لا يستطيع أن يكفر أو يشرك أحداً على أساس هذه العقائد .

١- احمد رضا البريلوى ، الامام الفتاوى الرضوية (ط : مبارکفور) ٦/ ٦٧

٢- احمد رضا البريلوى الفتاوى الرضوية (ط: مبارکفور) ٤/ ٧٢٦

فى بداية هذا الكتاب ألحقنا مقالة بعنوان "العلامة الكبير الشيخ أحمد رضا خان فى الميزان" للعالم الربانى الجليل والمحقق الدينى العالمى، فضيلة الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي حفظه الله ورعاه من أجلة علماء الكويت ومشائخها ـ وقد أضيفت كلمة فضيلة الدكتور البروفيسور محمد مسعود أحمد المجددى وكلمة فضيلة المفتى محمد عبدالقيوم القادرى، الأمين العالم لتنظيم المدارس (أهل السنة) باكستان وكلمة العالم الجليل فضيلة مفسر القرآن الكريم الشيخ محمد كرم شاه الأزهرى

وهذا الكتاب مشتمل على سبع مقالات لهذا العبد الفقير (محمد عبد الحكيم شرف القادرى) :

(١) الحياة الخالدة (فى حيات الأنبياء والصالحين بعد الممات)

(٢) المعجزة وكرامات الأولياء (فى تصرفات الأنبياء والصالحين فى الكون بتوفيق الله تبارك وتعالى وأمداده)

(٣) حول مبحث التوسل (فى تحقيق مسألة التوسل والرد على جرح الشيخ أبى بكر جابر الجزائرى على حديث بلال ابن الحارث المزنى ﷺ متنا وسندا)

(٤) التوسل والاستعانة (تحقيق مسألة التوسل والاستعانة بعباد الله الصالحين)

(٥) مدينة العلم ﷺ (بحث علمى عن علوم النبى ﷺ وأولياء الله تبارك وتعالى التى أكرمهم به الله تعالى)

(٦) سيدنا محمد ﷺ نور الحق وأول الخلق (كلمة عن بيان نورانية النبى ﷺ وبشريته وكونه أول الخلق وتحقيق مسألة أنه ﷺ لم يكن له ظل)

(٧) الحبيب فى رحاب الحبيب حاضر وشاهد على أعمال الامة (بحث عن ظهور الروح الأعظم ﷺ فى الكون)

تنتمى أغلبية المسلمين فى الهند و بنغلا ديش و باكستان وفى العالم كله بفكر أهل السنة والجماعة من اتباع الأئمة الأربعة والحنفيون البريلويون منهم ونعتوا بهذا الاسم على نية لاصلاح فيهما ، ولقد اعترف أشد المخالفين للبريلوية وعقائدهم بأنه وجد :

"نفس العقائد والمعتقدات ـ ـ ـ فى البلدان المسلمة الأخرى من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ومن أفريقيا إلى آسيا بعين ما رأيت ووجدت عند قومى هذا"[1]

فلا يمكن تحقيق هدف التضامن الاسلامى بالطعن فى أغلبية المسلمين وبهتك أعراضهم ويعرف كل واحد منا بأننا لا نستطيع أن نتخلص من غارات الكفار إلا بالتضامن فيما بيننا ، ولهذا يلزمنا بأن لا نوصف الحنفيين البريلويين بالكفر والشرك معتمدين على ما كتبه أمثال إحسان إلهى ظهير من المعاندين بل نراجع إلى مصنفات الاحناف البريلويين ـ

ندعو الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا السعى خالصا لوجهه الكريم وان يجعله كافيا لدفع الشبهات بين المسلمين ـ

كتبه المفتقر إلى الله الغنى
محمد عبدالحكيم شرف القادرى
خادم طلاب العلوم الاسلامية والحديث النبوى الشريف
بالجامعة النظامية الرضوية
داخل باب لوهارى ، لاهور ، باكستان

١- البريلوية احسان الهى ظهير ص ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المصنف

الاسم ــــ محمد عبد الحكيم شرف القادرى

اسم الوالد ــــ مولوى الله دتا[1] بن الصوفى نور بخش

المسلك ــــ أهل السنة والجماعة الحنفى الماتريدى

المشرب ــــ القادرى

بايع فى السلسلة القادرية على يد فضيلة الشيخ أبى البركات السيد أحمد القادرى

تاريخ الولادة ــــ ٢٤ شعبان ١٣٦٣هـ/١٣ اغطس ١٩٤٤م

مكان الولادة ــــ قرية هوشياربور (الواقعة اليوم فى البنجاب الهندى)

التعليم ــــ تدرج صاحب الترجمة فى مجال العلم فى مواضع شتى

١٩٥٠م–١٩٥٥م درس فى المدرسة الثانوية الحكومية ورغب عنها اخيراً

١٩٥٥م–١٩٥٧م سافر الأستاذ فى الثالث عشر من عمره إلى الجامعة الرضوية (فيصل آباد) رغبة فى العلوم الدينية

١٩٥٨م–١٩٦١م مكث فى الجامعة النظامية الرضوية، لاهور

١- الله دتا اسم باللغة البنجابية، معناه عطاء الله ١٢

١٩٦١م-١٩٦٤م تعلم في الجامعة الإمدادية المظهرية (بنديال خوشاب) الفقه وأصول الفقه ، والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة والنحو والكلام والحديث والتفسير وتخرج بشهادة الفراغ من هذه الجامعة وفي هذه الفترة المباركة درس لبعض شهور في دار العلوم ضياء شمس الاسلام (سيال شريف ، سركودها)

الأساتذة الأجلاء

نذكر أسماء بعض الأساتذة الكرام ، درس لديهم صاحب الترجمة :

(١) فضيلة الشيخ استاذ العلماء الشيخ عطا محمد الجشتي الكولروي
(٢) بطل الاسلام الشيخ محمد اشرف السيالوي
(٣) شارح البخاري العلامة الكبير الشيخ غلام رسول الرضوي

(٤) فضيلة الشيخ العلامة المفتي محمد عبد القيوم الهزاروي
(٥) حضرة الأستاذ الشيخ الحافظ احسان الحق رحمه الله تعالى
(٦) فضيلة الشيخ السيد منصور شاه رحمه الله تعالى
(٧) فضيلة الشيخ المفتي محمد أمين النقشبندي

الجهود العلمية

لقد قام المترجم له بالجهود العلمية في موضوعات شتى في العقائد والاخلاق، والسيرة والفضائل، والافتاء، والمنطق، والتاريخ ، والنقد، وترجمة رجال التاريخ ـ

ولصاحبنا ترجمات ايضا إلى جانب التصنيفات فترجم من العربية إلى الأردية ، الشرف المؤبد لآل محمد للنبهاني ، وكشف النور عن أصحاب القبور للنابلسي ، وأدلة أهل السنة والجماعة للسيد يوسف السيد

هاشم الرفاعي وقد قام بترجمة مجلدين من أشعة اللمعات شرح المشكوة من الفارسية إلى الأردية للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى ، وتحقيق الفتوى فى ابطال الطغوى للامام العلامة محمد فضل حق الخير آبادى وله حاشية عربية فى المنطق سماها بالمرضاة حاشية المرقاة للعلامة فضل امام الخير آبادى ـ

وقد قام بتحشية بعض الكتب الفارسية فى الاخلاق ، منها تحفه نصائح للشيخ السيد يوسف حسيني راجا وبدائع منظوم للشيخ على رضا القادرى وكريما للشيخ سعدى الشيرازى ونام حق للشيخ شرف الدين وله حاشية على نحو مير للسيد شريف الجرجانى ـ

وظائفه العلمية

لقد قام صاحب الترجمة بوظائف مهمة فى رحاب العلم فانه مدرس، محقق ، مصنف وشارح ، اشتغل الأستاذ بخدمة الدين والعلوم الدينية بعد التخرج مباشرة فدرس فى المعاهد الدينية المختلفة ، والتحق أخيراً بأشهر المعاهد الدينية لأهل السنة والجماعة أعنى الجامعة النظامية الرضوية بلاهور، فلم يزل يدرس العلوم العربية والدينية منذ ثلاثين سنة ، وفى هذه الفترة درس الحديث والتفسير والفقه وأصول الفقه والنحو والصرف والمنطق والبلاغة والأدب العربى القديم وغيرها من العلوم ـ

متعنا الله تبارك وتعالى بطول حياته وجهوده العلمية ـ

٢ـ ربيع الثانى ١٤١٥هـ أحد المغترفين من بحر علمه

ممتاز أحمد السديدى

بسم الله الرحمن الرحيم

العلامة الكبير الشيخ أحمد رضا خان فى الميزان

بقلم فضيلة الداعية الكبير العلامة السيد يوسف السيد هاشم الرفاعى (الكويت)

ولد المترجم له سنة ١٢٧٢هـ الموافق ١٨٥٦ ميلادى ، وقد اشتغل منذ نعومة أظفاره فى دراسة العلوم الدينية ونبغ فى ذلك حتى أصبح قادرا على الفتيا فى سن مبكرة وذلك لأنه نشأ فى بيئة دينية كريمة فقد كان ابوه وجده من كبار العلماء والزاهدين .

مكان ولادته : كان فى مدينة بريلى (يو ـ بى الهند) ولذلك صار يلقب بالبريلوى نسبة إلى هذه المدينة كما هى عادة العلماء والرجال المشهورين فى بلاد الهند .

خدماته الدينية : بعد أن فرغ العلامة رحمه الله تعالى من الاحاطة بالعلوم الشرعية المختلفة اشتغل فى التدريس والافتاء والتصنيف والوعظ والارشاد وإصلاح شؤون الأمة المسلمة واستلم خرقة الخلافة (مع اجازة البيعة) فى السلسة القادرية خاصة بجانب الطرق الجشتية ، والنقشبندية والسهروردية .

تصانيفه الكثيرة القيمة : ألف الشيخ ما يقارب ألفا بين كتاب ورسالة فى مختلف العلوم الدينية وغيرها باللغات العربية والأردوية والفارسية ،

اكثرها مطبوعة ولله الحمد ، وكان عظيم القريحة متوقد الذهن سريع القلم تتوالى عليه العلوم والمعارف لمدد من الله تعالى وبركة من رسوله المصطفى ﷺ وله فى ذلك شواهد كثيرة يلمسها من يطالع مؤلفاته ومصنفاته الكثيرة النافعة .

خلقه : كان الشيخ رحمه الله ذا اخلاق فاضلة وآداب كريمة يحب لله ويغضب فى الله وكان شديد الغيرة فى كل ما يختص بذات الله (جل جلاله) ورسوله المصطفى (ﷺ) .

حبه للنبي ﷺ : كان الشيخ رحمه الله تعالى محبا كبيرا لحضرة المصطفى ﷺ حتى أنه لشدة حبه واتباعه للنبي الأكرم ﷺ لقب نفسه (عبد المصطفى) وكان يختم مجالس الذكر بقصيدة مشهورة نظمها فى مدحه للنبي ﷺ والثناء عليه وبيان مقامه ، مطلعها : (مأت ألف صلاة وسلام عليك يا رسول الله يا روح رحمة الله للعالمين) .

علاقة الشيخ بالتصوف : كما ذكرنا فإن الشيخ رحمه الله أخذ الطريق من كبار الشيوخ العارفين فى زمانه الذين رأوه أهلا ومستحقا للخلافة والتربية والتزكية بعد انتقالهم إلى الآخرة وقد قام بالمهمة خير قيام ، وكان يغار على الشريعة والطريقة معا ويرفض التفريق بينهما ، وكان يقول (إن الشريعة أصل والطريقة فرعها ، الشريعة منبع والطريقة بحر انفجر من هذا الينبوع ، لايمكن الوصول إلى الله إلا بالسلوك على الشريعة ، ومن سلك طريقا غير طريق الشريعة هلك وضل عن طريق الحق) .

وهذا المسلك من الشيخ يبين كذب وافتراء خصومه الذين خالفوا قوله تعالى { يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن

تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ لقد كان محبا كامل المحبة لحضرة المصطفى ﷺ ومتبعا كاملا للشريعة المصطفوية على صاحبها أفضل الصلوات والسلام .

جهاده : عند ما قامت حركة استخلاص الوطن عن الاستعمار البريطانوى أفتى الشيخ رضى الله عنه بعدم جواز الموالاة مع الهنود والانكليز الكفار المستعمرين - وأفتى بأن الموالاة حرام مطلقا مع كل مشرك حتى لوكان ذميا مطيعا أوكان ابنا أو أبا أو أخا أو قريبا عزيزا .

تقواه وورعه : كان الشيخ رحمه الله مواظبا على الصلوات الخمس مع الجماعة ، تقيا ورعا ، ذاكرا لله على جميع أحواله وقد زار الحرمين الشريفين سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م لأداء فريضة الحج وزيارة قبر حبيبه المصطفى ﷺ، وقد انتهز الفرصة فاجتمع بالعلماء والعارفين والمحدثين في تلك الأراضى المقدسة وتبادل معهم الاجازات في العلوم الشرعية وفي السلوك والتصوف . وقد سافر بعد ذلك إلى الحرمين الشريفين مرة أخرى للحج والزيارة وتحقيق المنافع العلمية والقلبية .

منزلته ومقامه : يعتبر الكثيرون الشيخ رحمه الله مجدد عصره للامة الاسلامية وخاصة في بلاد الهند حيث لقب بـ (مجدد الأمة) مصداقا لقوله ﷺ (إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل قرن ، أوكل مائة عام) وإن السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة في شبه القارة الهندية المكونة اليوم من (الهند وباكستان و بنغلاديش) وهم السواد الأعظم يعتبرونه حتى اليوم امامهم ومرشدهم ولا يزالون يتداولون ترجمته الشهيرة للقرآن الكريم المسماة بـ (كنز الايمان) ويرددون قصائده ومدائحه المخلصة الرائعة لحضرة النبي ﷺ في

مجالسهم ومحافلهم خاصة فى ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ولم ينتقل الشيخ رحمه الله إلى الرفيق الاعلى إلا بعد أن أدى رسالته العظيمة فى تجديد الدين وإيقاظ الروح والغيرة على الاسلام والمحبة لرسوله العظيم ﷺ فى قلوب وعقل المسلمين.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، ونفع المسلمين بعلومه وفيوضاته الكثيرة المخلصة - آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه العبد الفقير
يوسف السيد هاشم الرفاعي
ص ب ٤٢٠ - الصفاة - الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الداعية الكبير والعالم الجليل فضيلة مفسر القرآن
العلامة محمد كرم شاه حفظه الله تعالى ورعاه
من علماء الأزهر الشريف

الحمد لله أحسن الخالقين والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه نجوم الهداية أجمعين ـ

وبعد : فقد واجهت الأمة المحمدية ـ على صاحبها الصلوة والسلام ـ عبر تاريخها الطويل الظروف الشاسعة القلقلة ، وفى هذه الظروف المخيفة ظلت الأمة بين تيارات الهجمات كصخرة عاتية وسط العواصف الهوج، فلم تتمكن القوات الطاغوتية كلها على إصابة الضرر لأسوار حصن الاسلام والمسلمين، فما زالوا ناجحين بسبب قوة إيمانهم واتحاد صفوفهم، وكانوا كأنهم بنيان مرصوص لايجد الشقاق والخلاف إلى صفوفهم سبيلا ـ

أما اليوم فقد تحولت حالة الأمة المسلمة إلى الحالة المؤلمة المفضحة ، فالمسلمون مظلومون فى العالم كله، خاصة فى بلاد إسرائيل وكشمير المحتلة وبوسنيا وسيسان ، حتى أن أعداء الاسلام والمسلمين فقدوا الاخلاق والحياء والانسانية، فهم ينهبون أعراض البنات المسلمات فى كشمير وبوسنيا رغم دعايتهم بأنهم أناس مثقفون ومتحضرون ،

إلى جانب هذا الأمرهم يزعمون بأنهم يحافظون الحقوق الانسانية فيا للعجب !

لم هذه المأساة المتتالية ؟ لم هذه المذابح طول الليل والنهار ؟ بلاد المسلمين محاطة بالأخطار التي تهدد سلامتها ، ما هو السبب ؟ بالأسف الشديد تحولت الأمة المسلمة إلى فرق، وهذا التفرق مستمر حتى اليوم ، وبسبب هذا الجدل والنقاش صارت الأمة المسلمة كثيبة رمل، التي كانت بنيانا مرصوصا بين أعدائها ، هذا الافتراق الشديد هو السبب الوحيد لهذه المصائب والبليات ، فليس هناك سبيل لمعالجة هذا المرض الوبيل غير اتحاد الأمة المسلمة تحت لواء الاسلام ، والاعتصام بحبل الله المتين، يؤلمنا كثيرا أن هناك طائفة تسعى في بث بذور الشقاق والعداوة في قلوب المسلمين ، وهم يبذلون جهودهم في توسيع هوة الانشقاق بين الشعوب المؤمنة بربها ، المسلمة لأوامر خالقها ، وهذه الطائفة خدمت أعداء المسلمين في توسيع الصدوع في سور حصن الاسلام في هذه الظروف الحرجة المؤلمة ، وفي هذه الايام العصيبة التي تكافح الأمة فيها لسلامة كيانها ، وهي في حاجة ماسة إلى توحيد كلمتها .

من سوء حظنا أن إحدى الفئتين من الأمة تاكدت في نفسها أن الفئة الأخيرة مرتكبة للشرك والبدع ، فكيف يمكن تحقيق هدف الاتحاد والمودة فيما بينهما؟ فالاتحاد بين أناس يزعمون أنفسهم موحدين وبين المسلمين المتهمين عليهم بالشرك والبدع محال، كالجمع بين النور والظلمة ، وبين الليل والنهار وفي هذه الظروف جهود الاتحاد في ما بين الفئتين مع بقاء هذه الانطباعات الخاطئة ضياع للوقت فحسب ، والذين يتمنون حقا من أعماق قلوبهم أن يحولوا نقاش الأمة

إلى الأخوة الاسلامية ، فيجب عليهم أولا أن يبحثوا عن حقيقة تهمة الشرك على المسلمين ، هل هذه تهمة صادقة أم نشرة كاذبة ؟ فلو وجدوا المتهمين بالشرك فى أودية الشرك حقا وصدقا فعليهم إخراج المتهمين الضالين من ظلمات الكفر والشرك ثم تنظيمهم فى سلك الأخوة والمودة ، ولو وجدوا أنفسهم معتمدين على النشرات الكاذبة ، فيجب عليهم الرجوع قبل الدعوة إلى الاتحاد الاسلامى عما نسبوه إلى هذه الطائفة من الشرك والكفر والبدع .

لابد لنا أن لا ننسى القصة الواردة فى الحديث لأسامة بن زيد ﷺ، وتمام القصة كما فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما : كالآتى :

عن أسامة ﷺ ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ على قوم جهينة ، فحاربناهم وهزمناهم ، فكان رجل منهم لا يقصد قتل رجل من المسلمين إلا قتله ، فلحقته أنا ورجل من الأنصار فلما أغشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصارى يده ، وطعنته برمحى ، حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ قلت : يا رسول الله إنما قاله خوفا من السلاح ، قال : هلا شققت قلبه ؟"-

كانت شهادة التوحيد فى ظل السيف من ذلك الرجل مقبولة لدى الرسول الكريم عليه أفضل الصلوة والتسليم ، فما بال هؤلاء الرجال الذين يزعمون أنفسهم حملة العلوم القرآنية ، والمعارف النبوية يتهمون المسلمين بالشرك ويغالون فى هذه التهمة أيضا ، هؤلاء المسلمون الذين نشأوا فى أحضان الأمهات المسلمات والآباء المسلمين ، والذين هم متمسكون بأركان الاسلام ، والذين هم ملتزمون بالفرائض الدينية .

نعلن عقائدنا بين أيدى المشككين مراراً ولكنهم يهملون إقرارنا وإعلاننا ويطردونها ، لا نعلم من أين حصلوا اختيار التكفير والتشريك الذى لم يحصله الصحابي الجليل أسامة بن زيد ﷺ .

جزى الله تعالى عنا وعن جميع أهل السنة فضيلة الشيخ الفاضل الأستاذ محمد عبد الحكيم شرف القادري النقشبندى على جهوده فى توضيح عقائد أهل السنة والجماعة وإعلانها بين أيدى أناس منصفين .

ندعو الله تبارك وتعالى أن يرحم على حالتنا المفضحة ، ويوحد كلمتنا ، وأن يسمح لنا إخلاصا للوحدة الاسلامية، حتى ترتفع الشكوك والشبهات ، وتعود الأمة إلى عهدها السعيد .

٢٠- من شهر رمضان ١٤١١هـ　　　خادم العلماء : محمد كرم شاه

٢١- فبراير ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الأستاذ الجليل فضيلة المفتي محمد عبد القيوم القادري حفظه الله تعالى
الأمين العام لتنظيم المدارس (أهل السنة) باكستان

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم، والصلوة والسلام على سيد ولد آدم، وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم.

أما بعد: فقد قام المسلمون بالخدمات الدينية الجليلة في الماضي بوسيلة الكتب العلمية المخطوطة ووصلت إلينا صنائعهم جيلا بعد جيل، وعصرنا هذا غنى في مجال العلم والبحوث العلمية بسبب المطبع، فتطبع الكتب بكثرة وتنشر إلى أهل العلم، وصار الوصول إلى المصادر والمراجع العلمية سهلا ويسيراً، ولكن الاسف الشديد على بعض أهل العلم الذين لا يراجعون إلى المصادر فيبطلون الحق ويصدقون الباطل على أساس السمعة فقط، كما عومل مع أحد علماء أهل السنة أعني شخصية الشيخ أحمد رضا البريلوى، رآه البعض مؤسس الفرقة الحديثة ونسبوا إليه العقائد السائدة، بدون المراجعة الدقيقة إلى كتب الشيخ رحمه الله تعالى فلابدلنا أن لا نعتمد على رأيهم وان نبطل الباطل ونصدق الحق بعد الوصول إلى المراجع الأصلية.

لقد صنف الأستاذ الفاضل فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم كتابه "من عقائد أهل السنة" لتوضيح بعض عقائد أهل السنة والجماعة التي

كثر حولها الاختلاف والنقاش ، وقد قام الشيخ بتقديم هذه العقائد بشكل واضح ، ودعم موقفه بأدلة قوية من القرآن والسنة وأقوال العلماء الكبار ، فيظهر على القراء أن الشيخ أحمد رضا على غير العقائد المفتراة عليه وأنه يسير على خطوات الأسلاف فى عقائده ۔

أصبح المسلمون المعاصرون أهدافاً لمظالم الأغيار فى العالم كله بسبب هذا التفرق والتشتت والكفار مسرورون على هذا الجدل الطائفى والعنصرى فيما بين المسلمين لأن هذا الجدل الطائفى والخلاف العنصرى فى صالح أعداء الاسلام والمسلمين ۔

يا للأسف : أعداثنا الكفار يظلمون المسلمين بحرية كاملة والمسلمون لايجدون فرصة التوجه إليهم، بسبب اشتغالهم فى الاختلافات الطائفية ، فلابدلنا أن نرى الظروف الكارثة بالأعين المفتوحة المنصفة، وأن لا نحق الباطل ولا نكذب الحق على أساس العصبية أو على أساس الكلام المسموع ۔

ومن واجبنا فى الظروف الشاسعة المعاصرة أن لا نذيع الشبهات المسموعة فيما بين المسلمين بل يجب علينا أن نحاول ونسعى للوصول الى الصواب وتحقيق هدف التضامن الاسلامى حتى نوقى أنفسنا وإخواننا المسلمين من مظالم أعداء الاسلام والمسلمين ۔

أدعو الله تبارك وتعالى أن يتقبل من الشيخ الفاضل سعيه ويجزيه خيرا على جهوده ، وأن يجعل جهده وسيلة لرفع الشكوك والشبهات من بين المسلمين ۔

كتبه

محمد عبدالقيوم القادرى غفر الله له

٢٣۔ شعبان المعظم ١٤١٥هـ

٢٥۔ يناير ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة البروفيسور الدكتور محمد مسعود احمد المجددى
السكرتير السابق لوزارة التعليم بإقليم السند باكستان

نحمده ونصلى ونسلم على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين

وبعد : فهذه رسالة موجزة عن شخصية الشيخ أحمد رضا البريلوى ودوره المهم فى مقاومة البدع والرد عليها ، وبتوفيق الله تعالى قمت بتقديم هذا الكتيب .

كان الشيخ البريلوى عالما محققا، كما اشار إلى هذا الأمر البروفيسور الدكتور محى الدين الوائى (الذى أخذ شهادة الدكتوراة من جامعة الأزهر)[1] اشار كذلك إلى الحقيقة نفسها الأستاذ ابو الحسن على الندوى (الفائز بجائزة الملك فيصل من الحكومة السعودية فى بداية القرن الخامس عشر) مشيرا إلى المرتبة الرفيعة للشيخ أحمد رضا البريلوى فى الفقه الحنفى :

"اشتغل (الشيخ البريلوى) بالعلم على والده ، ولازمه مدة طويلة حتى برع فى العلم وفاق أقرانه فى كثير من الفنون لاسيما الفقه الاسلامى ـ ـ ـ وسافر إلى الحرمين الشريفين عدة مرات وذاكر علماء الحجاز فى بعض المسائل العلمية والكلامية ، وألف بعض الرسائل أثناء إقامته بالحرمين ،

١ـ أنظر صوت الشرق (القاهرة) عدد فبراير ١٩٧٠م ص ١٢

وأجاب عن بعض المسائل التى عرضت على علماء الحرمين، وأعجبوا بغزارة علمه وسعة اطلاعه على المتون الفقهية والمسائل الخلافية وسرعة تحريره.

ويقول الأستاذ الندوى مشيرا إلى الحقيقة نفسها :

"كان عالما متبحرا، كثير المطالعة، واسع الاطلاع، له قلم سيال وفكر حافل فى التأليف وتبلغ عدد مؤلفاته على رواية بعض مترجميه إلى خمسائة أكبرها : "الفتاوى الرضوية"--- يندر نظيره فى عصره فى الاطلاع على الفقه الحنفى وجزئياته، يشهد بذلك مجموع فتاواه وكتابه : "كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم" الذى ألفه فى مكة سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة والف ؛ وكان راسخا طويل الباع فى العلوم الرياضية والهيئة والنجوم والتوقيت"(١)

واتضحت أحد المسائل الخلافية من رسالة موجهة إلى مدير مجلة البيان (طرابلس ، شام) من أحد علماء المدينة المنورة السيد أحمد على :

لما كان قد كثر البحث واختلفت الأقوال فى هذا الزمن فى مسئلة علم النبي ﷺ فقام علماء الاسلام وكتبوا الرسائل فى تحقيق هذه المسألة ومنهم العلامة الامام ، والفاضل الهمام شيخنا ومولانا الشيخ أحمد رضا خان القادري الهندى

١- نزهة الخواطر : لابي الحسن على الندوى ٨/٤٢

٢- نزهة الخواطر : ٨/٤٤

البريلوى متعنا الله بطول حياته آمين ، فإنه سلمه تعالى قد كتب رسالة جيلة سماها : (الدولة المكية بالمادة الغيبية) ثم قدمها إلى العلماء من العرب والعجم وطلب عليها التصديقات من علماء الغرب والشرق فقبلها أكثر العلماء من الحرمين الشريفين والغرب والشام ومصر من علماء الأزهر وكتبوا التقاريظ عليها وقد بلغت عددها نيفا وخمسين تقريظا[1] .

وقال العلامة الشيخ يوسف النبهاني في تقريظ له على "الدولة المكية بالمادة الغيبية" ما يصدق رأى الشيخ الندوى فيقول العلامة النبهاني :

"لما تشرفت بالمجاورة في أعتاب سيد المرسلين في

بلدته الطاهرة ومدينته المنورة في هذا العام ١٣٣١ھ طلب مني بعض العلماء الأفاضل من أهل السنة ، والعترة الطاهرة من أهل المدينة المنورة ـ ـ ـ أن أقرظ هذا الكتاب المسمى بالدولة المكية بالمادة الغيبية تاليف الامام العلامة الشيخ أحمد رضا خان الهندى وكان قبل ذلك كاتبني إلى بيروت في هذا المعنى الشيخ الفاضل العالم الكامل الشيخ كريم الله الهندى، فلما أرسله إلى هذه المرة السيد عبدالبارى حفظه الله قرأته من أوله إلى آخره فوجدته من أنفع الكتب الدينية وأصدقها لهجة وأقومها حجة ، لا يصدر مثله إلا عن إمام كبير وعلامة نحرير فرضى الله عن مؤلفه وأرضاه وبلغه من

---

[1] مجلة البيان : عدد ربيع الاول ١٣٣٠ھ ص ٩١

كل خير مناه"(۱)

كما مر قول الأستاذ الندوى عن الشيخ البريلوى : يندر نظيره فى عصره فى الاطلاع على الفقه الحنفى وجزئياته فالبارع فى الفقه لابد أن يكون عالما بالحديث النبوى أيضا فلهذا وجدنا الشيخ خالدالحامدى ألف رسالته للدكتوراة تحت عنوان "دور الهند فى نشر الحديث" وقد جعل باباً خاصا لسرد خدمات الشيخ أحمد رضا البريلوى فى علم الحديث معتمداً على كتبه ورسائله وحواشيه وتعليقاته وقد تجاوزت هذه المراجع أربعين مرجعا ـ

قد قام الشيخ محمد ظفر الدين البهارى (۱۳۰۳هـ ـ ۱۳۸۰هـ) بتبويب تلك الأحاديث النبوية الشريفة التى ذكر الشيخ البريلوى فى مصنفاته . وقد سمى هذه المجموعة بصحيح البهارى فى ست مجلدات ضخمة ، وقد طبع المجلد الثانى من حيدرآباد السند الذى اشتمل على ۲۸٦۹ حديث والمجلد الأول سيطبع باهتمام مؤسسة رضا بلاهور ـ

إنه يستحيل على المؤمن صاحب المنزلة الرفيعة فى علم الحديث أن يؤيد البدع وكان الشيخ البريلوى معارضا شديداً للبدع والمناكير وبحثنا هذا شاهد عادل على هذه الحقيقة ، قد صنف الأستاذ المحقق السيد محمد فاروق القادرى (الباكستانى) والشيخ العلامة محمد يسين المصباحى (الهندى) كتبا خاصة عن مساعى الشيخ أحمد رضا البريلوى فى مقاومة البدع والرد عليها ـ

لا ندرى كيف اشتبه على بعض أهل العلم بأن الشيخ أحمد رضا

---

(۱) مجلة البيان : عدد ربيع الاول ۱۳۳۱هـ ص ۹۲

البريلوى سعى لنشر البدع ، حكى الدكتور ظهور احمد اظهر (رئيس كلية اللغة العربية بجامعة بنجاب) فى حوار مع احد المجلات بأنه زار بروفيسوراً سعوديا فى مكة المكرمة فقال الأستاذ السعودى عند ذكر الشيخ البريلوى : "كان يأمر بالسجود للقبور" فقال له الدكتور أظهر "كلا ! بل كان ينهى عن تقبيل القبور" فـأستغرب العـالم السعودى وقـال أخبرنـا هكذا[1] ولا شك فى ذلك بـأنه نهى عن تقبيل القبور وصنف رسالة فى حرمة سجود التحية للصالحين وقبورهم ـ

وقال الشيخ الندوى معجبا بهذه الرسالة :

وألف الرسائل فى الاستمداد والاستعانة بأولياءالله وأهل القبور وكان مع ذلك يرى حرمة سجدة التحية وألف فيهـا رسالـة سماها : "الزبدة الزكية لتحريم سجود التحيـة" وهى رسالة جامعة تدل على غزارة علمه وقوة استدلاله[2]

قال الشاعر الاسلامى الجليل العلامه محمد إقبال :

كان (الشيخ أحمد رضا خـان) عالما ذكيا ، دقيق الفكر ، وكانت له مرتبة رفيعة فى التفقه ، يعرف مواهبه الاجتهادية العالية من مطالعة فتاويه وكان من نوابغ الهند، يصعب علينا أن نجد فى الهند فقيهـا طباعـا ورجلا ذكيـا مثله فى عصر المتأخرين[3]

١ـ نداءِ أهل سنت (لاهور) عدد ٦ـ١ ٣١ يناير ١٩٩٤م

٢ـ نزهة الخواطر : للندوى ٨/ ٤٠

٣ـ مقالات يوم رضا : الشيخ عبدالنبى كوكب (ط:لاهور) ٢/ ١٠

وقد كتب إلى الشيخ محمد على المونكيرى رئيس ندوة العلماء سابقا نقلا عن العالم الربانى الشيخ مجدد الألف الثانى :

مصاحبة المبتدع اسوأ من صحبة مائة كافر[1]

وهناك حقيقة مولمة وهى أن بعض جهلة الناس الذين يزعمون أنفسهم محبين للشيخ أحمد رضا، هم الذين يرتكبون هذه البدع وهم الذين يثيرون الشبهات ، والشيخ أحمد رضا واتباعه الصادقون بريئون منهم وكان رحمه الله تعالى من كبار المصلحين والمفكرين فى عصره ، والعالم الاسلامى يستطيع أن يستفيد من آرائه وأفكاره فى هذه الظروف الكارثة التى يمر بها هذه الأيام .

١٩ـ يناير ١٩٩٤م محمد مسعود احمد المجددى

---

(١) مكتوبات امام احمد رضا للشيخ محمود احمد القادرى (ط : لاهور ١٩٨٦) ص ٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

قام الشيخ أحمد رضا البريلوى برد البدع وتجديد الدعوة الاسلامية برسائله وفتاواه وخطبه وبهذا السبب لقبه علماء الحرمين الشريفين بلقب "مجدد هذا القرن" فيكتب حافظ كتب الحرم الشيخ إسماعيل خليل المكي في هذا الصدد :

بل لو قيل فى حقه : إنه مجدد هذا القرن لكان حقا وصدقاً
وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد[1]

وقد كان مفهوم الاسلام واضحا لدى الشيخ البريلوى وكان ينكر على المبتدع فى الدين ويعنف على من يقلب الحقيقة إلى الخرافات ويوجه سهام نقده إلى من يمزق الوحدة الاسلامية ويتبع غير سبيل السواد الأعظم من المسلمين ، سئل الشيخ البريلوى عن الكفار الذين لا يعرفون من اللغات إلا اللغة الانجليزية : هل يصيرون مسلمين بقراءة الكلمة الطيبة (لا اله الا الله محمد رسول الله) أم لا ؟ فقال ردا على هذا السؤال:

يصيرون مسلمين وإن لم يعرفوا معنى كلمة لا إله الا الله محمد رسول الله بل لو لم يقرأوا هذه الكلمة وقالوا : تبرأنا من ديننا إلى الدين المحمدى فهذا يكفى لاسلامهم[2]

١ـ حسام الحرمين على منحر الكفر والمين للبريلوى (ط : لاهور ١٩٧٦م) ص ١٤

٢ـ السنية الانيقة فى فتاوى الريقه للبريلوى (ط : بريلى) ص ٤٤

ولكن المنحرف عن منهج الرسول ﷺ بعد اسلامه والمنكر لبعض الأمور الاسلامية (الاساسية) فى نظر الشيخ البريلوى كافر بالاجماع حيث يقول :

> المبتدع المنكر لشيء من ضروريات الدين فى حقيقة الأمر كافر باجماع المسلمين قطعا ويقينا ولو قرأ الكلمة (شهادة التوحيد والرسالة) بعدد الملايين ، وحول جبينه بالسجود ورقة ، وأفنى جسده فى الصيام ، وأنفق ألف مائة جبل صدقة ، وحج ألف مرة ، والله لا يقبل منه شيء حتى يصدق جميع الأحكام التى جاء بها النبى ﷺ[1]

وحيث كان يوجد فى بيئتنا بعض الناس الذين يتركون الفرائض والواجبات مكتفين بالمباحات والمستحبات كتب الشيخ البريلوى متعاقبا على هذا الانحراف عن الصراط المستقيم:

> "أتى أبو محمد الشيخ عبدالقادر الجيلانى بأمثلة مهمة فى كتابه "فتوح الغيب" عن الذى يشتغل بالنوافل بترك الفرائض، قال فى هذا الكتاب المبارك": فان اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض فلا تقبل منه وأهين[2]

فمن اشتغل بالسنن والنوافل وترك الفرائض فلا تقبل منه هذه العبادات المسنونة والنافلة بل تسبب الاهانة للفرائض -

---

١- اعلام الاعلام بأن هندوستان دار الاسلام للبريلوى (ط : بريلى) ص ٥،

٢- أعز الاكتناه فى رد صدقة مانع الزكوة للبريلوى (ط : بريلى) ص ١٠-١١

إن عقيدة الشيخ البريلوي واضحة جداً في الشريعة والطريقة فعند ما سئل الشيخ عن قول القائل : "بأن الطريقة عبارة عن الوصول إلى الله والشريعة هي مجموعة بعض الأوامر والنواهي" أجاب قائلا :

قول القائل بأن الطريقة عبارة عن الوصول إلى الله والشريعة هي مجموعة بعض الأوامر والنواهي: جنون وجهالة، وإنه يعرف كل ذي علم يسير بأن الطريق والطريقة بمعنى السبيل بالتأكيد فإذا انفك السبيل عن القرآن فلا يذهب إلى الله بل إنما يذهب إلى الشيطان ؛ ولا يذهب إلى الجنة بل يذهب إلى النار، لأن القرآن يطرد جميع السبل غير سبيل الشريعة"[1]

ويقول الشيخ البريلوي موضحا أهمية المرشد في جواب سؤال :

النجاة مقدرة في نهاية الأمر (ولو كانت بعد العذاب معاذ الله عنه) هذه عقيدة جميع أهل السنة ولا علاقة للنجاة بالبيعة للمرشد وكون الانسان مريداً فإنه يكفي اعتقاد النبي ﷺ مرشدا للنجاة في الآخرة"[2]

وقد أضاف الشيخ قائلا :

"الانسان يحتاج إلى المرشد للوصول إلى مرتبة الاحسان ولابد أن يكون له مرشد إيصال ولا يكفيه مرشد اتصال"[3]

أما عن موضوع الاستعانة والاستغاثة بالنبي ﷺ وبالأولياء

١- مقال العرفاء باعزاز شرع وعلماء للبريلوي (ط : كراتشي) ص ٧

٢- السنية الانيقة : للبريلوي ص ١٠

٣- السنية الانيقة : للبريلوي ص ١٤١

الصالحين فيراها الشيخ البريلوى جائزة ببعض الشروط حيث يقول رداً على الاستفتاء بهذا الخصوص :

"الاستعانة بالصالحين جائزة بشرط أن يراهم الانسان عباداً لله ، ووسيلة موصلة إلى حضرته ، والمدبرات أمرا بإذنه تعالى ، وأن يعتقد بأنه لا تستطيع ذرة أن تتحرك بدون إذنه تعالى، ولا يستطيع أحد أن يعطي حبة ، وأن يسمع حرفاً وأن يرد طرفا من العين إلا بتوفيقه تعالى وإعانته وإن هذا هو اعتقاد جميع المسلمين"[1]

لما رأى الشيخ بعض المسلمين يسجدون للقبور أفتى رحمه الله تعالى بأن سجود العبادة لغير الله شرك وعلى سبيل التعظيم والتبجيل حرام وقد صنف في هذه المسألة رسالة علمية تحت عنوان :

الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية
١٣٧٧هـ

يقول في هذه الرسالة :

"أيها المسلم المتبع للشريعة المصطفوية إعلم وتيقن أن السجدة تكون لله تعالى فقط، أما سجدة العبادة لغيره فشرك مهين وكفر مبين يقيناً وإجماعاً ، وأما سجدة التحية فمن كبائر المحرمات يقينا"[2]

احتج الشيخ البريلوى بموقفه من حرمة سجود الاجلال والتوقير بالآية

١- احكام شريعت : للبريلوى (ط : آگره) ص ٤

٢- الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية للبريلوى (ط : بريلى) ص ٥

القرآنية أولا[١] ثم عضد موقفه بأربعين حديثا[٢] ثم دعم رأيه بمائة وخمسين نصا من النصوص الفقهية[٣] -

وحيث كان بعض الناس يعلقون صور البراق الشريف فى بيوتهم وكانت هذه العادة موجودة فى عهد الشيخ البريلوى أيضا ، فكان رحمه الله تعالى يمنع الناس بالشدة عن تعليق صور البراق فى بيوتهم ولكنه يجيز تعليق صور روضة النبي ﷺ ويراه مستحبا[٤]

وحيث تعود المسلمون باقامة العرس (وهى حفلة بمناسبة مرور الحول السنوى على وفاة الشيوخ والأولياء الصالحين) وقراءة الفاتحة لاهداء الثواب للميت فى اليوم الثالث وكذلك فى اليوم الأربعين على انتقاله إلى رحمة الله تعالى، فالشيخ البريلوى يجوز ذلك ولكنه يفتى بعدم الضروره إلى التكلف بما لا يلزم شرعا هكذا سلك رحمه الله تعالى سبيل الاعتدال وقال بعد ما جوز الفاتحة :

والباق من التقاليد الفاسدة مثل تصنعات حفلات الزواج، وتفريش البسط الجيدة كل هذا من الأمور التى لا أساس لها ولو اعتقد بكثرة الثواب فى اليوم الثالث من الوفاة بقلة الثواب فى غير هذا اليوم فإنه مخطئ ، وليس توزيع الحمص ضروريا وإن لم يكن فى توزيعه بأس»[٥]

١- الزبدة الزكية للبريلوى ص ١٠-٧

٢- نفس المرجع السابق " ص ١٠-٢٥

٣- نفس المرجع السابق " ص ٢٥-٨٠

٤- شفاء الواله بصور الحبيب ومزاره ونعاله "

٥- الحجة الفائحة لطيب التعيين والفاتحة للبريلوى (ط : لاهور) ص ١٤

"الفاتحة وسيلة لاهداء الثواب للموتى والمؤمن ينال ثوابا بالنية مباشرة وعشرة أضعافها عند العمل"(١)

"أما ثواب الطعام فلو لم يكن الطعام حاضرا عند الدعاء فليس فى الأمر اشكال ، ولا يجوز الظن أن تقديم الطعام لايصال الثواب مثل لإرسال شىء بالبريد ، حيث أن المقصود الدعاء والابتهال إلى الله تعالى بأن يوصل الثواب للميت ولو اعتقد أحد أن الثواب لا يصل إلى الميت بدون تقديم الطعام عند الدعاء فهذا ظن فاسد"(٢)

ويقول رداً على سؤال هل يستطيع الانسان أن يقوم بإيصال الثواب لنفسه أم لا ؟ فأجاب الشيخ قائلا :

"نعم يستطيع ويمكن أن يتصدق على المحتاجين سرا ، أما هذا الأسلوب المعروف من تجهيز الطعام لضيافة العشيرة وفيهم الأغنياء فهذا أمر لا يناسب"(٣)

من البدع المعاصرة للشيخ ولنا جولان النسوة المتبرجات فى الحفلات ومواجهة غير المحارم ، والاجتماع فى بيت الميت والاقامة فيه لشبع البطن ، والذهاب إلى المقابر لزيارة القبور ، ومواجهة المشائخ من غير المحارم ، فقد عارض الشيخ البريلوى هذه البدع كلها ، ولما سئل الشيخ رحمه الله تعالى عن خروج المرأة إلى محارمها

١- الحجة الفائحة للبريلوى ص ١٥

٢- نفس المرجع السابق " ص ١٦

٣- الملفوظ للشيخ محمد مصطفى رضا خان ص ٤٥

وغير محارمها فكتب رسالة تحت عنوان :

مروج النساء لخروج النساء

١٣١٦هـ

قد أفتى الشيخ بمنع الاجتماع أو الأكل والشرب فى بيت الميت يوم الموت أو بعده وصنف رحمه الله تعالى رسالة تحت عنوان :

جلى الصوت لنهى الدعوة أمام الموت

١٣١٠هـ / ١٨٩٢م

ويقول رداً على سؤال عن خروج النسوة لزيارة القبور فكتب مجيبا :

يقول رسول الله ﷺ : "لعن الله زوارت القبور" رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن حسان بن ثابت والأولان والترمذى عن أبى هريرة[1]

وقد صنف رسالة فى الموضوع نفسه تحت عنوان :

جمل النور فى نهى النساء عن زيارة القبور

وقد استثنى زيارة الروضة النبوية من هذا النهى لأن حضور الرجال والنسوة فى رحاب الحبيب ﷺ ثابت من الأحاديث الشريفة فعند ما سئل عن حضور النسوة إلى ضريح حضرة شيخ المشائخ السيد معين الدين الجشتى رحمه الله تعالى فقال :

"قيل فى الغنية : لايسأل عن الجواز فى مثل هذا إنما يسئل عن مقدار ما يلحقها من اللعن ، واعلم أنها كلما قصدت

---

(١) السنية الأنيقة   للبريلوى   ص ٦٦

الخروج كانت فى لعنة الله وملائكته وإذا خرجت تحفها الشياطين من كل جانب وإذا أتت القبور يلعنها روح الميت وإذا رجعت كانت فى لعنة الله"

(غنية المستملي للحلبي (ط: لاهور) ص ٥٩٤)

فلا يجوز ذهاب النسوة إلى المقابر إلا قبر النبي ﷺ فإن زيارته قريبة بالواجب كما قال النبي ﷺ "من زار قبرى وجبت له شفاعتي" وفى حديث آخر: "من حج ولم يزرنى فقد جفانى"[١]

نسوة عصرنا هذا تلهين متبرجات بين أيدى مشائخهن ، فلا تستحيين ، ولا يمنعهن مشائخهن، ولما سئل شيخنا البريلوى عن هذا الأمر فقال:

"الحجاب فرض عن جميع غير المحارم، أمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ به ، وإن الشيخ لا يصير محرما لمريدته ، رغم أنه أبو الروح يقينا ، وإلا فمن يكون شيخا للأمة الاسلامية أكبر من النبي ﷺ ولو كانت المشيخة سببا لكون الانسان محرما لما جاز نكاح نبي بنسوة أمته"[٢]

ولما كان من التقاليد المعاصرة للشيخ إيقاد المصابيح وتدخين البخور بجوار القبور وتغشية القبور بالأردية فقد أصدر الشيخ فتاوى واضحة بشأنها، فعند ما سئل الشيخ رحمه الله تعالى عن إيقاد المصابيح على

١- الملفوظ | محمد مصطفى رضا خان | ٢/٠٠
٢- مسائل السمع | للبريلوى | ص ٣٢

القبور فقدم نصا من "الحديقة الندية" (٢/٦٣٠) للنابلسي :

"إخراج الشموع إلى رأس القبور بدعة وإتلاف مال"[١]

وقال بعد هذا :

"هذا الحكم إذا كان حمل الشموع إلى القبور بدون فائدة أو مصلحة ومنفعة ، أما إذا كانت فيه فائدة بأن يكون المسجد بجوار القبور أو كانت القبور في الطريق وهناك شخص جالس فهذا جائز"[٢]

ويقول رحمه الله تعالى موضحا لهذه القضية :

"الأصل أن مناط الأعمال على النيات كما قال رسول الله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات" والأمر الخالي عن فائدة دينية أو دنيوية عبث والعبث مكروه فإنفاق المال في العبث إسراف والاسراف حرام ، قال الله تعالى : ﴿ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين﴾ ولكن إفادة النفع للمسلمين مطلوب الشارع حيث يقول النبي ﷺ : "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه"[٣]

وعند ما سئل رحمه الله تعالى عن إيقاد اللبان والعود على القبور قال :

١- بريق المنار بشموع المزار للبريلوى (ط : لاهور) ص ٩

٢- نفس المرجع السابق " ص ٩-١٠

٣- احكام شريعت " ١/٣٨

"لابد من الاحتراز عن إيقاد اللبان والعود وأى شيء على القبور، ولو كان فى آنية ، لما فيه التفاؤل القبيح بطلوع الدخان على القبر والعياذ بالله تعالى" ـ

وأما إيقاد شيء بجوار القبر ، لا لتالى القرآن أو الذاكر او الزائر أو القادم ، بل للقبر فقط ، فهذا ممنوع وإسراف وإضاعة للمال ، والميت الصالح غنى عن نفحات الدنيا بسبب نفحات الجنة القادمة من النافذة الجنتية المفتوحة فى قبره[1]

وعند ما سئل الشيخ عن تغشية القبور بالأرديه قال :

"إذا كان رداء القبر فى حالة جيدة فتغشية القبر بالرداء الجديد عبث، بل ينبغى التصدق بقيمة الرداء الجديد للمحتاج لاهداء ثوابه إلى روح ذلك الولى[2]

وقد استند الشيخ فى فتاويه ضد تلك التقاليد الفاسدة على ضوء الاقتصاد الاسلامى وعلى أساس فكرة وقاية المال من الاضاعة يعنى إذا كانت هناك فائدة فى أمر فذلك جائز وأما إضاعة المال (من إيقاد المصابيح وتدخين البخور واللبان وتغشية القبور بالأردية عبثا) فهذا حرام وما جعل هذا الأصل والقاعدة أساسا بموضوع القبور فقط بل لجميع شئون الحياة ـ

ولما كان يكثر استخدام آلات الموسيقى بشكل القوالى[3] حتى

١ـ السنية الانيقة للبريلوى ص ٧٠

٢ـ احكام شريعت " ١/٣٨

٣ـ "القوالى" اسم للسماع وهذا الاسلوب من السماع مشتمل على ابيات الصوفية بالآلات الموسيقية فى الحمد والمدائح النبوية ومناقب الاولياء وهذا الاسلوب من السماع معروف ومنتشر فى شبه القارة الهندية والباكستانية .

فى بعض زوايا الصوفية أيضا ، وفى بعض الأحيان يسمع الناس القوالى بجوار المسجد ، خاصة فى بعض أعراس الأولياء[1] يعتنون بالقوالى كثيراً ويحضر بتلك الحفلات بعض النساء المتبرجات وهذا أمر مهين ومؤلم ، أفتى الشيخ البريلوى بعدم جواز هذه التقاليد المخالفة للشريعة الاسلامية فيقول فى جواب سؤال عن آلات الموسيقى :

"المزامير حرام على الاطلاق كما جاء فى الأحاديث وقد جاء النبى ﷺ لمنع المزامير"[2]

ولما سئل الشيخ عن المشاركة فى حفلة القوالى بالمزامير قال :

"هذا النوع من القوالى حرام والحاضرون كلهم مذنبون وإثمهم على مشرف القوالى والمغنين ، وإثم المغنين أيضا فى عنق صاحب الاشراف القوالى"[3]

وعند ما سئل عن المشاركة فى الأعراس المعروفة، أجاز بالشروط

١- "أعراس الاولياء" هى المناسبات الدينية للاولياء اعتاد المسلمون فى شبه القارة الهندية والباكستانية باقامة حفلات ايصال الثواب بمناسبة مرور الحول السنوى على وفاة المشائخ والاولياء ويسمونها بالعرس وفى هذه الحفلات يقومون بالمواعظ الحسنة لتذكير الاخرة وترغيب الاعمال الصالحة وتنفير البدع والمعاصى ويناقشون فضائل الاولياء وقد اخذوا فكرة العرس من حديث الرسول ﷺ عن حضور المنكر والنكير فى القبر وقولهما للميت الناجح فى جواب الاسئلة : "نم كنومة العروس" (انظر : مشكوة المصابيح للخطيب العمرى الجزء الاول ص ٢٥ (ط : دهلى)) ممتاز احمد السديدى

٢- مسائل السماع للبريلوى ص ٢٤

٣- احكام شريعت " ٢٣/١

والقيود الشديدة قائلا :

"العرس المعروف إذا كان خاليا من ازدحام النسوة المتبرجات مما يؤدى إلى اشتغال الناس برؤيتهن وكان خاليا من الأعمال الشركية ، وارتكاب المعاصى ، واللهو ، ورقص النسوة الفاحشات ، والمزامير فهذا جائز بلاريب. لأن الأمور بمقاصدها ، والأصل أن غرض عقد هذه الحفلة إهداء الثواب للميت المسلم بقراءة الفاتحة والقرآن الكريم"[1]

ولما كان الناس يرتكبون هذه الأمور بكثرة ، فقد رفض الشيخ هذه التقاليد، وأفتى بعدم جواز المشاركة فى الأعراس المشتملة على الأعمال القبيحة .

ولما كانت عادة بعض الناس أنهم يلعبون بالنيران فى حفلات الزواج وليلة نصف شعبان ويهتمون كثيرا بهذا الأمر، خاصة الأطفال فانهم يرغبون فيه ، قال الشيخ البريلوى مجيبا على الاستفتاء فى هذا الأمر:

"التلاعب الشائع حرام فى ليلة نصف شعبان كما فى حفلات الزواج" إن هذا التلاعب حرام وجرم لما فيه من إضاعة المال ، والقرآن الكريم يسميهم إخوان الشياطين كما قال الله تعالى : «ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين»[2]

ونهى الشيخ البريلوى عن المشاركة فى حفلة الزواج ذات الغناء

١ـ مواهب ارواح القدس لكشف حكم العرس : للبريلوى ص ٤

٢ـ هادى الناس فى رسوم الاعراس : " ص ٧

والمحرمات الشرعية ونصح الناس بقوله :

"يلزم على المسلمين أن يبتعدوا عن الحضور والمشاركة في حفلة توجد فيها المحرمات المنهى عنها شرعا"[١]

المشاركة في مثل هذه الحفلات تشجيع لأصحابها ، ولعل هذا الامر أيضا سبب من أسباب مقاطعة مثل هذه الحفلات ـ

ولما انتشر الاسراف في بيئتنا بل رسخ في طبائعنا فاشتغل الناس فيه فهم يشجعون الآخرين على الاسراف ويحسدونهم عليه أيضا ـ

حتى كدنا أن نفقد البصر والبصيرة ، ألقى الشيخ البريلوى ضوءاً على هوان الملة وضياعها متحسراً فقال :

"القلب يدعو إلى الخير ما دام نقيا طيبا ، ويعمى بكثرة المعاصي وارتكاب البدع معاذ الله عنها ، فلا تبقى فيه موهبة رؤية الحق وفهمه والتفكير فيه ، وإن كان الاستعداد باقيا"[٢]

نعوذ بالله تعالى من البدع والمعاصي وعمى القلب وندعو الله تبارك وتعالى أن يديم قلوبنا نقية طيبة مليئة بحبه وحب حبيبه ﷺ ، وجزى الله عنا الشيخ البريلوى الذى قام بمقاومة البدع والرد عليها ـ

١ـ هادى الناس فى رسوم الاعراس للبريلوى ص ٢

٢ـ الملفوظ للشيخ محمد مصطفى رضا خان ٣/٤٤

الباب الاول

الحیاۃ الخالدۃ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى خصوصاً على سيدنا ومولانا محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه اجمعين .

حيات الاموات

قال الله تعالى ﴿كل نفس ذائقة الموت[1]﴾ وهذا امر قطعي لاشك فيه ، واختلف في ان الانسان هل يبقى له ادراك لـذة الثواب والم العقاب بعد الموت ام لا ؟ فذهب بعض المعتزلة والروافض الى ان جسم الانسان جماد محض لا ادراك له .

قال العلامة التفتازاني :

وانكر عذاب القبر بعض المعتزلة والروافض لان الميت جماد لا حياة له ولا ادراك فتعذيبه محال[2] .

وعند اهل السنة يعطى له نوع من الحياة يدرك به الثواب والعقاب

قال العلامة ابن القيم :

قال شيخ الاسلام : الاحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح الى البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلاروح قول قاله طائفة من الناس وانكره الجمهور[3].

١ـ القرآن : ٣/١٨٥

٢ـ مسعود بن عمر التفتازاني ، العلامة : شرح العقائد (مطبع شوكة الاسلام ، لكنؤ) ص ٧٧

٣ـ محمد بن القيم الجوزية: كتاب الروح (حيدر آباد، دكن) ص ٨٣

قال العلامة ابن تيمية :

فاما استماع الميت للاصوات من القراءة وغيرها حق (الى ان قال) وكذلك قد ذكر طائفة من العلماء من اصحاب احمد وغيرهم ونقلوه عن احمد وذكروا فيه آثارا "ان الميت يتالم عما يفعل عنده من المعاصي" . فقد يقال ايضا : انه يتنعم بما يسمعه من القراءة وذكر الله[1].

قال القاضي الشوكاني :

ان مطلق الادراك كالعلم والسماع ثابت لسائر الموتى[2] .

وهذا اثبات العلم والسماع لكل ميت ، مسلما كان او كافرا .

والعلامة ابن القيم استدل على اثبات سماع الموتى بالاحاديث
حيث يقول :

وثبت عنه ﷺ ان الميت يسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا عنه وقد شرع النبي ﷺ لامته اذا سلموا على اهل القبور ان يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولو لا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد[3].

اعترض عليه لسوء فهمه احسان الهي ظهير بقوله لا دليل فيه لانه

١ـ ابن تيمية الحراني ، العلامة : اقتضاء الصراط المستقيم (ط لاهور) ص ٣٧٩

٢ـ محمد بن علي الشوكاني : نيل الاوطار (مصطفى البابي ، مصر) ٣/٢٨٢

٣ـ محمد بن القيم الجوزية : كتاب الروح (حيدر آباد ، دكن) ص ٤

كثيرا ما يخاطب من لايسمع ، كمخاطبة الرسول ﷺ الهلال حين يراه بقوله ربي وربك الله (رواه الترمذى)[١] .

فقد ظهر من هذه التصريحات ان العلم والسماع ثابت لجميع الاموات وان الميت يسمع التلاوة وسلام الزائر ـ ولا ندعى ان كل ميت له حياة دنياوية بحيث يحتاج الى الاكل والشرب ، لان علاقات الروح بالجسم على انحاء .

قال العلامة ابن القيم :

ان الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق، متغايرة الاحكام (الى ان قال) الرابع تعلقها به فى البرزخ ، فانها وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لايبقى لها التفات اليه البتة وقد ذكرنا فى اول الجواب من الاحاديث والآثار مـا يدل على ردهـا اليه وقت سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة[٢] .

(اى الحياة الكاملة)

قال ابن القيم فى افتتاح كتاب الروح :

المسئلة الاولى وهى هـل تعرف الأموات زيارة الأحيـاء وسلامهم أم لا ؟

اتى فيهـا باحـاديث متعددة دالة على ان اصحاب القبور يعرفون الزائرين ويردون عليهم السلام ، وصرح فيها :

١ـ احسان الهى ظهير : البريلوية ، ص : ٧٨

٢ـ محمد بن القيم الجوزية : كتاب الروح ، ص ٧١ـ٢

والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بان الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به[1] .

قوة الرؤية والسماع للاولياء الكاملين

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ان الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدي بشيء احب الى مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احببته فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه[2] .

قال الامام الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ام حسبت ان اصحاب الكهف﴾ الآية :

وكذلك العبد اذا واظب على الطاعات بلغ الى المقام الذي الذي يقول الله كنت له سمعا وبصرا فاذا صار نور جلال الله سمعا له سمع القريب والبعيد واذا صار ذلك النور بصرا له رأى القريب والبعيد واذا صار ذلك النور يدا له قدر على التصرف في الصعب والسهل والبعيد والقريب[3] .

١- محمد بن القيم الجوزية : كتاب الروح ، ص ٤

٢- محمد بن اسماعيل البخاري ، الامام : الجامع الصحيح للبخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع (كراتشي) ٩٦٣/٢

٣- فخرالدين الرازي ، الامام : التفسير الكبير (طبع جديد ، عبدالرحمن محمد ، مصر) ٨٦١/٢١

ولاشك ان الله تعالى يمنح اوليائه انعاما واعظاما قوة فى جوارحهم متعالية عن افهام عامة الناس ، فهم يتميزون عن العوام فى الدنيا والآخرة .

قال العلامة المحقق على القارى فى شرح حديث "ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء" ما نصه :

ولذا قيل اولياء الله لا يموتون ولكن ينتقلون من دار الى دار[1] .

وقال فى شرح حديث "وصلوا على فان صلوتكم تبلغنى حيث كنتم" :

قال القاضى (عياض) وذلك ان النفوس الزكية القدسية اذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الاعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل كالمشاهد بنفسها او باخبار الملك لها وفيه سر يطلع عليه من تيسر له[2] .

وبمثله صرح المحدث الجليل الشاه ولى الله المحدث الدهلوى فى الجزء الثانى من التفهيمات الالهية حيث قال :

ان الشيخ عبدالقادر (الجيلى) له شعبة من السريان فى العالم وذلك انه لما مات صار بهيئة الملأ الاعلى وانطبع فيه الوجود السارى فى العالم كله فحصل من هذا الوجه روح فى طريقته[3] .

١- على بن السلطان القارى، العلامة : مرقاة المفاتيح (مطبوعه ملتان) ٢٤١/٣

٢- ايضا : ٢٤٢/٢

٣- محمد نورالحق العلوى : حاشية الهمعات (ط حيدر آباد، باكستان) ص ٦٢

وقال النواب صديق حسن البوفالى من رؤساء اهل الحديث:
الاولياء لا يأمنون فى الدنيا من خوف العزل والخاتمة اما
اذا ماتوا على الايمان فهم اهل الايمان والولاية[1] .

فعلم من اقوال هذه العلماء ان القوى التى اعطاهم الله تعالى
فى الدنيا حاصلة لهم بعد الوفاة غير مختصة بحياة الدنيا ، فان
ولايتهم باقية فتبقى ثمراتها ايضا .

حيات الشهداء

حيات الشهداء منصوصة فى القرآن الكريم قال الله تعالى :

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند
ربهم يرزقون[2]﴾ .

قال العلامة الشوكانى فى تفسيره :

ومعنى الآية عند الجمهور انهم احياء حياة محققة ثم اختلفوا
فمنهم من يقول انها ترد اليهم ارواحهم فى قبورهم فيتنعمون
وقال مجاهد يرزقون من ثمر الجنة اى يجدون ريحها وليسوا
فيها وذهب من عدا الجمهور الى انها حياة مجازية والمعنى
انهم فى حكم الله مستحقون للتنعم فى الجنة والصحيح الاول

١ـ صديق حسن ، النواب   بغية الرائد فى شرح العقائد (مطبوع كوجرانواله) ص ٨٧-٨٨

٢ـ القرآن :   ٣/١٦٩

ولا موجب للمصير الى المجاز[1] .

وقال فى تفسير قوله تعالى عند ربهم يرزقون :

المراد بالرزق هنا هو الرزق المعروف فى العادات على ما ذهب اليه الجمهور كما سلف وعند من عدا الجمهور المراد به الثناء الجميل ، ولا وجه يقتضى تحريف الكلمات العربية فى كتاب الله وحملها على مجازات بعيدة لا لسبب يقتضى ذلك[2] .

حيات الانبياء عليهم السلام

قد ثبت مما سبق ان معنى قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون ان الشهداء احياء حقيقة يرزقون الرزق المعروف فالانبياء ايضا احياء حقيقة يرزقون الرزق المعروف، لان الشهداء انما وصلوا الى المقام الرفيع والحياة الدائمة بمتابعتهم فهم اولى بهذه الحياة بل حياتهم ارفع واعلى .

قال القاضى ثناء الله البانى پتى :

فذهب جماعة من العلماء الى ان هذه الحياة مختصة بالشهداء والحق عندى عدم اختصاصها بهم بل حياة الانبياء اقوى منهم واشد ظهورا آثارها فى الخارج حتى لايجوز النكاح بازواج النبى ﷺ بعد وفاته بخلاف الشهيد والصديقون ايضا

١ـ محمد بن على الشوكانى : تفسير فتح القدير (دار المعرفة ، بيروت) ١/٣٩٩

٢ـ ايضا : ١/٣٩٩

اعلى درجة من الشهداء والصالحون يعنى الاولياء ملحقون بهم كما يدل عليه الترتيب فى قوله تعالى من النبين والصديقين والشهداء والصالحين ولذلك قالت الصوفية العلية ارواحنا اجسادنا واجسادنا ارواحنا وقد تواتر عن كثير من الاولياء انهم ينصرون اوليائهم ويدمرون اعدائهم ويهدون الى الله تعالى من يشاء الله تعالى[1] .

فقد اثبت الشيخ القاضى بهذا التقرير حياة الانبياء بعد الوفاة بل حياة الصديقين والاولياء ايضا وصرح ان نصرتهم واعانتهم جارية باذن الله تعالى .

قال القاضى الشوكانى :

وورد النص فى كتاب الله فى حق الشهداء انهم احياء يرزقون والحياة فيهم متعلقة بالجسد فكيف بالانبياء والمرسلين وقد ثبت فى الحديث ان الانبياء احياء فى قبورهم رواه المنذرى وصححه البيهقى[2] .

على ان الله تعالى اكرم نبينا ﷺ بالشهادة المعنوية فانه ﷺ توفى من اجل السم الذى اطعمته اليهودية بخيبر .

واخرج البخارى والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها :

١- محمد ثناء الله البانى بتى ، القاضى : تفسير مظهرى (لندوة المصنفين ، دهلى) ١٥١/١

٢- محمد بن على الشوكانى ، القاضى : نيل الاوطار (مصطفى البابى ، مصر) ٢٨٢/٣

كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي توفي فيه: لم ازل اجد ألم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطع ابهري من ذلك السم[1] .

وقال في حق الشهداء ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات .

قال الحافظ السيوطي :

فثبت كونه حيا في قبره بنص القرآن اما من عموم اللفظ واما من مفهوم الموافقة[2] .

يعني تثبت حياته بعموم القرآن لو اعتبرنا الشهادة المعنوية والا فبمفهوم الموافقة .

قال العلامة القسطلاني في المواهب :

ونقل السبكي في طبقاته عن ابن الفورك انه عليه السلام حي في قبره ، رسول الله ابد الآباد على الحقيقة لا المجاز.

قال العلامة الزرقاني في شرحه :

اي في جميع الازمنة ، الصادق بما بعد موته الى قيام الساعة ، لحياته في قبره يصلي فيه باذان واقامة ، قال ابن عقيل الحنبلي ويضاجع ازواجه ويستمتع بهن اكمل من الدنيا وحلف على ذلك ـــــ وهو ظاهر ولا مانع منه[3].

١ـ عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي : الحاوي للفتاوى (دار الكتب العلمية ، بيروت) ٢/١٤٩
الامام

٢ـ ايضا : ٢/١٤٩

٣ـ محمد بن عبدالباقي الزرقاني : شرح المواهب اللدنية (طبع ١٠٢٢هـ) ٦/١٩٦

والعجب ممن يعترض على هذا القول لجهله ، مع انه ورد فى الحديث "القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران" فقبره ﷺ روضة من رياض الجنة بلا مرية فما المانع من لقاء الازواج رضي الله عنهن . وفى التنزيل ولهم فيها ازواج مطهرة[١] (الآية)

الاحاديث

قال القاضي الشوكانى :

فى الحديث الصحيح الانبياء احياء فى قبورهم صححه البيهقى والف فى هذه المسئلة جزء[٢] .

عن ابي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ اكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود يشهده الملائكة وان احدا لم يصل على الا عرضت على صلوته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت؟ قال :

ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء فنبي الله حي يرزق[٣] .

(رواه ابن ماجة فى آخر باب كتاب الجنائز)

ورواه الطبرانى عن ابي الدرداء وفيه :

ليس من عبد يصلى على الا بلغني صوته حيث كان[٤] .

١- القرآن : ٢/٢٥

٢- محمد بن على الشوكانى ، القاضي : نيل الاوطار ، ٥/١٠٨

٣- محمد بن يزيد بن ماجة ، الامام : سنن ابن ماجة (نور محمد كراتشي) ص: ١١٨

٤- ابن القيم الجوزية : جلاء الافهام (ط فيصل آباد) ص ٦٣

(ب) احمد بن حجر المكى : الجوهر المنظم (ط لاهور) ص : ٢١

قال القاضي الشوكانى :

والاحاديث فيها مشروعية الاكثار من الصلاة على النبى ﷺ يوم الجمعة وانها تعرض عليه ﷺ وانه حى فى قبره[1] .

ثم قال :

وقد ذهب جماعة من المحققين الى ان رسول الله ﷺ حى بعد وفاته وانه يسر بطاعات امته وان الانبياء لا يبلون مع ان مطلق الادراك كالعلم والسماع ثابت لسائر الموتى[2] .

قال العلامة على القارى فى شرح قوله ﷺ فنبى الله حى يرزق :

فنبى الله يحتمل الجنس والاختصاص بالفرد الاكمل والظاهر هو الاول لانه رأى موسى قائما يصلى فى قبره وكذلك ابراهيم كما فى حديث مسلم وصح خبر "الانبياء احياء فى قبورهم يصلون" قال البيهقى وحلولهم فى اوقات مختلفة فى اماكن متعددة جائز عقلا كما ورد به خبر الصادق[3] .

الشواهد

قد وجد فى كتب الحديث والتفسير والسيرة شواهد كثيرة دالة

١ـ محمد بن على الشوكانى ، القاضى : نيل الاوطار ، ٣/٢٨٢

٢ـ ايضا : ٣/٢٨٢

٣ـ على بن سلطان محمد القارى ، العلامة : مرقاة المفاتيح (مطبوعة ملتان) ٣/٢٤١

على حياة نبينا ومولانا محمد ﷺ ، نذكر نبذا منها .

قال الشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوى :

ان آخرمن خرج من قبره ﷺ (عند دفنه) وهو يقول رأيته ﷺ فى القبر يحرك شفتيه فادنيت اذنى لا ستمع فاذا هو يقول :

رب امتى امتى[1]

قال الحافظ الكبير ابو نعيم احمد بن عبدالله الاصبهانى (م٤٣٠هـ) :

عن سعيد بن المسيب قال رأيتنى ليالى الحرة وما فى مسجد رسول‌الله ﷺ غيرى وما يأتى وقت صلوة الا سمعت الاذان من القبر ثم اتقدم فاقيم واصلى وان اهل الشام ليدخلون المسجد زمرا فيقولون انظروا الى الشيخ المجنون[2] .

ورواه الامام ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى (م٢٥٥هـ) عن سعيد بن عبدالعزيز قال :

لما كان ايام الحرة لم يؤذن فى مسجد النبي ﷺ ثلاثا ولم يقم ، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلوة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي

١- عبدالحق المحدث الدهلوى ، الشيخ المحقق : مدارج النبوة فارسى (مكتبه نوريه رضويه، سكهر) ٢/٤٤٢

٢- ابو نعيم احمد بن عبدالله الاصبهانى ، الحافظ دلائل النبوة (عالم الكتب ، بيروت) ص ٣٠٦

صلى الله عليه وسلم[1] .

قال العلامة ابن تيمية :

ولايدخل في هذا الباب ما يروى من ان قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ او قبور غيره من الصالحين وان سعيد بن المسيب كان "يسمع الاذان من القبر ليالى الحرة" ونحو ذلك ، فهذا كله حق ليس مما نحن فيه ، والامر اجل من ذلك واعظم[2] .

قال الامام العلامة ابوالبركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفي :

قيل جاء اعرابي بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان في ما انزل عليك: ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفرالله من ذنبي فاستغفرلي من ربي فنودى من قبره قد غفر لك[3] .

ورواه الامام ابو عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبي في تفسيره باختلاف يسير[4] .

١ـ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، سنن الدارمي (دار المحاسن ، القاهرة) الامام : ١/٤٣

٢ـ ابن تيمية العلامة : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٣٧٣

٣ـ عبدالله بن احمد النسفي، الامام : تفسير النسفي (دارالكتاب العربي، بيروت) ١/٢٣٤

٤ـ محمد بن احمد القرطبي ، الامام : الجامع لاحكام القرآن (دار احياء التراث العربي ، بيروت) ٥/٢٦٥

قال الامام فخرالدين الرازى :

واما ابو بكر رضى الله عنه فن كراماته انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبى ﷺ ونودى السلام عليك يا رسول الله ، هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد انفتح واذا بهاتف يهتف من القبر :

ادخلو الحبيب الى الحبيب[1]

اقوال الائمة الاعلام

اقوال الائمة فى حياة نبينا ﷺ بلغت فى الكثرة الى حد يتعذر استقصائها ولنكتف على بعضها .

قال الامام العلامة ابن الحاج :

وقد قال علمائنا رحمهم الله عليهم : ان الزائر يشعر نفسه بانه واقف بين يديه عليه الصلوة والسلام كما هو فى حياته اذ لافرق بين موته وحياته، اعنى فى مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلى لاخفاء فيه[2] .

وبعينه صرح العلامة القسطلانى شارح البخارى فى المواهب[3].

١- ابو عبدالله محمد بن عمر ، فخرالدين الرازى : التفسير الكبير (عبدالرحمن محمد ، مصر) ٨٦/٢١

٢- ابن الحاج ، الامام : المدخل (دار الكتاب العربي ، بيروت) ٢٥٢/١

٣- احمد بن محمد القسطلانى، العلامة : المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى (مطبوعة مصر ١٢٩٢هـ) ٣٤٨/٨

قال الامام العلامة الحافظ السيوطي فى رسالته "تنوير الحلك فى امكان رؤية النبي والملك" :

فحصل من مجموع هذا النقول والاحاديث ان النبي ﷺ حي بجسده وروحه وانه يتصرف ويسير حيث شاء فى اقطار الارض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شئ وانه مغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة مع كونهم احياء باجسادهم فاذا اراد الله رفع الحجاب عمن اراد اكرامه برؤيته رآه على هيئته التى هو عليها ، لا مانع من ذلك ولا داعى الى التخصيص برؤية المثال[1] .

قال العلامة المحقق على القارى فى شرح الشفاء فى شرح حديث

"ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام" :

والمعنى ان الله سبحانه يرد روحه الشريف على استغراقه المنيف (اى فى مشاهدة انوار ربه) ليرد على مسلمه جبرا لخاطره الضعيف والا فمن المعتقد المعتمد انه ﷺ حي فى قبره كسائر الانبياء فى قبورهم وهم احياء عند ربهم وان لارواحهم تعلقا بالعالم العلوى والسفلى كما كانوا فى الحال الدنيوى فهم بحسب القلب عرشيون وباعتبار القالب فرشيون[2] .

١- عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى، الحاوى للفتاوى (دار الكتب العلمية ، بيروت) ٢/٢٦٥ الامام :

٢- على بن سلطان محمد القارى ، الامام : شرح الشفاء (دارالفكر، بيروت) ٢/٤٩٩

قال العلامة السيد محمود الآلوسي :

والحديث بتمامه عند الطبرانى ما من نبي يموت فيقيم فى قبره الا اربعين صباحا حتى ترد اليه روحه ومررت ليلة اسرى بي بموسى وهو قائم يصلي فى قبره وهو على هذا لا يدل على انه لا يقيم فى قبره بل يخرج منه وانما يدل على انه لا يبقى فى القبر ميتا كسائر الاموات اكثر من اربعين صباحا بل ترد اليه روحه ويكون حيا واين هذا من دعوى الخروج من القبر بعد الاربعين والحياة فى القبر لا تستلزم الخروج وانا اقول بها فى حق الانبياء عليهم السلام[1].

والروايات فى تلك المدة مختلفة ، قال العلامة السيوطى :

وقال امام الحرمين فى النهاية ثم الرافعى فى الشرح : روى ان النبي ﷺ قال : انا أكرم على ربي من ان يتركنى فى قبري بعد ثلاث – زاد امام الحرمين – وروى اكثر من يومين ، وذكر ابو الحسن الزاغونى الحنبلي فى بعض كتبه حديثا ان الله لا يترك نبيا فى قبره اكثر من نصف يوم[2].

قال الشيخ المحقق الشاه عبدالحق المحدث الدهلوى :

وحياة الانبياء متفق عليها لا اختلاف لاحد فيها وهي حياة جسمانية دنياوية حقيقية لامعنوية روحانية كالشهداء[3].

١– السيد محمود الآلوسي، العلامة : روح المعانى (تهران ، ايران) ٢٢/٣٦

٢– عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي الحاوى للفتاوى ، ٢/٢٦٤ الامام :

٣– عبدالحق المحدث الدهلوى ، الشيخ المحقق اشعة اللمعات (المكتبة النورية الرضوية ، سكهر) ١/٥٧٤

قال الشاه ولى الله المحدث الدهلوى :

ففطنت ان له خاصية من تقويم روحه بصورة جسده عليه الصلوة والسلام وانه الذى اشار اليه ﷺ بقوله ان الانبياء لا يموتون وانهم يصلون ويحجون فى قبورهم وانهم احياء الى غير ذلك[1] .

قال الامام احمد رضا القادرى القندهارى الافغانى ثم البريلوى :

التزم الفقير غفرله المولى القدير فى هذه الرسالة (المسماة بحيات الموات فى سماع الاموات) ان لا يذكر آثارا واحاديث واقوال العلماء المتقدمين والمتاخرين ، التى تدل على خصوص الحياة العلية والعلم العظيم والسمع الجليل والبصر الكريم ، لسيد العالم ، الحى الباقى ، الروح المجسم ﷺ لثلاثة اوجه :

١ـ حسن الظن بالمسلمين ، ان احدا ممن يتكلم بكلمتى الشهادة لا يعده ﷺ مثل سائر الاموات .

٢ـ والله لقد استحيي الفقير ان يدخل من قبل نفسه اسمه ﷺ فى مثل هذا البحث ، بحث لا ونعم ، ولو اجترأ المخالف على الانكار فلابد من كشف الحق .

٣ـ فى هذا المبحث بلغت الدلائل الى كثرة يعجز نطاق النطق عن بيانها ، ثم الاكتفاء على هذه الاقوال شاف ، فان من كان عبيده بهذا الشان فما ظنك به ؟ اذ لا شك ان

١ـ الشاه ولى الله المحدث الدهلوى : فيوض الحرمين (مطبوع كراتشى) ص ٨٤

هذه المدارج والمعارج انما حصلت لهم بسببه ﷺ[1] .

من بلد الله الحرام

قال المحدث الجليل ، من اجلة علماء مكة . فضيلة الشيخ محمد علوى المالكى :

الحياة البرزخية حياة حقيقية وهذا ما دلت عليه الآيات البينات والاحاديث المشهورة الصحيحة .

وهذه الحياة الحقيقية لاتعارض وصفهم بالموت كما جاء ذلك فى كتاب الله العزيز اذ يقول ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ ويقول ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾ . ان معنى قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقية اى ليست خيالية او مثالية كما يتصورها بعض الملاحدة ممن لا تتسع عقولهم للايمان الا بالمشاهد المحسوس دون الغيب الذى لا يطيق العقل البشرى تصوره ولا تسليم كيفيته لقدرة الله جل جلاله، ان وقفة تأمل قصيرة عند قولنا عن الحياة البرزخية بانها حقيقية لا تبقى من الاشكال ادنى ذرة حتى عند من يقصر فهمه وذوقه عن تعقل المعانى فكلمة [حقيقية] ليست الا لنفى الباطل وطرد الوهم ونفى الخيال الذى قد يقع فى ذهن الانسان المتشكك المرتاب فى احوال عالم البرزخ وعالم الآخرة وغيرها من العوالم الاخرى كالنشر والبعث والحشر

١ـ احمد رضا البريلوى ، الامام : الفتاوى الرضوية (ط مباركفور ، الهند) ٣٠٥/٤

والحساب ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ولقد تظافرت الاحاديث والآثار التي تثبت بان الميت يسمع ويحس ويعرف سواء كان مؤمنا ام كافرا[1] .

وصرح العلامة العلوى بان حياة الانبياء اجل واعلى ولا تحتاج الى اثباتها :

ذكرنا فيما تقدم ان الحياة البرزخية حياة حقيقية وان الميت يسمع ويحس ويعرف سواء اكان مؤمنا ام كافرا وان الحياة والرزق ودخول الارواح الجنة ليس مختصا بالشهيد كما دلت على ذلك النصوص الثابتة . وهذا هو الصحيح الذي عليه الائمة وجماهير اهل السنة ومن هنا فان القول بحياة الانبياء من فضول القول وهو امر ظاهر كالشمس لايحتاج الى اثبات بل ان الصواب هو ان تقرر بان حياتهم

اكمل واجل واتم واعظم وهكذا حياةالناس على ظهر الارض في الدنيا فانها درجات ومقامات ومراتب متفاوته[2] .

وقال بعد ما ساق احاديث تدل على حياة الانبياء عليهم السلام :

الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بان موت الانبياء انما هو راجع الى انهم غيبوا عنا بحيث لاندركهم وان كانوا موجودين احياء وذلك كالحال في الملائكة فانهم احياء موجودون ولا نراهم[3] .

١ـ محمد علوى المالكي ، العلامة : مفاهيم يجب ان تصحح (ط دوبئي) ص ١٥٩

٢ـ ايضا : مفاهيم ، ص ١٦٥

٣ـ ايضا : مفاهيم ، ص ١٧١

علماء ديوبند

قال شيخهم المحدث خليل احمد الانبيتوى فى رسالته المهند وعليها تصديقات وتوقيعات لاربعة وعشرين عالما من اكابرهم، منهم الشيخ اشرف على التانوى والشيخ محمود حسن ، ونصه مايلى :

عندنا وعند مشائخنا حضرة الرسالة ﷺ حى فى قبره الشريف وحياته ﷺ دنيوية من غير تكليف وهى مختصة به ﷺ وجميع الانبياء صلوات الله عليهم والشهداء لا برزخية كما هى حاصلة لسائر المؤمنين بل لجميع الناس[١] .

وللشيخ محمد قاسم النانوتوى مؤسس دارالعلوم ديوبند ، تحقيق منفرد حيث يقول :

ان حياة النبى ﷺ ذاتية لاتقبل الزوال وحياةالمؤمنين امر عرضى تقبله فلهذا لا تكون حياة النبى ﷺ زائلة عند الموت بل مستورة وتزول حياة المؤمنين جميعها او نصفها او ثلثها فعلى تقدير كون التقابل بين الموت والحياة العدم والملكة تستتر حياة النبى ﷺ كما ان نور الشمس يستتر عند الكسوف ولا يزول على مزعوم الحكماء[٢].

١- خليل احمد الانبيتوى : المهند (كتب خانه رحيمية ، ديوبند) ص ١٣

٢- محمد قاسم النانوتوى : آب حيات (مطبع مجتبائى ، دهلى) ص ٢٠٨-٩

وهـذا تحقيق تفرد فيه عن سائرالعلماء .

كلمة الختام

ولنختم هذا المبحث بتصريح عقيدة طريان الموت على الانبيـاء عليهم السلام وقبض ارواحهم ، فـان المعـاندين ينسبون الانكار الى اهل السنة والجماعة افتراء ، قـال غزالى العصر، فضيلة الشيخ العلامة السيد احمد سعيد الكاظمى رحمه الله تعالى :

> من انكرالموت وقبض الروح مطلقا فى حق الانبياء عليهم السلام فهو منكـر للنصوص القـرآنيـة والاحـاديث المتواترة، خارج عن دائرة الاسلام قطعا[1]

قال الامام احمد رضا القادرى الافغانى ثم البريلوى :

انبياء کو بھی اجل آنی ہے — مگر ایسی کہ فقط آنی ہے

پھر اسی آن کے بعد ان کی حیات — مثل سابق وہی جسمانی ہے

روح تو سب کی ہے زندہ ان کا — جسم پر نور بھی روحانی ہے

اس کی ازواج کو جائز ہے نکاح — اس کا ترکہ بٹے جو فانی ہے

یہ ہیں حی ابدی ان کو رضا — صدق وعدہ کی قضا مانی ہے[2]

١ـ احمد سعيد الكاظمى ، العلامة السيد : حيات النبى (مكتبه فريديه ، ساهيوال) ص : ٧٨

٢ـ احمد رضا القادرى الامام : حدائق بخشش ٢/٥٤

١ـ ان اجل الانبياء لآت ، الا انه لساعة يسيرة فقط .

٢ـ ثم بعد ذلك حياتهم جسمانية مثل السابق .

٣ـ روح كل انسان حى، ولكن اجسام الانبياء النورانية ايضا روحية.

٤ـ انما يجوز نكاح ازواج من كان فانيا وتقسم تركته (ونبينا ﷺ حى ولهذا لا يجوز النكاح لازواجه ولا تقسم تركته) .

٥ـ ايها الرضا ! هؤلاء احياء ابدا ، متقيدون بصدق قضاء الله تعالى ووعده .



الباب الثاني

المعجزة وكرامات الأولياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ؛ وهو المتصرف الحقيقى فى الكون، والصلوة والسلام على خير خلقه وسيد رسله الذى ايده بالمعجزات الباهرة والحجج القاهرة وعلى آله واصحابه واولياء امته ذوى البركات والكرامات السامية .

الاختيار الانسانى

فى الافعال الاختيارية للعباد مذاهب مختلفة ، منها هذه الثلاثة المعروفة :

١ـ قالت المعتزلة ان العبد خالق لافعاله الاختيارية .

٢ـ الجبرية ذهبوا الى انها محض خلق الله تعالى، لامدخل للعباد فيها ولا اختيار ، والعبد بمنزلة الجماد .

٣ـ ذهب الشيخ ابوالحسن الاشعرى، امام اهل السنة الى ان فعل العبد مخلوق لله تعالى وللعبد قدرة موهوبة من الله تعالى اذا صرفها الى الفعل خلق الله تعالى ذلك الفعل، فالله تعالى خالقه والعبد كاسبه[1] .

الخلق والكسب

العلامة التفتازانى كشف القناع عن الفرق بين الخلق والكسب بقوله :

١ـ عبدالعزيز البرهاروى ، العلامة : النبراس (الشاه عبدالحق المحدث الدهلوى اكادمى ، بنديال) ص ٧٢ .

ان صرف العبد قدرته وارادته الى الفعل كسب ، وايجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلق ، والمقدور الواحد داخل تحت القدرتين ، لكن بجهتين مختلفتين فالفعل مقدور الله تعالى بجهة الايجاد ومقدور العبد بجهة الكسب[1] .

فان توهم احد ان هذا شرك ، فان الله تعالى قادر والعبد ايضا قادر فنقول : ان الفرق بين القدرتين ظاهر مع ان قدرة العبد من عطاء الله تعالى وخلقه فكيف الاشراك ؟ وهكذا لو قال احد يلزم ان يكون الله تعالى معطلا ، معزولا عند تسليم قدرة الانسان واختياره لم يصلح لان يلتفت اليه ، لانا لو انكرنا قدرة الانسان رأسا يلزمنا اختيار مذهب الجبرية والقول بان الانسان جماد محض .

اقسام الخوارق

يصدر من الانسان افعال كثيرة عادية وبعض منها تكون على خلاف العادة وتسمى خوارق ، وهي على انحاء وعلى يد اى مدع تظهر الخوارق ؟ فصله الامام الرازى حيث قال :

١ـ ادعاء الالهية وجوز اصحابنا ظهور خوارق العادات على يده من غير معارضة ، كما نقل ان فرعون كان يدعي الالهية وكانت تظهر خوارق العادات على يده وكما نقل ذلك ايضا فى حق الدجال، قال اصحابنا: وانما جاز ذلك لان شكله وخلقته تدل على كذبه، فظهور الخوارق على يده لايفضي الى التلبيس.

٢ـ ادعاء النبوة فان كان صادقا وجب ظهور الخوارق على يده

١ـ مسعود بن عمر التفتازاني، العلامة : شرح العقائد (ط : لكهنؤ) ص ٦٥ـ٦٦

وهذا متفق عليه بين كل من اقر بصحة نبوة الانبياء .

٣- وان كان كاذبا في دعواه لم يجز ظهور الخوارق على يده وبتقدير ان تظهر وجب حصول المعارضة .

٤- وهو ادعاء الولاية والقائلون بكرامات الاولياء اختلفوا في انه هل يجوز ان يدعى الكرامات ثم انها تحصل على وفق دعواه ام لا ؟

٥- وهو ادعاء السحر وطاعة الشيطان فعند اصحابنا يجوز ظهور خوارق العادات على يده وعند المعتزلة لا يجوز .

٦- وهو ان تظهر خوارق العادات على يد انسان من غير شئ من الدعاوى فذلك الانسان اما ان يكون صالحا مرضيا عند الله وهو القول بكرامات الاولياء ، وقد اتفق اصحابنا على جوازه وانكرها المعتزلة الا ابا الحسين البصرى وصاحبه محمود الخوارزمي .

٧- وهو ان تظهر خوارق العادات على بعض من كان مردودا عن طاعة الله فهذا هو المسمى بالاستدراج[1] .

والعلامة عبدالعزيز الفرهاروى قسم الخوارق على نهج آخر فقال:

اقسام الخوارق سبعة احدها المعجزة من الانبياء ، ثانيها الكرامة للاولياء، ثالثها المعونة لعوام المؤمنين ممن ليس فاسقا ولا وليا ، رابعها الارهاص للنبي قبل ان يبعث كتسليم الاحجار على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وادرجه بعضهم

١- فخرالدين الرازى ، الامام : التفسير الكبير ، ٢١/٨٥

فى الكرامة وبعضهم فى المعجزة مجازا ، خامسها الاستدراج للكافر والفاسق المهاجر على وفق غرضه سمى به لانه يوصله بالتدريج الى النار، سادسها الاهانة للكافر على خلاف غرضه كما ظهر عن مسيلمة الكذاب اذ تمضمض فى ماء فصار ملحا ومس عين الاعور فصار اعمى ، سابعها السحر لنفس شريرة تستعمل اعمالا مخصوصة باعانة الشياطين[1] .

معجزات سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام

قال الله تعالى :

﴿ورسولا الى بنى اسرائيل ، انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله، وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله﴾[2].

ملائكة الموت

قال الله تعالى :

﴿حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا﴾[3].

الملائكة المدبرة

قال الله تعالى :

﴿والنّٰزعٰت غرقا ، والنّٰشطٰت نشطاً ، والسّٰبحٰت

١ـ عبدالعزيز الفرهاروى ، العلامة : النبراس ، ص ٤٣٠

٢ـ القرآن : ٣/٤٩

٣ـ القرآن : ٦/٦١

سبحاً ، فالسبقت سبقاً ، فالمدبرات امرا ﴾[١].

وهب جبرائيل عليه السلام غلاما

تمثل جبرائيل عليه السلام لمريم بشرا سويا فقال لها
﴿ انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ﴾[٢].

تامل في هذه الآيات، قد نسب الى عيسى عليه السلام خلق الطير، والنفخ فيه وطيرانه بسببه ، وشفاء الاكمه والابرص واحياء الموتى مع التصريح بان كل ذلك كائن باذن الله وهكذا نسب قبض الروح والاماتة وتدبير نظام العالم الى الملائكة ونسب هبة الغلام الى جبرائيل عليه السلام .

مع ان هذا كله من فعل الله تعالى ، فان كان نسبة ما هو فعل الله تعالى الى الخلق شركا على الاطلاق ، فهل يمكن لاحد ان يقول ان القرآن مشتمل على الشرك ؟ لا والله وحقيقة الامر ان هذه الافعال منسوبة الى الخلق مجازاً مع التقييد بقوله تعالى باذن الله فهذه النسبة لا تكون شركا قطعا .

قال الشيخ ابن تيمية :

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين وان جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن اطاعه فقد اطاع الله، لان الامة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم الا بواسطة الرسول ، ليس لاحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه ، وقد اقامه الله مقام نفسه في امره ونهيه واخباره وبيانه فلا يجوز ان يفرق بين الله ورسوله في شئ

١ـ القرآن : ٧٩/٥-١
٢ـ القرآن : ١٦/١٩

من هذه الامور[1].

وقال ايضا :

فان الله هدانا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، واخرجنا به من الظلمات الى النور، وآتانا ببركة رسالته ويمن سفارته خير الدنيا والآخرة وكان من ربه بالمنزلة العليا التي تقاصرت العقول والالسنة عن معرفتها ونعتها[2].

قال احسان الهي ظهير :

فما دام الشيخ عبدالقادر مأذونا مختارا، متصرفا، محييا، مميتا، معطيا، موصلا، فلماذا الدعا الى الله ولماذا الاستغاثة به والاستعانة منه والتوكل عليه ؛ فكلما يطلبه الانسان يطلب من الشيخ الجيلاني عياذا بالله[3].

وعلى طبق هذا يمكن ان يقول احد : ما دام عيسى عليه السلام مبرئا للامراض محييا، والملك مميتا، متوفيا، مدبرا للعالم وجبرائيل عليه السلام واهبا ولدا، فلماذا الدعاء من الله تعالى والاستعانة منه؟ فكلما طلب الانسان شيئا يطلب من عيسى عليه السلام او من الملائكة، فهل يتفوه احد ان القرآن مملوء شركا ؟ والعياذ بالله تعالى .

وحقيقة الامر ان الله تعالى اعطى مريم ولداً ولكن بتوسط جبرائيل

١ـ احمد بن عبدالحليم المعروف بابن تيمية العلامة : الصارم المسلول (دارالفكر) ص ٤

٢ـ ايضا : ص ٢

٣ـ الظهير : البريلوية، ص ٧٣

عليه السلام كما انه نصر الصحابة المجاهدين فى غزوة بدر بتوسط الملائكة ، قال تعالى :

﴿بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة مسومين﴾[1].

فالناصر فى الحقيقة هوالله تعالى ولكن ظهرت نصرته على ايدى الملائكة وهل يتصور من عاقل ان يقول تكفى لنا نصرة الملائكة فاى حاجة الى نصرة الله تعالى ؟

وهكذا لو حصل مطلوب انسان بدعاء ولى او على يديه فذلك امداد من الله تعالى بتوسط الولى ولو صار الميت حيا بقول الولى له قم باذن الله او هلك معاند منتقص بصيرورته هدفا لقهره وغضبه فالمحيي والمميت فى الحقيقة هوالله تعالى لا غير والولى انما صار سببا لحياته او هلاكه والنسبة الى السبب مجاز عقلى وهو فى القرآن كثير .

قد مر فى صدر البحث ان العبد كاسب لافعاله الاختيارية والكسب ان يصرف ارادته وقدرته الى الفعل ثم يتحقق ذلك الفعل بخلق الله تعالى ، ولهذا لا يكون الالتجاء والاستعانة والاستغاثة الا من الله تعالى وان كان فى الظاهر من خلقه وعبيده وهذا هو السر الغامض الذى لا يصل اليه فهم القاصرين.

قال سراج الهند الشيخ عبدالعزيز المحدث الدهلوى فى تفسيره بالفارسية ملخصه :

ان الاستعانة من الغير بحيث يعتمد المرء عليه ولا يعتقده

١- القرآن : ٣/١٢٥

مظهر عون الله حرام وان كان الالتفات الى محض عون الله
ويعد ذلك الغير مظهر عونه تعالى نظرا الى نظام الاسباب
وحكمته تعالى ويستعين منه بحسب الظاهر لا يعد عن سبيل
العرفان وذلك جائز فى الشرع ، واستعان الانبياء والاولياء
هذه الاستعانة من الغير وفى الحقيقة هذه الاستعانة انما هى
من الله تعالى لا من غيره[1].

ومن البين الذى لاخفاء فيه ان احدا من اهل باكستان مثلا لو
استعان فى تحصيل حقوقه ومقاصده من راجيوغاندى(رئيس الهند) يعزر
ويعد غداراً بخلاف ما لو رجع الى عامل من عمال الحكومة الباكستانية
لا تسخط عليه الحكومة الباكستانية اذ الرجوع الى عمال باكستان
رجوع الى الحكومة الباكستانية ، ولن ترضى ان يكون احد من اهل
باكستان ويرجع فى مهماته الى اعدائها ، فالله الواحد القهار لا يرضى
لاحد من عباده ان يستمد من الشياطين اوالاصنام فانهم اعداءالله تعالى
اما من استعان من انبيائه واوليائه تعالى فلا يغضب عليه اذ ليس
استمداده فى الحقيقة الا من الله تعالى :

اعجاز النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وتصرفه واختياره

معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من ان تحصى ، ولقد
صنف علماء الاسلام فى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم كتبا عديدة،
بعضها فى مجلدات ضخمة لو اردنا استقصائها لعجزنا ، نريد ان نذكر

١ـ عبدالعزيز المحدث الدهلوي ، التفسير العزيزى (افغاني داوالكتب، دهلي)
سراج الهند : ١/٨

نبذا منها .

اربعة وزراء

اخرج الطبرانی وابو نعیم فی الحلیة عن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما ان النبی صلی الله تعالی علیه وسلم قال :

ان الله ایدنی باربعة وزراء ، اثنین من اهل السماء جبریل ومیکائیل واثنین من اهل الارض ابی بکر وعمر[1] .

والوزراء لا تکون الا للملوك ، ففی هذا الحدیث دلیل علی ان الله تعالی جعل نبینا صلی الله تعالی علیه وسلم سلطان السموات والارض وکیف لا وهو صلی الله تعالی علیه وسلم خلیفة الله الاعظم . اخرج البیهقی عن عبدالله بن سلام قال :

ان اکرم خلیفة الله علی الله ابوالقاسم صلی الله تعالی علیه وسلم[2] قال الحاکم هذا حدیث صحیح[3].

ایتاء المقالید

عن ابی هریرة قال : قال رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم :

بعثت بجوامع الکلم ونصرت بالرعب وبینا انا نائم اتیت بمفاتیح خزائن الارض فوضعت فی یدی[4] .

١ـ احمد بن حجر المکی ، العلامة : الصواعق المحرقة (مکتبة القاهرة ، مصر) ص ٧٨

٢ـ جلال الدین السیوطی ، الامام : الخصائص الکبری (فیصل آباد) ٢/١٩٨

٣ـ الحاکم النیشابوری ، الامام : المستدرك (بیروت) ٤/٥٩٨

٤ـ مسلم بن الحجاج القشیری ، الامام : الصحیح لمسلم (ط : دهلی) ١/١٩٩

وفى رواية عقبة بن عامر، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر :

وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض متفق عليه[١].

وروى الترمذى والدارمى عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى ولواء الحمد يومئذ بيدى[٢] .

اعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث ادعية مجابة قطعا فقال :

فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى واخرت الثالثة ليوم يرغب الى الخلق كلهم حتى ابراهيم[٣].

قال العلامة ابن القيم بعد نقل حديث "والله انى لا اعطى احدا ولا امنع احدا وانما انا قاسم اضع حيث امرت" .

فهو متصرف فى تلك الخزائن بالامر المحض تصرف العبد المحض الذى وظيفته تنفيذ او امر سيده[٤] .

١ـ ولى الدين محمد بن عبدالله الخطيب : مشكوة المصابيح (نور محمد كراتشى) ص ٥٤٧

٢ـ ايضا : ص ٥١٤

٣ـ مسلم بن الحجاج القشيرى، الامام: الصحيح لمسلم ١/٢٧٣

٤ـ ابن القيم الجوزية ، العلامة : طريق الهجرتين (مطابع الدوحة الحديثة ، قطر) ص ١٧

قال العلامة المناوى فى شرح حديث "اعطيت مفاتيح خزائن الارض" :

او المراد خزائن العالم باسره يخرج لهم بقدر ما يستحقون فكلما ظهر فى ذلك العالم فانما يعطيه الذى بيده المفتاح باذن الفتاح وكما اختص سبحانه بمفاتيح علم الغيب الكلى فلا يعلمها الا هو ، خص حبيبه باعطاه مفاتيح خزائن المواهب فلا يخرج منها شئ الا على يده[1] .

وقال ايضا :

خيره بين ان يكون نبيا عبدا او نبيا ملكا فاختار الاول وترك التصرف فى خزائن الارض فعوض التصرف فى خزائن السماء برد الشمس بعد غروبها وشق القمر ورجم النجوم واختراق السموات وحبس المطر وارساله وارسال الرياح وامساكها وتظليل الغمام وغير ذلك من الخوارق[2] .

اخرج ابو نعيم عن عبادة بن الصامت قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ان جبرائيل اتانى فبشرنى ان الله امدنى بالملائكة وآتانى النصر وجعل بين يدى الرعب وآتانى السلطان والملك[3] .

١ـ محمد عبدالرؤف المناوى، المحدث : فيض القدير شرح جامع الصغير ١/٥٦٤

٢ـ ايضا : ١/١٤٨

٣ـ عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، الخصائص الكبرى (فيصل آباد) ٢/١٩٤

الامام :

وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه مرجع الانام فى الدنيا والآخرة قال الامام النووى فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم "انا سيد الناس يوم القيامة" :

قال القاضى عياض : قيل السيد الذى يفوق قومه والذى يفزع اليه فى الشدائد والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم فى الدنيا والآخرة وانما خص يوم القيامة لارتفاع السودد فيها وتسليم جميعهم له[1] .

يعنى انكر المنكرون سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا ولا يستطيعون الانكار يوم القيامة ، فهو المرجع للجميع يومئذ لا غير .

قال العلامة شهاب الدين الخفاجى فى شرح هذا الشعر من القصيدة البردة :

نبينا الآمر الناهى فلا احد
ابر فى قول لا منه ولا نعم

فمعنى نبينا الآمر الى آخره انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال فى امر : لا او نعم وهو لا يقول الا صوابا موافقا لرضى الله ، فحينئذ لا يخالفه الا بقسر قاسر وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه فهو اصدق القائلين فى ما يقوله[2].

١- يحيى بن شرف النووى ، الامام : شرح مسلم ، ١/١٢١

٢- احمد بن شهاب الدين الخفاجى : نسيم الرياض (ط : بيروت) ٣٥/٢

قال المحدث العلامة احمد بن حجر المكى :

وانه خليفة الله الذى جعل خزائن كرمه وموائد نعمه طوع يديه وتحت ارادته يعطى منهما من يشاء ويمنع من يشاء[١] .

قال العلامة القسطلانى شارح البخارى :

فهو خزانة السر وموضع نفوذ الامر فلا ينفذ امر الامنه ولا ينقل خير الا عنه[٢] .

وقال الامام العلامة الزرقانى المالكى :

اذا رام امرا لا يكون خلافه
وليس لذالك الامر فى الكون صارف[٣]

وقال ايضا :

ورد فى مسلم (فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم) الشافى اى هو المبرئ من السقم والألم والكاشف عن الامة كل خطب بهم الم[٤] .

هذه احاديث واقوال الائمة تقربها عيون المؤمنين الموحدين وتثلج بها قلوب المسلمين المحبين سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وتجد

١- احمد بن حجر المكى ، الامام : الجوهر المنظم (المكتبة القادرية ، لاهور) ص ٤٢

٢- احمد بن محمد القسطلانى ، الامام : المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى ٣٤/١

٣- محمد بن عبدالباقى الزرقانى ، العلامة : الزرقانى على المواهب ، ٣٥/١

٤- ايضا : ١٥٢/٣

بعض النـاس مبغضا لهـذه التصريحـات برفعة شان المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، يعدها منافية للتوحيد وعقيدة الاسلام نعوذ بالله تعالى من ذلك .

وهذا هو امامهم الشيخ محمد اسماعيل الدهلوى ينفي الاختيار رأسا ويسلب القدرة سلبا كليا عمن هو خليفة الله في الكون ويصرح بقوله:

الذى اسمه محمد وعلى لا اختيار له[1]

ويحسب انه يرفع علم التوحيد ولا يدرى انه لاثبات لعلم التوحيد عند تنقيص الرسالة .

يا هذا تعال اريك سعة اختيار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان كنت سنيا حنفيا فمن كلام الامام العلامة العلى القارى والشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوى وان كنت من غير المقلدين فمن نص رئيس اهل الحديث النواب صديق حسن البوفالى .

قال العلامة العلى القارى فى شرح حديث ربيعة رضي الله تعالى عنه وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سل :

> اى اطلب منى حاجة لان هـذا هو شان الكرام ولا اكرم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤخذ من اطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالسوال ان الله تعالى مكنه من اعطاء كل ما اراد من خزائن الحق ومن ثم عد ائمتنا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يخص من شاء بما شاء كجعله شهادة خزيمة بن ثابت بشهادتين رواه البخارى وكترخيصه فى النياحة لام عطية فى آل فلان خاصة رواه مسلم

١ــ محمد اسماعيل الدهلوى : تقوية الايمان ، ص ٤٧

قال النووى: للشارع ان يخص من العموم ما شاء وبالتضحية بالعناق لابى بردة بن نيار وغيره .

وذكر ابن سبع فى خصائصه وغيره ان الله اقطعه ارض الجنة يعطى منها ما شاء لمن شاء[1].

وقال النواب البوفالى :

قال لى (اى لربيعة) النبى صلى الله عليه وسلم سل معناه اطلب اى خير شئت من خير الدنيا والآخرة ويعلم من قوله صلى الله عليه وسلم سل مطلقا من غير تقييد بمطلوب خاص: ان الامر كله بيد همته وكرامته صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي ما شاء لمن شاء باذن ربه تعالى ـ شعر

فان من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

ثم اورد شعرا باللغة الفارسية معناه باللغة العربية .

ان اردت خير الدنيا والآخرة فاحضر فى حضرته وتمن ما شئت[2] .

وهذا عين ما قال شيخ المحدثين الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوى[3]

المتصرف فى الباطن

ومن باهر تصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه مسلم عن

١ـ على بن سلطان محمد القارى، العلامة : المرقاة (المكتبة الامدادية، ملتان) ٢/٣٢٣

٢ـ صديق حسن خان ، النواب البوفالى : مسك الختام (المطبع النظامى ، كانپور) ١/٢٧٦

٣ـ عبدالحق المحدث الدهلوى الشيخ المحقق : اشعة اللمعات (ط : سكهر) ١/٣٩٦

ابی بن کعب قال کنت فی المسجد فدخل رجل یصلی فقرأ قراءة انکرتها علیه ثم دخل آخر فقرأ قراءة اخری سوی قراءة صاحبه فلما قضیت الصلوة دخلنا جیعا علی رسول الله صلی الله علیه وسلم ، فقلت : ان هذا قرأ قراءة انکرتها علیه ودخل آخر فقرأ سوی قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلی الله علیه وسلم فقرءا فحسن النبی صلی الله علیه وسلم شانهما فسقط فی نفسی من التکذیب ولا اذ کنت فی الجاهلیة فلما رأی رسول الله صلی الله علیه وسلم ما غشینی ضرب فی صدری ففضت عرقا وکانما انظر الی الله عزوجل[1] .

روی ابن هشام ان فضالة بن عمیر اللیثی اراد قتل النبی صلی الله تعالی علیه وسلم وهو یطوف بالبیت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم : أفضالة ؟ قال نعم فضالة یا رسول الله قال ماذا کنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شئ ، کنت اذکر الله ، فضحك النبی صلی الله تعالی علیه وسلم ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع یده علی صدره فسکن قلبه ، فکان فضالة یقول: والله ما رفع یده عن صدری حتی ما من خلق الله شئ احب الی منه[2] .

وله نظائر کثیرة یمکن جمعها بتتبع یسیر .

١- مسلم بن الحجاج القشیری، الامام : الصحیح لمسلم ، ١/٢٧٣

٢- محمد سعید رمضان البوطی ، فقه السیرة (دارالفکر، بیروت) ص ٣٦٣
الدکتور :

(ب) عبدالملك بن هشام ، الامام : السیرة النبویة مع الروض الانف (ط : ملتان) ٢/٢٧٦

التصرف بكلمة كن

وهذه معجزة من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لشخص كن كذلك فصار كما قال .

اخرج الحاكم وصححه والبيهقي والطبراني عن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق قال كان الحكم بن ابي العاص يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا تكلم النبي صلى الله عليه وسلم اختلج بوجهه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج حتى مات[1] .

واخرج البيهقي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما ورجل خلفه يحاكيه ويلمصه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كذلك فكن فرفع اهله فلبط به شهرين ثم افاق حين افاق وهو كما حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

قال العلامة الشعراني :

انما استعملها صلى الله عليه وسلم (اى كلمة كن) فى غزوة تبوك بحضرة اصحابه بيانا للجواز ولانه كان مأذونا له فى اظهار المعجزات وهذه المسألة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم : كن اباذر فكان ابا ذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سيفا[3]

١ـ عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، الخصائص الكبرى (فيصل آباد) ٢/٧٩
الامام :

٢ـ ايضا : ٢/٧٩

٣ـ عبدالوهاب الشعراني ، العلامة : اليواقيت والجواهر (مصطفى البابي، مصر) ١/١٤٧

بتمهيد

قال سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلي :

ثم يرد عليك التكوين فتكون بالاذن الصريح الذى هو لاغبار عليه والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة وبكلامه اللذيذ الذى هو الذ من كل لذيذ والهام صدق من غير تلبيس مصفى من هو اجس النفس ووساوس الشيطان اللعين .

قال الله تعالى فى بعض كتبه يا ابن آدم انا الله الذى لا اله الا انا اقول للشئ كن فيكون اطعنى اجعلك تقول للشئ كن فيكون وقد فعل ذلك بكثير من انبيائه واوليائه وخواصه من بنى آدم[1].

قال العلامة السيد محمود الآلوسى :

وقال الشيخ الاكبر قدس سره ان آصف تصرف فى عين العرش فاعدمه فى موضعه واوجده عند سليمان من حيث لا يشعر احد بذلك الا من عرف الخلق الجديد الحاصل فى كل آن وكان زمان وجوده عين زمان عدمه وكل منهما فى آن وكان عين قول آصف عين الفعل فى الزمان فان القول من الكامل بمنزلة كن من الله تعالى[2].

١ـ عبدالقادر الجيلى، الغوث الاعظم : فتوح الغيب (على هامش القلائد) المقالة ١٦ ، ص ٣١

٢ـ محمود الآلوسى ، السيد العلامة : روح المعانى (تهران) ١٩/١٨٥

تصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيامة

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

الا وانا حبيب الله ولا فخر

رواه الترمذى والدارمى[١]

ومن محبوبيته صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى قال لجبريل اذهب الى محمد فقل :

انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك[٢]

وقالت ام المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها :

والله ما ارى ربك الا يسارع فى هواك[٣]

وفى صحيح مسلم حديث طويل عن انس بن مالك ان الناس يأتون الى آدم وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام يستشفعون منهم الى الله تعالى وكل واحد منهم يقول لست لها وفى آخرهم ياتون سيدنا ومولانا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم، قال صلى الله تعالى عليه وسلم:

فاقول انا لها[٤]

وهذه هى الشفاعة الكبرى التى اتيحت لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه : قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم :

١- ابو عبدالله محمد بن عبدالله الشيخ ولى الدين : مشكوة المصابيح (كراتشى) ص ٥١٣

٢- مسلم بن الحجاج القشيرى، الامام : صحيح مسلم، ١/١١٣

٣- ايضا : ١/٤٧٣

٤- ايضا : ١/١١٠

فانطلق فآتى تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله تعالى على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لاحد قبلى ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاقول يا رب امتى امتى فيقال :

يا محمد ! ادخل الجنة من امتك من لاحساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب[1].

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم :

وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتى لا يشرك بالله شيئا[2].

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم :

آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت؟ فاقول: محمد فيقول: بك امرت ولا افتح لاحد قبلك[3] .

وفى رواية :

ثم اشفع فيحدلى حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة[4] .

١ـ مسلم بن الحجاج القشيرى، الامام : صحيح مسلم ، ١١١/١

٢ـ ايضا : ١١٣/١

٣ـ ايضا : ١١٢/١

٤ـ ايضا : ١٠٩/٠ .

هذه هي شمة من تصرفات حبيب رب العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم ويظهر سودده يوم القيامة بحيث لايبقى لمنكر مجال الانكار لقدرته وتصرفه ومنزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عند الله تعالى وكل ذلك من عطاء الله تعالى واذنه وتخييره واعطى الله تعالى جميع انبيائه تصرفات خارقة للعادة .

قدرة الانبياء عليهم السلام وتصرفهم

قال الامام الرازى فى تفسير قوله تعالى "اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة" :

واعلم ان الحكام على الخلق ثلاث طوائف (الى ان قال) وثالثها الانبياء وهم الذين اعطاهم الله تعالى من العلوم والمعارف ما لاجله بها يقدرون على التصرف فى بواطن الخلق وارواحهم وايضا اعطاهم من القدرة والمكنة ما لاجله يقدرون على التصرف فى ظواهر الخلق ولما استجمعوا هذين الوصفين لا جرم كانوا هم الحكام على الاطلاق[1].

قال الامام المحدث العلامة ابن الحجر المكى :

ثم رأيت ابن العربى صرح بما ذكرناه من انه لايمتنع رؤية ذات النبى صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده لانه وسائر الانبياء احياء ردت اليهم ارواحهم بعد ما قبضوا واذن لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى ولامانع من ان يراه كثيرون فى وقت واحد

١- فخر الدين الرازى : التفسير الكبير ، ١٣/٨-٦٧

لانه كالشمس[1] .

وقال العلامة انور شاه الكشميرى الديوبندى :

قوله ففقأ عينه (اى فقأ موسى عليه السلام عين عزرائيل) وانما فقأت عينه فقط لانه كان ملك الموت والا لا تدقت السموات السبع من لطمة غضبه[2] .

مذاهب فى الكرامات

قال العلامة التفتازانى :

وذهب جمهور المسلمين الى جواز كرامة الاولياء ومنعه اكثر المعتزلة والاستاذ ابو اسحاق يميل الى قريب من مذهبهم كذا قال امام الحرمين ثم المجوزون ذهب بعضهم الى امتناع كون الكرامة بقصد واختيار من الولى وبعضهم الى امتناع كونها على قضية الدعوى حتى لو ادعى الولى الولاية واعتقد بخوارق العادات لم يجز ولم يقع بل ربما يسقط عن مرتبة الولاية وبعضهم الى امتناع كونها من جنس ما وقع معجزة لنبى كانفلاق البحر وانقلاب العصا واحياء الموتى قالوا وبهذه

١ـ (ا) احمد بن حجر المكى، الامام : الفتاوى الحديثية (مصطفى البابى ، مصر) ص : ٢٥٦

(ب) عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى ، الامام : الحاوى للفتاوى ، ٢/٢٦٣

٢ـ محمد انور شاه الكشميرى : فيض البارى (مطبعة حجازى ، قاهره) ٢/٤٧٦

الجهة تمتاز عن المعجزات وقال الامام هذه الطرق غير سديدة والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العادات فى معرض الكرامات وانما تمتاز عن المعجزات بخلوها عن دعوى النبوة حتى لو ادعى الولى النبوة صار عدو الله لا يستحق الكرامة بل اللعنة والاهانة[١] .

وقال ايضا :

نعم قد يرد فى بعض المعجزات نص قاطع على ان احدا لا يأتى بمثله اصلا كالقرآن وهو لا ينافى الحكم بان كل ما وقع معجزة لنبي يجوز ان يقع كرامة الولى[٢] .

كرامة الاولياء السابقين

قال العلامة سعد الدين التفتازانى :

ولنا على الوقوع وجهان الاول ما ثبت بالنص من قصة مريم عند ولادة عيسى عليه السلام وانه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله وقصة اصحاب الكهف ولبثهم فى الكهف سنين بلا طعام وشراب وقصة آصف واتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف[٣].

١ـ مسعود بن عمر التفتازانى، العلامة : شرح المقاصد (دار المعارف النعمانية، لاهور) ٢٠٣/٢

٢ـ ايضا : ٢٠٣/٢

٣ـ ايضا : ٢٠٣-٤/٢

كرامات الصحابة رضي الله تعالى عنهم

كراماتهم كثيرة واعظم كرامتهم نصرة الدين المبين بكل ما امكنهم والاستقامة على اتباع سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم نذكر نبذا يسيرا منها .

قال الامام العلامة جلال الدين السيوطي :

ومن الدليل على اثبات الكرامات آثار منقولة عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم منهم الامام ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها : أنما هما أخواك واختاك ، قالت هذان اخواي محمد وعبدالرحمن فمن اختاي وليس لي الا اسماء فقال ذو بطن ابنة خارجة ، قد القي في روعي انها جارية فولدت أم كلثوم - ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة سارية حيث نادى - وهو في الخطبة - يا سارية الجبل الجبل . فاسمع الله سارية كلامه وهو بنهاوند وقصته مع نيل مصر ومراسلته اياه وجريانه بعد انقطاعه ، ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عبدالله بن سلام : ثم اتيت عثمان لاسلم عليه - وهو محصور - فقال مرحبا باخي رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الخوخة فقال : يا عثمان حصروك ؟ قلت : نعم قال عطشوك؟ قلت : نعم فادلى لي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت ، حتى اني لاجد برده بين ثديي وكتفي فقال : ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك

اليوم[1] .

قال العلامة سعد الدين التفتازاني :

والثاني (من دلائل الوقوع) ما تواتر معناه وان كانت التفاصيل احادا من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين كرؤية عمر رضي الله عنه على المنبر جيشه بنهاوند حتى قال يا سارية! الجبل الجبل وسمع سارية ذلك وكشرب خالد رضي الله عنه السم من غير ان يضر به واما من علي رضي الله عنه فاكثر من ان تحصى وبالجملة ظهور كرامات الاولياء يكاد يلحق بظهور معجزات الانبياء ، وانكارها ليس بعجيب من اهل البدع والاهواء اذ لم يشاهدوا ذلك من انفسهم قط ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون انهم على شئ مع اجتهادهم في امور العبادات واجتناب السيئات فوقعوا في اولياء الله تعالى اصحاب الكرامات يمزقون اديمهم ويمضغون لحومهم ، لا يسمونهم الا باسم الجهلة المتصوفة ولا يعدونهم الا في عداد آحاد المبتدعة[2] .

واياك ان تقع في اولياء الله تعالى بالانكار فانه سم قاتل ، نعوذ بالله تعالى منه .

١ـ عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، الامام : الحاوي للفتاوى (دار الكتب العلمية ، بيروت) ٢/٢٦٢

٢ـ مسعود بن عمر التفتازاني ، العلامة : شرح المقاصد ، ٢/٢٠٤

قال العلامة الشامي :

وجاء عن المشائخ العارفين والائمة الوارثين انهم قالوا اول عقوبة المنكر على الصالحين ان يحرم بركتهم قالوا ويخشى عليه سوء الخاتمة نعوذ بالله من سوء الخاتمة[١] .

ومن كرامة الشيخين رضي الله تعالى عنهما ما رواه الامام ابوسعيد عبد الملك بن ابي عثمان ، حيث قال :

بلغنا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاولين والآخرين يؤتى بمنبرين من النور فينصب احدهما عن يمين العرش والآخر عن يساره ويعلوهما شخصان فينادى الذى عن يمين العرش معاشر الخلائق من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا رضوان خازن الجنة ان الله امرني ان اسلم مفاتيحها الى ابي بكر وعمر ليدخلا محبيها الجنة الا فاشهدوا .

ثم ينادى الذى عن يسار العرش : معاشر الخلائق من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا مالك خازن النار ان الله امرني ان اسلم مفاتيحها الى محمد ومحمد امرني ان اسلمها الى ابي بكر وعمر ليدخلا مبغضيها النار الا فاشهدوا[٢] .

١ـ السيد محمد امين بن عابدين الشامي، العلامة : رسائل ابن عابدين (سهيل اكيدمي ، لاهور) ٣١٧/٢

٢ـ ابو سعيد عبدالملك ، الامام : شرف النبي (ط : تهران ، ايران) ص : ٢٩٦-٧

هذا هو الامام ابوسعيد النيسابوري الذي روى عنه الامام الحافظ الحاكم ابو عبدالله النيسابوري وابو محمد الحسن بن محمد الخلال وابو القاسم الازهري وابو القاسم التنوخي وغيرهم[1] .

وخاتمة المحققين العلامة ابن عابدين الشامي روى من كتابه هذا فقال :

واخرج ابو سعيد في شرف النبوة عن عبد العزيز بسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا واهل بيتي شجرة في الجنة واغصانها في الدنيا فمن تمسك بها اتخذ الى الله سبيلا[2] .

واخرج ابو سعيد والملا في سيرته والديلمي وولده عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: سألت ربي ان لا يدخل النار احدا من اهل بيتي فاعطاني ذلك[3] .

فهل يمكن لمنكر كرامات الصحابة ان يحكم بالوضع بشرة اللسان على ما رواه الامام ابو سعيد عبد الملك ؟ كما فعل احسان الهي ظهير[4] لا والله ! بل هذه جرأة قبيحة على احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفتح لباب انكار الحديث ، وعليه ان ينقل الحكم بالوضع

١- محمد روشن : پیش گفتار ، شرف النبي ، ص ١٥

٢- السيد محمد امين ابن عابدين الشامي، العلامة : رسائل ابن عابدين ، ١/٤

٣- ايضا : ١/٥

٤- الظهير : البريلوية ، ص ٧٠

من الائمة المحدثين الماهرين فى هذا الفن الموثوق بهم .

قال العلامة ابن حجر المكى رحمه الله تعالى :

واخرج الدارقطنى ان عليا قال للستة الذين جعل عمر شورى بينهم كلاما طويلا من جملته : انشدكم بالله هل فيكم احد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على انت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيرى ؟ قالوا : اللهم لا ـ ومعناه ما رواه عنترة عن على الرضا انه صلى الله عليه وسلم قال له: انت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول النار هذا لى وهذا لك وروى ابن السماك ان ابا بكر قال له رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجوز احد الصراط الا من كتب له على الجواز[1] .

قال الامام العلامة القاضى عياض رحمه الله تعالى :

وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه (الى ان قال) وقتل على اشقاها الذى يخضب هذه من هذه اى لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل اوليائه الجنة واعدائه النار[2] .

قال العلامة شهاب الدين احمد الخفاجى رحمه الله تعالى :

ان ابن الاثير قال فى النهاية الا ان عليا رضى الله عنه

١ـ احمد بن حجر المكى، الامام المحدث: الصواعق المحرقة (مكتبة القاهره ، مصر) ص : ١٢٦

٢ـ القاضى عياض المالكى ، الامام : الشفاء (فاروق كتب خانه، ملتان) ١/٢٢٣

قال انا قسيم النار يعني اراد ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى وفريق عليّ، فهم على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف عليّ في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره على لا يقال من قبل الرأى فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد[1] .

قال الامام احمد رضا القادري البريلوي رحمه الله تعالى :

روى شاذان الفضلي هذا القول لعلي رضي الله تعالى عنه في جزء رد الشمس[2] .

فمن قال انه موضوع مثل احسان الهي ظهير فقوله مما لا يصغى اليه بغير بينة ولا نقل من الائمة الثقات .

قال سراج الهند الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى :

والامة المسلمة كلها تعظم سيدنا عليا وذريته الطاهرة مثل المشائخ والمرشدين وتعتقد الامور التكوينية متعلقة بهم وصارت الفاتحة والصدقات والنذور رائجة ومعمولة باسمهم كما قد جرت هذه المعاملة لجميع اولياء الله تعالى[3] .

۱ـ احمد الخفاجي شهاب الدين ، العلامة : نسيم الرياض (المكتبة السلفية ، المدينة المنورة) ۳/۱٦۳

۲ـ احمد رضا القادري البريلوي ، الامام : الامن والعلى (كامياب دارالتبليغ ، لاهور) ص : ٥۹

۳ـ عبدالعزيز المحدث الدهلوي : تحفه اثنا عشرية بالفارسية (سهيل اكادمي لاهور) ص : ۲۱٤

كرامات اولياء هذه الامة

قد سبقت كرامة آصف بن برخيا، فانه قد اتى بعرش بلقيس من سبأ فى طرفة عين .

قال الله تعالى :

﴿وقال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك﴾[١] .

وهو ولى من امة سيدنا سليمان عليه السلام فما ظنك؟ باولياء امة سيدنا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، قال الله تعالى فى حق هذه الامة :

﴿كنتم خير امة اخرجت للناس﴾[٢]

وكرامات اولياء هذه الامة اكثر من ان تحصى ولا سيما الغوث الصمدانى السيد عبدالقادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه ، قال الشيخ ابو الحسن على الندوى :

اتفق المؤرخون على كثرة كرامات سيدنا عبدالقادر الجيلانى، قال شيخ الاسلام عزالدين بن عبدالسلام والامام ابن تيمية ان كرامات الشيخ بلغت حد التواتر[٣] .

١ـ القرآن : ٤٠/٢٧

٢ـ القرآن : ١١٠/٣

٣ـ ابو الحسن على الندوى : تاريخ دعوت وعزيمت ، اردو (مجلس نشريات اسلام، كراتشى) ٢٥٨/١

قال الامام الربانى ، المجدد للالف الثانى رحمه‌الله تعالى :

لما وصل الامر الى الشيخ عبدالقادر الجيلانى قدس سره فوض هذا المنصب اليه وبفهم وصول الفيوض والبركات الى الاقطاب والنجباء فى طريق تقرب الولاية بتوسطه، فان هذه المركزية لم تحصل لغيره ، ولهذا قال :

افلت شموس الاولين وشمسنا
ابدا على افق العلى لا تغرب

والمراد بالشمس ، شمس فيض الهداية والارشاد وبالافول عدم الفيض المذكور، والمعاملة التى تعلقت بالاولين تعلقت بالشيخ عند وجوده ، وصار واسطة فى وصول الرشد والهداية . كما كان الاولون وسائط قبله ، وايضا ما دامت معاملة توسط الفيض فانما هو بتوسله وواسطته ولهذا صح قوله : افلت شموس الاولين وشمسنا اه[1] .

وقال ايضا :

المجدد للالف الثانى نائب مناب حضرة الشيخ فى هذا المقام وبنيابة حضرة الشيخ ارتبطت به هذه المعاملة ، كما قيل نور القمر مستفاد من نور الشمس[2] .

١- احمد السرهندى ، المجدد للالف الثانى : مكتوبات ، فارسى (ط : تركيا) ، مكتوب ١٢٣ - ٥٨٥/٢

٢- ايضا : ٥٨٥/٢

قال بعض المنكرين :

ويكذبون على الشيخ الجيلانى انه قال :

وولانى على الاقطاب جمعا	فحكمى نافذ فى كل حال
مريدى لاتخف واش فانى	عزوم قاتل عند القتال
طبولى فى السما والارض دقت	وشاؤس السعادة قد بدالى
بلاد الله ملكى تحت حكمى	واوقاتى لقلبى قد صفالى
نظرت الى بلاد الله جمعا	كخردلة على حكم اتصال
انا الجيلى محيى الدين اسمى	واعلامى على رأس الجبال(١)

مع ان قصيدته هذه قد اشتهرت فى الشرق والغرب من غير نكير، وهى مطبوعة على هامش بهجة الاسرار، بمصر وطبعت فى ايران وباكستان والهند وإتجه جماعة من اجلة الفضلاء الى شرحها وتوضيحها.

قال الشيخ ولى الله المحدث الدهلوى :

ومن ههنا تكلم الغوث الاعظم بكلمات التفاخر والتعاظم وظهر منه تسخير العالم(٢) .

وقال الشيخ عبدالعزيز المحدث الدهلوى فى تذكرة سيدى زروق رحمه الله تعالى :

وله قصيدة على طور القصيدة الجيلانية(٣)

١- الظهير : البريلوية ، ص ٧٢

٢- ولى الله المحدث الدهلوى : همعات ، فارسي (حيدر آباد) ص ٤-٨٣

٣- عبدالعزيز المحدث الدهلوى : بستان المحدثين (كراتشي) ص ٣٢٢

فالتكذيب انما هو راجع الى سيدنا الغوث الاعظم رضى الله تعالى عنه لا الى غيره وهذه جرأة لاتصلح للعفو ولقد صرح الشيخ الجيلانى ان جميع هذه الفضائل حاصلة له باذن الله تعالى وقدرته فاى شائبة للشرك ؟

قال الشاه ولى الله المحدث الدهلوى باللغة الفارسية ما ترجمته هذه

واقوى من مال الى اصل هذه النسبة (الا ويسية) بآكدوجه وقام هناك بناتم قيام بعد تكميل طريق الجلب من اولياء الامة واصحاب الطرق هو حضرة الشيخ عبدالقادر الجيلانى ، ولهذا قالوا انه يتصرف فى قبره مثل الاحياء[1] .

وقال ايضا :

وللنقشبندية تصرفات عجيبة من جمع الهمة على مراد فيكون على وفق الهمة والتاثير فى الطالب ودفع المرض عن المريض وافاضة التوبة على العاصى والتصرف فى قلوب الناس حتى يحبوا ويعظموا وفى مداركهم حتى تتمثل فيها واقعات عظيمة والاطلاع على نسبة اهل الله من الاحياء واهل القبور والاشراف على خواطر الناس وما يختلج فى الصدور وكشف الوقائع المستقبلة ودفع البلية النازلة وغيرها[2] .

وقال ايضا فى تذكرة السيد مير ابو العلى الاكبرآبادى رحمه الله تعالى:

انه كان يوما متوجها الى المزار فائض الانوار للسيد الشيخ معين الدين الاجميرى فسمع صوتا من داخل القبر

١ـ الشاه ولى الله الدهلوى، المحدث : همعات (حيدر آباد) ص ٦١

٢ـ ايضا : القول الجميل (كراتشي) ص ١٠٢-١٠٣

قد جاء النذر بهذا القدر من اهل بيتكم وطلبوا عافية ولدكم وولدا آخر ، والملتمس مبذول[١] .

قال بعض المبتدعين :

فهذه هي معتقدات القوم في الاولياء والصالحين وفي الانبياء والمرسلين كمعتقدات النصارى واليهود في المسيح وعزير والكليم وكعقيدة المشركين والوثنيين القدامى في اللات والهبل والعزى والمناة ويغوث ويعوق ونسر وغيرهم من عباد الله الصالحين الذين جعلوهم لله شركاء[٢] .

انظر هذيانه في حق اهل السنة والجماعة بكل مسبة، لا يدع منها شيئا ولا يتلعثم ؛ وهل يجترئ احد من غير المقلدين (اللا مذهبيين) على الشيخ المحدث الشاه ولي الله الدهلوي بمثل هذه الفتاوى الجائرة المؤثمة قائلها ، اذ هو قائل في الهمعات والقول الجميل وانفاس العارفين بما هو شرك جاهلي عند هذا القائل ، فان حكم عليه بالشرك كان غير المقلدين كلهم مشركين لانهم يزعمونه امامهم ومقتدى لهم ولو لم يحكموا عليه بالشرك واعتقدوه مؤمنا موحدا لزمهم بيان الفرق بينه وبين عامة اهل السنة والجماعة مع كونه قائلا بما قالوا .

بركات الابدال

قال امير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه :

اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الابدال

---

١ ـ الشاه ولي الله الدهلوي ، المحدث : انفاس العارفين فارسي (ملتان) ص ٢٠

٢ ـ الظهير : البريلوية ، ص ٥-٧٤

يكونون بالشام وهم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن اهل الشام بهم العذاب رواه احمد[1] .

وفى حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان لله عزوجل فى الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام (الى ان قال) واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت وينبت ويدفع البلاء قيل لعبد الله بن مسعود : وكيف بهم يحيي ويميت ؟ قال : لانهم يسألون الله اكثار الامم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الارض ويدعون فيدفع بهم انواع البلاء ، اخرجه ابن عساكر[2] .

وفى رواية يدفع الله بهم عن اهل الارض وفى رواية فيهم الابدال بهم تنصرون وبهم ترزقون" وفى رواية بهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون[3] .

قال العلامة الشامى :

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال رسول الله

١- محمد بن عبدالله، ولى الدين الخطيب: مشكوة المصابيح ، ص ٥٨٣

٢- عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى ، الحاوى للفتاوى ، ٢/٢٤٧

الامام :

٣- ايضا : ٢/٢٤٧-٢٤٨

صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الذين بهم قوام الدنيا واهلها ، الرضاء بالله والصبر عن محارم الله والغضب فى ذات الله[١] .

قال الشيخ ابن تيمية :

فالانبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعده الصادق لهم ، وبكلماته التامة ورحمته لهم : ان ينصرهم ولا يخذلهم ، وان ينعمهم ولا يعذبهم وهم وجهاء عنده يقبل من شفاعتهم ودعائهم ما لا يقبله من دعاء غيرهم[٢] .

وهذه هى عقيدة اهل السنة والجماعة ومنهم الامام احمد رضا الافغانى ثم البريلوى فى شأن الانبياء عليهم السلام والاولياء رضى الله تعالى عنهم، وقد سبق فى اول هذا المبحث ان الخلق والايجاد مختصان بالله تعالى ولا يليق بالعبد الا الكسب وصرف الهمة ، ولا يطلب اهل السنة والجماعة من الانبياء والاولياء الا الدعاء وصرف الهمة والقصد الى انجاح الحاجة ، وقاضي الحاجات فى الحقيقة هو الله تعالى لا غيره ومع ذلك لو هجم عليهم احد بحكم الشرك الاكبر فهو نفسه مشرك وجاهل لا يعرف الايمان ولا الاسلام .

ادامنا الله تعالى على الايمان والصراط المستقيم

وصلى الله تعالى على حبيبه وخير خلقه محمد وعلى آله واصحابه واولياء امته اجمعين .

١ـ محمد امين بن عابدين ، الشامى العلامة : رسائل ابن عابدين ، ٢/٢٧٤

٢ ـ ابن تيمية الحرانى الحنبلى ، العلامة: اقتضاء الصراط المستقيم (المكتبة السلفية ، لاهور) ص ٤١٠

الباب الثالث (۱)

حوائج التوسل

مع تحقیق

اثر بلال بن الحارث المزنی الصحابی



الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله واصحابه اجمعين .

اما بعد ! فان التوسل امر مشروع، لاشك فيه وجرى عليه العمل من القرن الاول الى يومنا هذا ولو استقصينا البحث فى امثلته لطال الكلام وليس هذا محله ولهذا نقتصر على القدر الضرورى ، وفقنا الله تعالى لحماية الحق وازاحة الباطل .

وقبل الخوض فى المسئلة نذكر نبذا من معتقداتنا لئلا تعترى شبهة للمخالف .

١ـ نحن نحب الله تعالى اشد محبة من محبة الجميع ، قال الله تعالى : "والذين آمنوا اشد حبا لله" (١٦٥/٢) والنبي ﷺ احب الينا من جميع الخلق ، كما فى حديث الصحيحين لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين .

٢ـ إن الله تعالى خالق كل شيء، لا خالق ولا موجد الا هو، والعبد إنما هو كاسب لأفعاله وأعماله ، فالغوث من الله تعالى خلقا وإيجادا والنبي والولي مستغاث به كسبا وتسببا[1]

---

(١) غيرت العبارة السابقة لما نبهني على الخطأ فيها المرشد الكبير العلامة اخند زاده سيف الرحمن حفظه الله تعالى من أجلة مشائخ أفغانستان ، مهاجر الى بشاور .

٣- قال العلامة ابن تيمية :

يجب على كل مكلف ان يعلم ان لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله ، وان كل غوث فمن عنده ، وأن كان جعل ذلك على يدي غيره[١]

٤- اذا قلنا فى الدعاء بحق فلان او بجاه فلان لا نريد به الاقسام على الله تعالى ولا هو معروف عندنا فى هذا المعنى وانما نريد تقديم وسيلة فى حضرة الله تعالى رجاء منه تعالى ان يقبل ادعيتنا ، فان الاخيار والمقربين من الانبياء والاولياء لهم جاه عنده تعالى.

قال العلامة ابن تيمية :

فنقول : قول السائل لله تعالى اسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والانبياء والصالحين وغيرهم او بجاه فلان او بحرمة فلان" يقتضى ان هؤلاء لهم عندالله جاه، وهذا صحيح فان هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة يقتضى ان يرفع الله درجاتهم ويعظم اقدارهم ويقبل شفاعتهم اذا شفعوا

------ ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم مما يقتضى اجابة دعائه اذا سأل الله بهم حتى يسأل الله بذلك بل جاههم ينفعه ايضا اذا اتبعهم واطاعهم فيما امروا به عن الله ، او تاسى بهم فيما سنوه للمؤمنين ، وينفعه ايضا اذا دعوا له وشفعوا فيه[٢]

١- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/١١١-١١٠

٢- ايضا : مجموعة الفتاوى ١/٢١١،

٥ـ الانبياء والصالحون ليس لهم استقلال فى الشفاعة ، انما يشفعون باذنه تعالى .

قال العلامة ابن تيمية فى جواب استدلال المنكرين للشفاعة .

الثانى : انه يراد بذلك نفى الشفاعة التى يثبتها اهل الشرك ومن شابههم من اهل البدع من اهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون ان للخلق عند الله من القدر ان يشفعوا عنده بغير اذنه ، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض ، فيقبل المشفوع اليه شفاعة شافع لحاجته اليه رغبة ورهبة ، وكما يعامل المخلوق بالمخلوق بالمعاوضة[1] .

الكلام على جواز التوسل

قال الله تعالى :

يا ايها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة (٥/٣٥) .

هذه الآية نص صريح فى جواز اتخاذ الوسيلة وظاهر انها مطلقة شاملة للاعمال الصالحة والذوات الصالحة ولا يصح قصرها فى الاعمال نظرا الى حديث اصحاب الغار فان ذلك الحديث لا يدل على الحصر .

ويمكن ان يقال على طريق المعقول ان اعمالنا الصالحة ليست وسيلة فى حضرة الله تعالى الا لانها صالحة حسنة ، مع انا لا ندرى هل هى مقبولة عنده تعالى ام لا ؟ فلما جاز جعلها وسيلة مع كونها مجهولة القبول ، كيف لا يجوز اتخاذ نبى الله ﷺ وسيلة وهو مقبول ومكرم عندالله تعالى قطعا .

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/٥٠

قال العلامة ابن تيمية :

وقد اتفق المسلمون على انه ﷺ اعظم الخلق جاها عندالله ، لا جاه لمخلوق عندالله اعظم من جاهه، ولاشفاعة اعظم من شفاعته[١] .

والآن نقدم اليكم بعض الاحاديث التي تدل على جواز التوسل بالذوات الصالحة :

١ـ في المعجم الكبير والاوسط عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه

قال لما ماتت فاطمة بنت اسد ، ام علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه امر رسول الله ﷺ بحفر قبرها ، ثم اضطجع فيه وقال :

الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اغفر لامي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي ، فانك ارحم الراحمين[٢] .

هذا توسل بسيد الأنبياء والانبياء السابقين صلوات الله تعالى وتسليماته عليه وعليهم اجمعين .

٢ـ وعن امية بن خالد رضي الله تعالى عنه :

انه ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ، رواه

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/١٤٥

٢ـ علي بن احمد السمهودي : وفا الوفاء (دار احياء التراث العربي، بيروت) ٣/٨٩٩

فى شرح السنة(١) .

قال العلامة العلي القاري فى شرح هذا الحديث .

وقال ابن الملك بان يقول اللهم انصرنا على الاعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين(٢) .

لم يكن النبي ﷺ محتاجا الى التوسل بهم قط ولكنه توسل بهم جبراً لخاطرهم المنكسر واكراما لهم وتنبيها للامة بان التوسل باصحابه وخدامه ﷺ جائز ، واذا جاز التوسل بخدامه ﷺ جاز بـه بالطريق الاولى .

٣- اخرج الحـاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسألك بحق محمد لما غفرت لى ، فقـال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ؟ ولم اخلقه ، قال يـا رب ! لانك لما خلقتني بيدك ونفخت فى من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا الـه الا الله محمـد رسول الله فعلمت انـك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليـك فقال الله : صدقت يـا آدم انه لاحب الخلق الى، ادعني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمـد

١- محمد بن عبدالله ولى الدين ، الامام : مشكوة المصابيح (كراتشى) ص: ٤٤٧

٢- على بن السلطان محمد ، القارى : مرقاة المفاتيح (مطبوعة ملتان) ١٣/١٠

ما خلقتك" هذا حديث صحيح الاسناد[1] .

رواه الطبرانى (م٣٦٠) فى المعجم الصغير (ص : ٢٠٨) .

رواه ابن عساكر (م٥٧١هـ) فى التاريخ (٣٥٧/٢) .

نقله الحافظ الذهبي (م٧٤٨هـ) فى التلخيص من المستدرك (٦١٥/٢) .

نقله احمد بن محمد القسطلانى (م٩٢٣هـ) فى المواهب اللدنية فى المقصد الاول فى فصل زيارة قبره ﷺ .

نقله محمد بن عبدالباقى الزرقانى (م١١٢٢هـ) فى شرح المواهب (٧٤/١ - ٣٦١/٨) .

٤ـ قال العلامة ابن القيم :

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالت اللهم انا نسألك بحق محمد والنبى الامى الذى وعدتنا ان تخرجه لنا فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم قال فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبى ﷺ كفروا به فانزل الله عزوجل "وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا" يعنى بك يا محمد[2] .

١ـ الحاكم النيسابورى : المستدرك ، كتاب التاريخ
دار الفكر ، بيروت ، ٦١٥/٢

٢ـ محمد بن القيم الجوزية ، العلامة : هداية الحيارى
الجامع الفريد ص : ٤٩٢

٥ـ روى الشيخ ابو الفرج بن الجوزى بسنده (المذكور فى مجموعة الفتاوى للعلامة ابن تيمية) عن ميسرة رضى الله تعالى عنه قال قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات ، وخلق العرش ، كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء ، وخلق الله الجنة التى اسكنها آدم وحواء ، فكتب اسمى على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد ، فلما احياه الله تعالى ، نظر الى العرش فرأى اسمى فاخبره الله انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى اليه[1] .

٦ـ روى ابو نعيم الحافظ فى كتاب دلائل النبوة بسنده (المذكور فى مجموعة الفتاوى للعلامة ابن تيمية) عن عمر بن الخطاب : قال : قال رسول الله ﷺ : "لما اصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يا رب بحق محمد الا غفرت لى ، فاوحى اليه وما محمد ؟ ومن محمد ؟ فقال : يا رب انك لما اتممت خلقى رفعت رأسى الى عرشك فاذا عليه مكتوب : لا اله الا الله محمد رسول الله ، فعلمت انه اكرم خلقك عليك ، اذ قرنت اسمه مع اسمك ، فقال : نعم ، قد غفرت لك وهو آخر الانبياء من ذريتك ولولاه ما خلقتك" . فهذا الحديث يؤيد الذى قبله وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة[2] .

٧ـ اخرج الذهبي عن حذيفة رضى الله تعالى عنه انه سمع قارئا يقرأ

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ٢/١٥٠

٢ـ ايضا : ٢/١٥١

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قال القربة ، ثم قال :

لقد علم المحفوظون من اصحاب محمد ﷺ ان ابن ام عبد من اقربهم الى الله وسيلة[1] .

فقد ثبت بهذه الاحاديث انه يصح جعل الذوات الصالحة وسيلة الى الله تعالى كما يصح التوسل بالاعمال الحسنة .

قال العلامة ابن تيمية بعد ما نقل حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه :

فعلى هذا القول لانبيائه وعباده الصالحين عليه سبحانه حق أوجبه على نفسه مع اخباره[2] .

وقال ايضا :

ومن قال : بل للمخلوق على الله حق فهو صحيح اذا اراد به الحق الذى اخبر الله بوقوعه فان الله صادق لا يخلف الميعاد وهو الذى اوجبه على نفسه بحكمته وفضله ورحمته ، وهذا المستحق لهذا الحق اذا سأل الله تعالى به يسأل الله تعالى انجاز وعده او يسأله بالاسباب التى علق الله بها المسببات كالأعمال الصالحة فهذا مناسب[3] .

١- الذهبي ، الامام : التلخيص على هامش المستدرك دارالفكر ، بيروت ٣/٣١٢

٢- احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/٢١٤

٣- ايضا : مجموعة الفتاوى ١/٢١٧-٢١٨

وقال ايضا :

وكذلك مما يشرع التوسل به في الدعاء كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه ان النبي ﷺ علم شخصا ان يقول اللهم اني اسألك واتوسل اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد ! يا رسول الله ! اني اتوسل بك الى ربي في حاجتي ليقضيها اللهم فشفعه في" فهذا التوسل به حسن[1] .

التوسل بعد وفاته ﷺ

التوسل بالنبي ﷺ واقع في كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد وفاته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة[2] واتفقت الامة المسلمة على جواز التوسل بانحائه ، الا القسم الثالث فجمهور العلماء على جوازه وبعضهم منعوه ولهذا نقصر الكلام عليه .

التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته جائز بل هو ادعى الى الاجابة ، كان يقال اللهم بالنبي الاعظم والرسول الاكرم ﷺ او يطلب الدعاء منه ﷺ ، وذلك ثابت بالاحاديث واقوال الائمة الذين يعتمد عليهم .

قال العلامة ابن تيمية :

قال احمد في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه :

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ٣/٢٧٦

٢ـ حسن العدوى الحمزاوى ، العلامة : مشارق الانوار المطبعة الشرقية ، مصر ص: ٥٩

انه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه ، ولكن غير احمد قال : ان هذا اقسام على الله به ، ولا يقسم على الله بمخلوق ، واحمد في احدى الروايتين قد جوز القسم به ، فلذلك جوز التوسل به[1] .

هذا هو الامام احمد بن حنبل من اجلة ائمة الاسلام جوز التوسل بالنبي ﷺ بعد رحلته من الدنيا بل جوز الاقسام به على الله تعالى على احدى الروايتين ، فلا مجال للشرك والحزمة في احد جانبي هذه المسئلة .

اما طلب الدعاء منه ﷺ والتوسل به بعد وفاته فثابت بالاحاديث الصحيحة والحسان ، وآثار الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم .

فلنذكر بعض الاحاديث والآثار

١ـ روى الحافظ ابن ابي شيبة :

١١٣/(١٢٠٥١) حدثنا ابو معاوية عن الاعمش، عن ابي صالح عن مالك الدار، قال : وكان خازن عمر على الطعام قال اصاب الناس قحط في زمن عمر ، فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتى الرجل في المنام فقيل له ائت عمر فاقرئه السلام، واخبره انكم مستقيون (مسقون) وقل له عليك الكيس! عليك الكيس! فاتى عمر فاخبره فبكى عمر ثم قال : يا رب لا آلوا لا ما

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ، ١/١٤٠

عجزت عنه[1] .

ونرجع الى تحقيق هذا الحديث فى ما بعد ، ان شاء الله تعالى .

٢ـ اخرج الامام احمد بن حنبل والحاكم والطبرانى والبيهقى عن عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه ان رجلا ضريرالبصر اتى النبي ﷺ فقال ادع الله ان يعافيني، فقال : ان شئت دعوت لك ، وان شئت اخرت ذلك فهو خير لك ، فقال ادعه ، فامره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ، فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء :

اللهم انى سائلك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد ! انى توجهت بك الى ربي فى حاجتى هذه فتقضى لى اللهم فشفعه فى[2] .

وزاد البيهقى :

قال عثمان فو الله ما تفرقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل كانه لم يكن به ضرقط[3] .

وقد روى ابو بكر ابن ابي خيثمة فى تاريخه ، فقال :

١ـ ابن ابي شيبة ، الحافظ ، الامام : المصنف (ادارة القرآن ، كراتشى) ٣١-٣٢/١٢

٢ـ (ا) احمد بن حنبل ، الامام : مسند الامام احمد بن حنبل (دار الفكر ، بيروت) ١٣٨/٤

(ب) ابوعبدالله الحاكم النيسابوري : المستدرك (دارالفكر ، بيروت) ٥١٩/١

٣ـ تقى الدين السبكى ، الامام : شفاء السقام (المكتبة النورية ، فيصل آباد) ص : ١٦٧

حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا حماد بن سلمة ، انا ابوجعفر الخطمى ، عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف ان رجلا اعمى اتى النبي ﷺ ، فقال : انى اصبت فى بصرى فادع الله لى قال اذهب فتوضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم انى سائلك واتوجه اليك بنبى محمد نبي الرحمة ، يا محمد استشفع بك على ربى فى رد بصرى ، اللهم فشفعنى فى نفسى وشفع نبيى فى رد بصرى ، وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك فرد الله عليه بصره[1] .

فى هذه الرواية زيادة وهى قوله وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك — وظاهر انه قول النبي ﷺ فان زيادة الثقة مقبولة ، ولو سلمنا انه مدرج من قول عثمان بن حنيف فهو صحابى ، وكفى به قدوة ، وقد علم عثمان رجلا هذا الدعاء لقضاء حاجته بعد وفاة النبي ﷺ كما سيأتى ، ولا يسع لعالم ان يحكم بالكفر والشرك او الحرمة على ما اعتقده صحابى رضى الله تعالى عنه .

قال العلامة ابن تيمية :

قال الطبرانى روى هذا الحديث شعبة عن ابى جعفر واسمه عمر بن يزيد وهو ثقة ، تفرد به عثمان بن عمر عن شعبة ، قال ابو عبدالله المقدسى : والحديث صحيح .

قلت والطبرانى ذكر تفرده ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة وذلك اسناد صحيح يبين انه لم ينفرد به عثمان بن عمر[2] .
وقد روى الطبرانى عن عثمان بن حنيف ان رجلا كان يختلف

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/ ٢٧٤ـ٢٧٥

٢ـ ايضا : مجموعة الفتاوى ١/ ٢٧٤

الى عثمان بن عفان فى حاجة له ، فلقى عثمان بن حنيف فشكا اليه ذلك ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربك عزوجل فيقضى لى حاجتى ! وتذكر حاجتك ، ورح حتى اروح معك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ، ثم اتى باب عثمان بن عفان ، فاجلسه معه على الطنفسة ، وقال : حاجتك ، فذكر حاجته فقضاها له ، ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فائتنا .

ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف ، فقال له : جزاك الله خيرا ، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت الى حتى كلمته فى ، فقال له عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ واتاه ضرير – ثم ذكر حديث الضرير السابق[١] .

٣ـ روى الدارمى فى سننه : حدثنا ابو الجوزاء اوس بن عبدالله قال قحط اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت انظروا الى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال : ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق[٢] .

٤ـ قال العلامة احمد بن محمد القسطلانى ، نقلا عن ابن المنير :

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ، ٢٧٤/١

٢ـ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى (م ٢٥٥هـ) سنن الدارمى دارالمحاسن ، مصر ٤٣/١

لما مات ﷺ طاشت العقول (الى ان قال) وكان اثبتهم ابو بكر، جاء وعيناه متهملان ، وزفراته تردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي ﷺ وكشف الثوب عن وجهه (الى ان قال) :

ولو ان موتك كن اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس
اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك[1] .

٥- قد سبقت رواية الطبرانی فی المعجم الکبیر والاوسط عن انس ابن مالك رضی‌الله تعالی عنه ان النبی ﷺ اضطجع فی قبر فاطمة بنت اسد رضی الله تعالی عنها ودعاها بقوله :

اغفر لامی فاطمة بنت اسد ووسع علیها مدخلها
بحق نبیك والانبیاء الذین من قبلی فانك ارحم الرحمین[2] .

٦- وكان يوم اليمامة يوما شديدا على المسلمين ، اذ كانوا فی قلة مع كثرة العدو ، وكان مع المسيلمة اربعون الفا من المقاتلين فاشتدت الملحمة وكادت اقدام المسلمين ان تتزلزل ، حتی بلغ العدو الی خيمة خالد بن الوليد رضی الله تعالی عنه ، فلما رأی خالد شدة الحرب نادی بشعار المسلمين :

وكان شعارهم يومئذ يا محمداه[3]

٧- وذكر الهيثم بن عدی قال رعت بنو عامر بالبصرة فی الزرع

١- احمد بن محمد القسطلانی ، العلامة ‏ مواهب اللدنية مع شرح الزرقانی ٨/٣٢٢

٢- علی بن احمد السمهودی ، ‏ وفاء الوفاء ٣/٨٩٩

٣- ابن كثير ، الحافظ : ‏ البداية والنهاية (مكتبة المعارف ، بيروت) ٦/٣٢٤

فبعث ابو موسى الاشعرى فى طلبهم ، فتصارخوا يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعدى ومعه عصبة له : فأتى به أبو موسى ، فقال له : ما اخرجك ؟ قال سمعت صارخة قومى ، قال : فضربه اسواطا ، فقال النابغة (الصحابي) فى ذلك :

فان تك لابن عفان امينا — فلم يبعث بك البر الامينا
فيا قبر النبي وصاحبيه — الا يا غوثنا لو تسمعونا[1]

٨ـ قال الامام النووى : روينا فى كتاب السنى ، عن الهيثم بن حنش قال كنا عند عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ، فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر احب الناس اليك ، فقال :

يا محمد ! ﷺ ، فكانما نشط من عقال[2]

٩ـ قال الحافظ ابن كثير : فلما مروا (اى اهل الحسين رضي الله تعالى عنهم) ورأوا الحسين واصحابه مطرحين هنالك ، بكته النساء وندبت زينب اخاها الحسين واهلها فقالت وهي تبكي :

يا محمداه ! يا محمداه صلى عليك الله وملك السماء،
هذا حسين بالعراء، مزمل بالدماء ، مقطع الاعضاء ؛
يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا[3]

١ـ ابن عبدالبر النمرى : (م٤٦٣ھ) الاستيعاب على هامش الاصابة (دار صادر ، بيروت) ٣/٥٨٦

٢ـ يحيى بن شرف النووى ، الامام : الاذكار (مصطفى البابي ، مصر) ص : ٢٧١

٣ـ ابن كثير ، الحافظ البداية والنهاية ، بيروت ٨/١٩٣

الكلام على اثر بلال بن الحارث
رضى الله تعالى عنه

قدمنا احاديث دالة على جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته وطلب الدعاء منه ﷺ ومناط الاستدلال على حديث بلال ابن الحارث ، الصحابي رضى الله تعالى عنه الذى رواه الحافظ ابن ابي شيبة فى مصنفه وباقى الاحاديث مؤيد له فى هذا المبحث.

انتقد الشيخ ابو بكر جابر الجزائرى على هذا الحديث متنا وسندا واستعان فى هذا النقد من الشيخ حماد الانصارى.

الايراد الاول

اللهم الا اثر بلال بن الحارث الذى اورده البيهقى فى الدلائل والبخارى فى التاريخ الكبير والحافظ ابن حجر فى الفتح وهو امر حيرنى حقا ، وقلت : سبحان الله ! كيف يصح هذا الاثر وهو يناقض اكبر اصل من اصول الدين ، الا وهو توحيد القصد والطلب ، اذ جاء فيه سؤال الرسول ﷺ فى قبره ان يستسقى لامته .

اتصلت بمحدث المدينة، الشيخ حماد الانصارى فقال : ان هذا الاثر قد تتبعته فى مصادره ودرست سنده، فوجدته باطلا ، لا يقبل سندا ولا متنا[1] .

١ـ ابو بكر جابر الجزائرى : وجاؤا يركضون ص : ٢٣

قلت : سبحان الله ! كيف يكون هذا الاثر باطلا وقد رواه ائمة الحديث الذين اجتمعت الامة على جلالتهم والتفصيل مايلى :

١ـ رواه الامام البيهقى فى دلائل النبوة .

٢ـ الامام البخارى فى التاريخ الكبير .

٣ـ والحافظ ابن حجر فى فتح البارى .

كما اعترف به الشيخ الجزائرى .

٤ـ رواه الحافظ ابن ابى شيبة فى المصنف (مطبوع كراتشى) (٣١-٣٢/١٢) .

٥ـ رواه الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (مكتبة المعارف ، بيروت ، ٧/٩٢-٩١) .

٦ـ رواه الحافظ ابن ابى خيثمة ، نقله العلامة ابن حجر فى الاصابة

٧ـ ابن عبدالبر فى الاستيعاب (حرف عمر، ٤٦٤/٢) .

٨ـ الامام تقى الدين السبكى ، فى شفاء السقام (طبع فيصل آباد ، ص : ١٧٤) .

٩ـ احمد بن محمد القسطلانى فى المواهب اللدنية (مع شرح الزرقانى، طبع ١٢٩٢هـ ، ٧٧/٨) .

١٠ـ نورالدين على بن احمد السمهودى، وفاء الوفاء (دار احياءالتراث العربى ، بيروت ، ص : ١٣٧٤) .

١١ـ احمد بن حجرالمكى، الجوهر المنظم (المكتبة القادرية ، لاهور ، ص : ٦٢) .

١٢ـ واخرج الحافظ ابن كثير بسند آخر حيث قال :

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب ان رجلا من مزينة عام الرمادة سأله اهله ان يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شئ فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها حمر ، فقال يا محمداه ! فلما امسى ارى فى المنام ان رسول الله ﷺ يقول له ابشر بالحياة ، ايت عمر فاقرأه منى السلام الحديث.

(البداية والنهاية ٧/٩٢-٩١)

١٣- رواه العلامة ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخ الامم والملوك (دارالقلم ، بيروت ٤/٢٢٤) .

١٤- ابن الاثير، الكامل فى التاريخ (دار صادر، بيروت ٢/٥٥٦) .

صرح الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية والحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح والعلامة احمد بن محمد القسطلانى فى المواهب اللدنية والعلامة السمهودى فى وفاء الوفاء بان هذا الحديث رواه ابن ابى شيبة بسند صحيح .

١٥- واخرج الحافظ ابن كثير هذا الاثر بسند ثالث وهو مايلى :

قال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمى عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كان عام الرمادة فى آخر سنة سبع عشرة واول سنة ثمانى عشرة، اصاب اهل المدينة وما حولها جوع ، فهلك كثير من الناس . . . . . حتى اقبل بلال بن الحارث المزنى فاستأذن على عمر فقال انا رسول الله اليك ، يقول لك رسول الله ﷺ لقد عهدتك

كيسا ، وما زلت على ذلك ، فما شأنك؟ قال متى رأيت هذا؟ قال : البارحة . فخرج فنادى فى الناس ، الصلوة جامعة ، فصلى بهم ركعتين ، ثم قام ، فقال : ايها الناس انشدكم الله هل تعلمون منى امرا غيره خير منه؟ فقالوا اللهم لا ، فقال: ان بلال بن الحارث يزعم ذية ذية : قالوا صدق بلال[1].

فهل يجوز العقل السليم ان يكون هذا الاثر منا قضا لاصل من اصول الدين ومع ذلك رواه اجلة المحدثين منهم الامام البخارى ولم يحكم عليه احد منهم بالوضع والبطلان ولا بالضعف بل اوردوه فى معرض الاستدلال وصرحوا بان اسناده صحيح ، والامام البخارى اجل من ان تبين جلالته فى علم الحديث ومتعلقاته .

قال العلامة ابن تيمية :

والبخارى من اعرف خلق الله بالحديث وعلله مع فقهه فيه[2] .

ولو فتحنا باب مثل هذه التنقيدات لارتفع الاعتماد عن الائمة المحدثين بل لايبقى الاعتماد على الدين ايضا . نعوذ بالله من ذلك .

١٦ـ قال العلامة ابن تيمية :

وكذلك ايضا ما يروى (ان رجلا جاء الى قبر النبى

١ـ ابن كثير الحافظ : البداية والنهاية ٧/ ٩١

٢ـ احمد بن تيمية / العلامة : مجموعة الفتاوى ١/ ٢٥٦

ﷺ فشكا اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يامره : ان يأتي عمر ، فيأمره ان يخرج فيستسق بالناس) قال هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ واعرف من هذه الوقائع كثيرا[١] .

وبعد هذا لم يبق للشيخ الجزائرى وامثاله مجال الانكار على هذا الاثر فانه لو كان منابذا لاصل من اصول الدين رده العلامة ابن تيمية وانكر عليه اشد انكار ، وهو كما ترى يؤيده بانه يعرف وقائع كثيرة مثل هذا .

ثم اقول : لو كان طلب الدعاء من النبي ﷺ بعد مماته شركا ، كان طلبه فى حياته ﷺ ويوم القيامة ايضا شركا ، فان الشرك شرك فى كل حال لايتغير بموت ولا حياة ، وكما ان الميت لايصلح ان يكون شريكا لله تعالى كذلك الحي لايصلح ان يكون شريكا له تعالى ، ولو كان اكبر اصل من اصول الدين توحيد القصد والطلب من الله تعالى لايبقى مجال الطلب من خلقه سواء كان حيا او ميتا .

ان قيل ان النبي ﷺ فى حال حياته يمنع الطالب عن الشرك بخلاف ما بعد وفاته قلنا منعه عن الشرك باق الى يوم القيامة وعلماء الاسلام قائمون مقامه ﷺ فى اداء هذه الفريضة، ولو طلب العلماء المتقنون الدعاء منه ﷺ بعد وفاته كيف يتطرق الشرك اليهم؟

١- احمد بن تيمية ، العلامة : اقتضاء الصراط المستقيم (طبع لاهور) ص : ٣٧٣

الايراد الثانى :

ان هذا الاثر لا يعد وكونه رؤيا منامية والرؤى لا تثبت بها الشرائع والاحكام، اللهم الا ان تكون رؤيا الانبياء، لانها من الوحى(١).

قلنا ليس هذا استدلا بالرؤى المنامية، بل انما هو استدلال بعمل الصحابى (وهو بلال بن الحارث المزنى رضى الله تعالى عنه) فى حال يقظته، ولو كان شركا لما فعله، ثم اخبر به عمر رضى الله تعالى عنه ولم ينكر عليه بل عرضه على الصحابة والتابعين الذين حضروا الاستسقاء ولم ينكر عليه احد منهم، بل صدقوه بقولهم صدق بلال، وهذا من الاجماعات الاقرارية.

الايراد الثالث :

ان فى سنده الاعمش وهو معروف بالتدليس ولذلك فان حديثه لا يحتج به ما لم يصرح بالسماع(٢).

قلنا : الاعمش تابعى جليل القدر من رواة الصحاح الست واستاذ ائمة الحديث والفقه من تلامذته الامام الاعظم ابوحنيفة وامير المؤمنين فى الحديث شعبة.

قال الامام مسلم بن الحجاج القشيرى فى مقدمة صحيحه :

الا ترى انك اذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سميناهم عطاء ويزيد وليث، بمنصور بن المعتمر وسليمان الاعمش واسماعيل بن ابى خالد فى اتقان الحديث والاستقامة فيه

---

١ ـ ابو بكر جابر الجزائرى : وجاؤا يركضون ص : ٤٠

٢ ـ ايضا : وجاؤا يركضون ص : ٤٣

وجدتهم مباثنين لهم لا يدانونهم ، لا شك عند اهل العلم بالحديث فى ذلك للذى استفاض من صحة حفظ منصور والاعمش واسماعيل واتقانهم لحديثهم[١].

بهذا ظهر ان الامام الاعمش تام الضبط ، جيد الحفظ عند الامام مسلم .

وقال ابن ابى حاتم فى ترجمة الاعمش :

روى عنه الثورى وشعبة ، ------ عن يحيى بن معين انه قال : سليمان بن مهران ثقة ------ كان جرير اذا حدث عن الاعمش قال : هذا الديباج وهو استاذ الكوفة ------ حدثنا عبد الرحمن قال سمعت ابا زرعة يقول : سليمان الاعمش امام[٢].

قال الامام احمد رضا البريلوى :

الامام الاعمش ، امام اجل ، ثقة ، ثبت ، حجة ، حافظ كبير القدر ، جليل الفخر ، من اجلة الائمة التابعين ورجال الصحاح الست ، الذى وثاقته وعدالته وجلالته اجلى من الشمس فى نصف النهار ، اسمه سليمان ------ فى التقريب سليمان بن مهران الاعمش ثقة ، حافظ ، عارف

١- مسلم بن الحجاج القشيرى ، الامام : صحيح مسلم (المكتبة الرشيدية ، دهلى) ١/٤

٢- عبدالرحمن بن ابى حاتم ، الامام : كتاب الجرح والتعديل (دارالكتب العلمية ، بيروت) ٤/٧-١٤٦

بالقراءة ، ورع[1].

اما انه مدلس فليس بمضر لحجية الحديث ، فان التدليس على نحوين احدهما ان يروي الراوى عن عاصره ما لم يسمع منه موهما سماعه قائلا قال فلان او عن فلان او نحوه، وقد اختلف فى حكمه فقال جماعة من العلماء ان من عرف منه هذا التدليس لا تقبل روايته ابدا وان بين السماع ، قال الامام النووى ، شارح المسلم :

> والصحيح ما قاله الجماهير من الطوائف ان ما رواه بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع فهو مرسل وما بينه فيه كسمعت وحدثنا واخبرنا وشبهها فهو صحيح مقبول يحتج به وفى الصحيحين وغيرهما من كتب الاصول من هذا الضرب كثير لايحصى ، كقتادة والاعمش والسفيانين وهشيم وغيرهم ودليل هذا ان التدليس ليس كذبا[2].

فثبت ان ما لم يصرح فيه المدلس بالسماع حكمه حكم المرسل، وحكم المرسل ما صرح به الامام النووى ، حيث قال :

> ثم مذهب الشافعي والمحدثين او جمهورهم وجماعة من الفقهاء انه لا يحتج بالمرسل ومذهب مالك وابي حنيفة واحمد واكثر الفقهاء انه يحتج به ومذهب الشافعي انه اذا انضم الى المرسل ما يعضده احتج به وذلك بان يروى ايضا

١- احمد رضا البريلوى ، الامام : الفتاوى الرضوية (المطبوعة بالهند) ٣/٩

٢- يحيي بن شرف النووى ، الامام : مقدمة شرح مسلم (المكتبة الرشيدية دهلى) ص : ١٨

مسندا او مرسلا من جهة اخرى او يعمل به بعض الصحابة او اكثر العلماء[1].

فرواية الامام الاعمش التي اخرجها الحافظ ابن ابي شيبة مقبولة عند ابي حنيفة ومالك واحمد من غير شرط وكذا عند الامام الشافعي لورودها بسندين آخرين ، اوردهما الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية وايضا عمل بها اكثر العلماء ، فهذه الرواية مقبولة عند الائمة الاربعة .

قد استدل الامام البخاري وغيره من ائمة الحديث ، بالحديث المعنعن المروي عن الامام الاعمش : قال الامام البخاري في "باب الصلوة في مسجد السوق" :

> حدثنا مسدد قال ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال صلوة الجميع تزيد على صلوته في بيته الحديث[2].

ولم يأت الامام البخاري بمتابع ليثبت به تصريح السماع بل استدل به واكتفى ، وهذا سند الحافظ ابن ابي شيبة :

> حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي صالح عن مالك الدار .

انظر المماثلة بين هذين السندين فان ابا معاوية يروي في كليهما عن الاعمش عن ابي صالح.

١- يحيى بن شرف النووي ، الامام : مقدمة شرح مسلم ص : ١٧

٢- محمد بن اسماعيل البخاري ، الامام : صحيح البخاري (رشيديه دهلي ، ١/٦٩)

والامام ابن ماجة افتتح كتابه باحاديث مروية عن الامام الاعمش بطريق العنعنة ، فلو لم تكن روايته مقبولة لم يعتمد عليها ائمة المحدثين ولم يستدلوا بها .

قال العلامة ابن تيمية :

قال القاضي عياض وروى ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ "من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا ابلغته" وهذا قد رواه محمد بن مروان السدى عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وهذا هو السدى الصغير وليس بثقة وليس هذا من حديث الاعمش[1] .

انظر كيف رد هذه الرواية ؟ لا لان الاعمش فى سنده مدلس بل لان السدى الصغير ليس بثقة .

الايراد الرابع :

مالك الدار ، والذى عليه مدار هذا الاثر مجهول ، سكت عنه البخارى ، كما سكت عنه ابن ابي حاتم، والقاعدة عند علماء الحديث ان من سكت عنه البخارى وابن ابى حاتم فهو مجهول غير معروف[2] .

قلت سبحان الله ! هذه القاعدة مفتعلة مجعولة لم نجدها فى كتب اصول الحديث .

١ـ احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ٢٣٨/١

٢ـ ابو بكر جابر الجزائرى : وجاؤا يركضون ص: ٢٤

ومما يتعجب عليه ان الامام البخارى وابن ابى حاتم لم يسكتا عن مالك الدار ، بل كلاهما ذكراه .

قال الامام البخارى :

١٢٩٥ ـ مالك بن عياض الدار ان عمر قال يا رب لا آلو الا ما عجزت عنه ، قاله على عن محمد بن خازم عن ابى صالح عن مالك الدار[1] .

وهذا سند آخر سوى الاسانيد الثلاثة السابقة .

وقال ابن ابى حاتم :

٩٤٤ ـ مالك بن عياض مولى عمر بن الخطاب روى عن ابى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، روى عنه ابو صالح السمان ، سمعت يقول ذلك[2] .

وقال ابن سعد :

مالك الدار ، مولى عمر بن الخطاب وقد انتموا الى جيلان من حمير وروى مالك الدار عن ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ، روى عنه ابو صالح السمان وكان معروفا[3] .

صرح ابن سعد بانه معروف وليس بمجهول .

---

١ ـ محمد بن اسماعيل البخارى ، الامام : كتاب التاريخ الكبير (دار الكتب العلمية ، بيروت) ٧/٥-٣٠٤

٢ ـ عبدالرحمن بن ابى حاتم ، الامام : كتاب الجرح والتعديل (دار الكتب العلمية ، بيروت) ٨/٢١٣

٣ ـ ابن سعد ، الامام : طبقات ابن سعد (دار صادر ، بيروت) ٥/١٢

قال العلامة محمد بن عبدالباقی الزرقانی :

مالك الدار وكان خازن عمر وهو مالك بن عياض مولى عمر ، له ادراك ورواية عن الشيخين ومعاذ وابي‌عبيدة وعنه ابناه عبدالله وعوف وابو صالح وعبدالرحمٰن بن سعيد المخزومی ، قال ابو عبيدة ولاه عمر كيلة عيال عمر فلما كان عثمان ولاه القسم فسمی مالك الدار[1].

فلو لم يكن مالك الدار ممن يعتمد عليه لم يعينه عمر رضی‌الله تعالی عنه خازنا ولم يوله عثمان رضی الله تعالی عنه القسم ، وقد ذكره الامام البخاری وابن ابي حاتم ، وصرح ابن سعد بانه معروف وذكر العلامة الزرقانی اربعة رواة عنه ومع هذا لا يجترئ عالم ان يقول ان مالك الدار مجهول .

قد اعترف الشيخ الجزائری بانه تحير فی هذا الاثر حقبا ، ثم اتصل بالشيخ حماد الانصاری ، محدث المدينة واستفاد منه النقد علی هذا الاثر ، ومما ذكرنا من التفصيل ظهر انهما لم يراجعا التاريخ‌الكبير للامام البخاری والجرح والتعديل لابن ابي حاتم .

الايراد الخامس :

سيف الضبي ، وهو الذی ذكر هذا الاثر ، سيف هذا كذاب متهم بالزندقة ، قال فيه ابن حاتم: سيف متهم

١- محمد بن عبدالباقی الزرقانی ، العلامة : شرح المواهب اللدنية طبع ١٢٩٢ھ ٧٧/٨

بالزندقة واحاديثه منكرة (ملخصا)[١].

اقول : قد سبق ان مدار الاستدلال على رواية الحافظ ابن ابى شيبة كما استشهد بروايته الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى والعلامة القسطلانى شارح البخارى فى المواهب اللدنية وليس فى سنده سيف الضبى ، فلا يلزم ضعف تلك الرواية فضلا عن البطلان ، اما الروايتان الاخريان اللتان ذكرهما الحافظ ابن كثير فهما من المتابعات وليس مناط الاستدلال عليهما .

قال ابن ابى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل سيف بن عمر الضبى ضعيف الحديث ومتروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدى[٢] .

ولم يزد على ذلك ولا ندرى اين قال : انه متهم بالزندقة .

على انا نقول ان الانبياء احياء فى قبورهم وهذه عقيدة من معتقدات اهل السنة والجماعة ، فما المانع ؟ من طلب الدعاء والشفاعة منهم .

قال العلامة ابن القيم نقلا عن الشيخ احمد بن عمرو ، وهذا نصه: ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد قتلهم وموتهم احياء عند ربهم ، يرزقون ، فرحين مستبشرين وهذه صفة الاحياء فى الدنيا ، واذا كان هذا فى الشهداء كان الانبياء بذلك احق واولى ، مع انه قد صح عن النبى ﷺ : ان الارض لا تأكل

١- ابو بكر جابر الجزائرى : وجاؤا يركضون ص : ٢٤

٢- ابن ابى حاتم الرازى : كتاب الجرح والتعديل ٤/٢٧٨

اجساد الانبياء ، وانه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس وفى السماء وخصوصا بموسى — عليه السلام، وقد اخبر بانه ما من مسلم يسلم عليه الارد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام — الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بان موت الانبياء انما هو راجع الى ان غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين احياء[١] .

قال العلامة ابن تيمية :

كما ان موسى يصلى فى قبره وكما صلى الانبياء خلف النبي ﷺ ليلة المعراج ببيت المقدس وتسبيح اهل الجنة والملائكة فهم يتمتعون بذلك وهم يفعلون ذلك بحسب ما يسره الله لهم ويقدره لهم ليس من باب التكليف الذى يمتحن به العباد[٢] .

وقال العلامة ابن تيمية :

وكذلك الانبياء والصالحون وان كانوا احياء فى قبورهم وان قدرانهم يدعون للاحياء وان وردت به آثار فليس لاحد ان يطلب منهم ذلك ، ولم يفعل ذلك احد من السلف ، لان ذلك ذريعة الى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله ، بخلاف الطلب من احدهم فى حياته فانه لايفضى الى

١– ابن القيم الجوزية ، العلامة : كتاب الروح (حيدر آباد ، دكن ، الهند) ص : ٥٨–٥٧

٢– احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/٣٥٩

الشرك ولانه ما تفعله الملائكة ويفعله الانبياء والصالحون بعد الموت هو بالامر التكويني فلا يؤثر فيه سؤال السائلين[1] .

ليس المطلوب من نقل هذه العبارة الا ان الشيخ ابن تيمية ايضا قائل بحياة الانبياء والاولياء ، وبانهم يدعون للاحياء ووردت به آثار، فلا ضير علينا لو اتبعنا جمهور علماء الاسلام وتركنا رأيه في تجويز طلب الدعاء والاستشفاع من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بعد وفاتهم .

وقد سبق في رواية الحافظ ابن ابي شيبة ان بلال بن الحارث المزني رضي الله تعالى عنه طلب من النبي ﷺ بعد وفاته ان يستسقي لامته – وبه ثبت ان طلب الدعاء منه ﷺ بعد وفاته ليس شركا ولا مفضيا اليه كما انه ليس شركا ولا مفضيا اليه في حياته ﷺ .

ثم مهما امر يقطع عرق الشرك وهو ان المتوسل لا يطلب الا من الله تعالى كما قال العلامة ابن تيمية :

المتوسل انما يدعو الله ويخاطبه ولا يطلب الا منه ، لا يدعو غيره الا على سبيل استحضاره لا على سبيل الطلب منه[2] .

والحمد لله العلي العظيم والصلوة والسلام على نبيه وحبيبه الامين الكريم وعلى آله واصحابه اجمعين .

---

(١) احمد بن تيمية ، العلامة : مجموعة الفتاوى ١/٢٣٠

(٢) ايضا : مجموعة الفتاوى ٢٧٦/٣

الباب الثالث (۳)

التوسل والاستعانة

بسم الله الرحمن الرحيم

ألتوسل

ألتوسل فى اللغة جعل شئ ذريعة لحصول المقصد أو التقرب منه وفى إصطلاح الشريعة جعل شئ مقبول عند الله تعالى ذريعة لقبول الدعاء والصالحون وكذا الأعمال الصالحة مقبولة فى حضرة الله تعالى ولهذا أجمع جمهور العلماء على جواز التوسل بالأعمال الصالحة والذوات الصالحة۔

قال فضيلة الشيخ ، المولى ضياء الدين أحمد المدنى خليفة الامام أحمد رضا القادرى البريلوى رحمهما الله تعالى فى جواب رجل سأله عن دليل جواز التوسل بالأنبياء والأولياء ، قال : قال تعالى :

﴿يا أيها الذين أمنوا إتقوا الله وإبتغوا إليه الوسيلة﴾[1]

قال ذلك الرجل: المراد بالوسيلة الأعمال الصالحة ، قال الشيخ أعمالنا الصالحة مقبولة أم لا؟ قال : لاأدرى، قال الشيخ: ورسول الله ﷺ مقبول أم لا؟ قال : هو ﷺ مقبول فى جنابه تعالى يقينا ۔ قال الشيخ : إذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة التى يرتاب فى قبوليتها فكيف لا يجوز بحبيب الله تعالى ﷺ الذى هو معلوم القبول يقينا ۔ فأعجبه هذا الاستدلال ۔

١- سورة المائدة الآية ٣٥

التوسل بالأعمال الصالحة وذوات الصلحاء

أخرج الامام الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال :

أنزل الله على أمانين لأمتي ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾[1]

فقد ظهر من الجزء الأول أن النبي ﷺ وسيلة الأمن من عذاب الله جل مجده ومن الجزء الثانية أن عمل الاستغفار ذريعة الأمن والسلامة.

وأخرج الذهبي عن حذيفة رضي الله عنه أنه سمع قارئا يقرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وإبتغوا إليه الوسيلة﴾ قال القربة ، ثم قال :

لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن إبن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة[2]

ففيه صراحة بكون سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وسيلة عظمى عند الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمن أنكر كون ذوات الصالحين وسيلة وخصها بالأعمال كالشيخ إبن تيمية وأتباعه فقد أخطأ.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ،

رواه مسلم[3]

١- محمد بن عيسى الترمذي : جامع الترمذي ، التفسير سورة الانفال (ط : اسلام آباد) ٢/١٣٤

٢- الذهبي ، الامام : التلخيص للذهبي على هامش المستدرك (دار الفكر ، بيروت) ٢/٣١٢

٣- محمد بن عبد الله ، ولي الدين : مشكوة المصابيح (كراتشي) ص ٤٤٦

وعن مصعب بن سعد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، رواه البخاري[1]

وعن علي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب[2]

وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

[ابغوني في ضعفائكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ـ رواه أبو داؤد[3]

للضعفاء نوعان الأول من ضعف لصفريده والثاني من صار ضعيفا نحيفا لكثرة العبادة والرياضة وشدة خشية الله تعالى جل شانه والنوع الثاني هم الأولياء، فهم أحق بكونهم وسيلة الرحمة والنصرة ـ

وعن أمية بن خالد ﷺ :

أنه (ﷺ) كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ـ رواه في شرح السنة[4]

قال العلامة العلي القاري في شرح هذا الحديث :

وقال ابن الملك : بأن يقول : اللهم انصرنا على الأعداء

١ـ محمد بن عبدالله، ولي الدين : مشكوة المصابيح (كراتشي) ص ٤٤٦

٢ـ أيضا : ص ٥٨٣-٥٨٢

٣ـ أيضا : (باب فضل الفقراء) ص ٤٤٧

٤ـ أيضا : ص ٤٤٧

بحق عبادك الفقراء المهاجرين[١]

ما كان النبي ﷺ يحتاج إلى التوسل بهم قط ، ولكن توسل بهم تسكينا لخاطر هم المنكسر وإكراما لهم وتنبيها للأمة بأن التوسل بصحابته وخدامه ﷺ يجوز لابأس به ، فمن جاز التوسل بخدامه جاز به ﷺ بوجه أحسن ـ

فأظهر وأثبت منه أن التوسل لا يقتصر على الأعمال الصالحة ولا ينحصر عليها بل يجوز أيضا بأبرار الأمة ـ

التوسل بالنبي ﷺ

قال العلامة حسن العدوى الحمزاوى :

ثم إن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ﷺ كما ذكره فى تحقيق النصرة واقع فى كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا ﷺ وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة[٢]

قال العلامة إبن القيم :

لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا على أيدى الرسل ولاينال رضاءالله ألبتة إلا على أيديهم[٣]

١- على بن سلطان محمد ، القارى : مرقاة المفاتيح (المكتبة الامدادية ، ملتان) ١٠/١٣

٢- حسن العدوى ، العلامة : مشارق الانوار (المطبعة الشرقية ، مصر) ص ٥٩

٣- ابن القيم الجوزية : زاد المعاد ١/٢٨

ألتوسل قبل ولادته ﷺ

أخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :
لما إقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسئلك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى أدعني بحقه فقد غفرت لك ، ولو لا محمد ما خلقتك هذا حديث صحيح الاسناد[1]

قال العلامة إبن القيم :

عن إبن عباس رضي الله عنهما كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما إلتقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالت : ألهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذى وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم قال فكانوا إذا إلتقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي ﷺ كفروا بـه فـأنزل الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يعني بك يا محمد[2]

١- الحاكم النيسابوري : المستدرك ، كتاب التاريخ (دار الفكر ، بيروت) ٦١٥/٢

٢- محمد إبن القيم الجوزية : هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى (الجامع الفريد) ص ٤٩٣

وفى المعجم الكبير والأوسط عن أنس بن مالك ﷺ قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد ، أم على بن أبى طالب ﷺ أمر رسول الله ﷺ بحفر قبرها ، ثم إضطجع فيه وقال :

الله الذى يحيي ويميت وهو حى لا يموت ، إغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فانك أرحم الرحمين[١]

فقد دل الحديث على أن التوسل به ﷺ فى حياته الظاهرة يجوز وكذا بالأنبياء عليهم الصلوة والسلام بعد وفاتهم .

قال العلامة نورالدين السمهودي (م٩١١هـ) :

وقد يكون التوسل به ﷺ بطلب ذلك الأمر بمعنى أنه ﷺ قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربه فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة ومنه قول القائل له أسئلك مرافقتك فى الجنة الحديث، ولا يقصد به إلا كونه ﷺ سببا وشافعا[٢]

وقال سيدنا سواد بن قارب ﷺ فى حضرة النبى ﷺ :

وإنك أدنى المرسلين وسيلة	إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة	بمغن فتيلا عن سواد بن قارب[٣]

١- نورالدين على بن احمد السمهودي: وفاء الوفاء (دار احياء التراث العربى ، بيروت) ٢/٨٩٩

٢- ايضا : ٤/١٣٧٤-٥

٣- عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب النجدى: مختصر سيرة الرسول (المكتبة السلفية لاهور) ص ٦٦

أتى النبي ﷺ وفد هوازن بالجعرانة مسلمين ، وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاء ما لايدرى ما عدته وقالوا أمنن علينا من الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم ؟ فقالوا ! يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا فقال، لهم : أما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم .

وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول‌الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم(١)

وهنالك قال زهير بن صرد ﷺ :

أمنن علينا رسول الله فى كرم
فانك المرء نرجوه وننتظر(٢)

ذكر إمام أهل المغازى والأخبار محمد بن إسحاق أن بنى بكر وخزاعة كانت بينهم حروب وقتل قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام تشاغل الناس به فلما كانت المدنة (هدنة الحديبية) دخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عهد رسول‌الله ﷺ وعقده، فلما كانت الهدنة إغتنمها بنو بكر وأرادوا أن يصيبوا الثأر من خزاعة وشارك معهم قريش مستخفين فقتلوا منهم رجالا إلى أن التجأوا إلى الحرم ومع ذلك لم يدعوهم .

١- عبدالملك بن هشام : السيرة النبوية (مع الروض الانف) المكتبة الفاروقية ، ملتان) ٢/٣٠٦

٢- عبدالرحمن بن عبدالله السهيلى : الروض الانف ٢/٣٠٦

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بما وقع ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه ويقول :

إن لم أنصر بما أنصر منه نفسي؟

وفي معجم الطبراني الصغير عن أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها :

أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول في متوضئه ليلا : لبيك لبيك (ثلاثا) نصرت نصرت (ثلاثا) قلت . يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم إنسانا فهل كان معك أحد ؟ فقال هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بني بكر (إلى أن قالت) فأقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس ، فسمعت الراجز ينشده :

يا رب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا فانصر هداك الله نصرا أيدا(١)

هذا صحابي إستغاث بالنبي ﷺ من مسافة ثلاثة أيام وسمع ﷺ إستغاثتهم وأجابهم .

أخرج الامام أحمد بن حنبل والحاكم عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : أدع الله أن يعافيني قال :

١ـ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب مختصر سيرة الرسول (المكتبة السلفية ، النجدي : لاهور) ص ٣٣٣

إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذلك فهو خير لك فقال : أدعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوئه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء

اللهم انى أسئلك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة
يا محمد إني توجهت بك الى ربي فى حاجتي هذه فتقضي لى
اللهم فشفعه فى(١)

وزاد البيهقي :

قال عثمان (بن حنيف) فوالله ما تفرقنا ولاطال الحديث
حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط(٢)

قال إبن هشام : وحدثني من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فشكوا ذلك إليه فصعد رسول الله ﷺ المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله ﷺ : اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالاكليل فقال رسول الله ﷺ :

لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه
كانك يا رسول الله اردت لقوله :

١- احمد بن حنبل ، الامام : مسند الامام احمد بن حنبل (دار الفكر ، بيروت) ٤/١٣٨

(ب) ابوعبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك (دار الفكر ، بيروت) ١/٥١٩

٢- تقي الدين السبكي ، الامام : شفاء السقام (المكتبة النورية ، فيصل آباد) ص ١٦٧

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل(١)

ألتوسل بعد وصاله ﷺ

قال العلامة القسطلانى ناقلا عن إبن المنير : لمامات ﷺ طاشت العقول ـ ـ ـ ـ ـ وكان أثبتهم أبو بكر ، جاء وعيناه تهملان وزفراته تردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي ﷺ فأكب الثوب عن وجهه وقال : طبت حيا وميتا (إلى أن قال) :

ولو أن موتك كان إختيارا لجدنا لموتك بالنفوس أذكرنا
يا محمد عند ربك ولنكن من بالك(٢)

روى الامام الطبرانى رحمه الله تعالى فى الجزء الخمسين من المعجم الكبير عن عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان فى حاجة وكان عثمان لا يلتفت إليه فشكا ذلك الرجل الى عثمان بن حنيف ، قال له عثمان بن حنيف : توضأ ثم أدع بهذا الدعاء ألّلهم انى أسئلك (إلى آخره) فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان أمير المؤمنين ، فجاء البواب وأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة فقال ما حاجتك ؟ فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة ، وقال ما كانت لك من حاجة فاذكرها ـ

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال: جزاك

١ـ عبدالملك بن هشام ، الامام : السيرة النبوية (المكتبة الفاروقية ، ملتان) ١٧٩/١

٢ـ أحمد بن محمد القسطلانى ، الامام : المواهب اللدنية(مع شرح الزرقانى) ٣٢٢/٨

الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلمته فى ، فقال عثمان بن حنيف : والله ! ما كلمته ولكنى علمتك دعاء علم النبى ﷺ ذلك الدعاء للأعمى فأبصر ببركة هذا الدعاء (ملخصا)(١)

عن مالك الدار (خازن عمر رضى الله تعالى عنهما) قال : أصاب الناس قحط فى زمن عمر فجاء رجل إلى قبرالنبى ﷺ فقال :

يا رسول الله ! إستسق لأمتك فانهم قد هلكوا

قال : فأتاه النبى ﷺ فى المنام وقال : إئت عمر فمره أن يستسقى للناس فانهم سيسقون وقل له عليك الكيس الكيس فأتى الرجل عمر فأخبره قال : فبكى عمر وقال يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه(٢)

أخرج إبن كثير عن عاصم بن عمر الخطاب أن رجلا من مزينة عام الرمادة (سنة ١٨ من الهجرة) سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شئ ، فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها حمر فقال :

يا محمداه !

فلما أمسى أرى فى المنام أن رسول الله ﷺ يقول له :

أبشر بالحياة(٣)

وكان يوم اليمامة يوما شديدا على المسلمين لأن بنى حنيفة أصحاب مسيلمة قاتلوا قتالا لم يعهد مثله وإستشهد كثير من الصحابة حتى نادى خالد بن الوليد بشعار المسلمين ، قال إبن كثير :

١- تقى الدين السبكى ، الامام : شفاء السقام ص ١٦٨

٢- ابن عبدالبر النمرى ، الامام : الاستيعاب (دار صادر ، بيروت) ٢/٤٦٤

٣- ابن كثير ، الحافظ : البداية والنهاية (مكتبة المعارف ، بيروت) ٧/٩١

وكان شعارهم يومئذ يا محمداه(1)

ومما يؤسف عليه أن النجدية وغير المقلدين يحكمون اليوم بالشرك على من إختار شعار المسلمين المعروف في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ

قال الواقدي : إن أبا عبيدة بن الجراح ﷺ أراد المسير إلى حلب وبعث ألف فارس مع كعب بن ضمرة طلائع ، فلما بلغوا قريبا من حلب حمل عليهم يوقنا مع خمسة آلاف فارس وقاتل الجمعان قتال الموت وقد أيقن المسلمون بالظفر والغنيمة إذ طلع عليهم الكمين من ورائهم وأكبوا عليهم جميعا ، فافترق المسلمون ثلاث فرق ، فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت قتال الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة قصدت قتال يوقنا ومن معه ، وكعب بن ضمرة قلق على المسلمين فيجاهد عنهم وهو يجول بالراية وينادي :

يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل(2)

وجرى القتال عند فتح بهنسا جميع الليل ، وكان شعار المسلمين تلك الليلة :

يا محمد يا محمد يا نصر الله إنزل(3)

جاء عبدالله بن قرط من اليرموك بكتاب أبي عبيدة إلى عمر بن الخطاب فلما أراد الرجوع حضر روضة رسول الله ﷺ ليسلم عليه ولقي

١ـ ابن كثير ، الحافظ : البداية والنهاية (مكتبة المعارف ، بيروت) ٦/٣٢٤

٢ـ محمد بن عمر الواقدي : فتوح الشام (مصطفى البابي ، مصر) ١/٦-١٩٥

٣ـ ايضا : ٢/٢١٨

علي بن أبي طالب والعباس رضي الله تعالى عنهما وطاب منهما الدعاء فرفعا أيديهما وقالا :

اللهم إنا نتوسل بهذا النبي المصطفى والرسول المجتبى الذي توسل به آدم فأجبت دعوته وغفرت خطيئته إلا سهلت على عبدالله طريقه وطويت له البعيد وأيدت أصحاب نبيك بالنصر إنك سميع الدعاء[1]

وأبتلي المسلمون عند فتح دير أبي القدس حين قاتلوا الروم مع كثرتهم ، فخرج كمين عظيم وغاب المسلمون في أوساطهم ولم يبق من المسلمين أحد غير جريح من المشركين ، فالتجأ عبدالله بن جعفر إلى ربه وكان صاحب رأية وقال في دعائه :

يا من خلق خلقه وأبلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسئلك بجاه محمد النبي ﷺ إلا ما جعلت لنا من أمرنا فرجا ومخرجا[2]

روى الامام الدارمي (المتوفى ٢٥٥هـ) عن أبي الجوزاء أوس بن عبدالله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت:

أنظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوا إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال : ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق[3]

١- محمد بن عمر الواقدي : فتوح الشام ١/٣٦،

٢- ايضا : ١/٤٧

٣- عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، سنن الدارمي (دارالمحاسن ، مصر) ١/٤٣

الامام :

وأخرج الامام النووي عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله ابن عمر فخدرت رجله فقال له رجل:

أذكر أحب الناس إليك فقال يا محمدا ﷺ: فكأنما نشط من عقال[1]

وأخرج الامام ابن عبد البر النمري (المتوفى ٤٦٣هـ) عن الهيثم ابن عدي قال: رعت بنو عامر بالبصرة في الزرع فبعث أبو موسي الأشعري في طلبهم فصارخوا يا آل عامر! فخرج النابغة الجعدي (الصحابي رضي الله تعالى عنه) ومعه عصبة له فأتى به أبو موسى فقال له: ما أخرجك؟ قال: سمعت داعية قومي، قال: فضربه أسواطا فقال النابغة في ذلك:

فان تك لابن عفان أمينا ‏ فلم يبعث بك البر الأمينا
فيا قبر النبي وصاحبيه ‏ ألا يا غوثنا لو تسمعونا[2]

قال ابن كثير: لما مر أهل الحسين ونساءه بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطر حين هناك بكته النساء وصرخن وندبت زينب أخاها الحسين وأهلها فقالت وهي تبكي:

يا محمداه! يا محمداه صلى عليك الله وملك السماء هذا حسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الأعضاء يا محمداه! وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا-قال فأبكت كل عدو وصديق[3]

١- يحيى بن شرف النوى، الامام: الأذكار (مصطفى البابي، مصر) ص ٢٧١

٢- ابن عبدالبر النمرى القرطبي: الاستيعاب على هامش الاصابة (دار صادر، بيروت) ٥٨٦/٣

٣- ابن كثير، الحافظ: البداية والنهاية (مكتبة المعارف، بيروت) ١٩٣/٨

التوسل ——— والأمة المسلمة

إجماع الصحابة

روى الامام البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا إستسقى بالعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه فقال : أللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون[1]

قال الشيخ ابن تيمية وأشياعه : إن عمر رضي الله عنه توسل بالعباس ولم يتوسل بالنبي ﷺ فعلم منه أن التوسل به ﷺ بعد وفاته لايجوز وهذا هو الخطأ الكبير الذى يجب كشفه ، فلابد من التنبيه على أمور :

١ـ قد ثبت بهذا الحديث أن التوسل بذوات الصلحاء يجوز وليس بمختص بالأعمال الصالحة وقد إنعقد عليه إجماع الصحابة لأن التوسل بالعباس رضي الله عنه وقع بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد منهم .

٢ـ كان التوسل بذات العباس رضي الله عنه أمرا جائزا لصحابيته وصلاحه وتقواه ومع ذلك قال عمر رضي الله عنه : وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا،

١ـ محمد بن اسماعيل البخاري، الامام : الصحيح للبخارى (نور محمد ، كراتشي) ١/١٣٧

فاختار التوسل بقرابة النبي ﷺ فهو فى الحقيقة توسل به ﷺ فى حضرة الله تعالى جل شانه وفى رواية : إن عمر ﷺ توسل بالعباس ﷺ وكان معه على المنبر ثم دعا العباس :

ألهم لم ينزل ببلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكانى من نبيك[1]

وذكر الحافظ ابن عبدالبر فى ترجمة العباس ﷺ :

وروينا من وجوه عن عمر أنه خرج يستسقي وخرج معه بالعباس فقال : اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ﷺ ونستشفع به فاحفظ فيه لنبيك ﷺ كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما[2]

فاتضح أن التوسل بالعباس ﷺ هو توسل بالنبي ﷺ -

٣- التوسل بالنبي ﷺ كان جائزا ومتقررا عند الصحابة وإنما توسل عمر بالعباس رضى الله تعالى عنهما لئلا يتوهم أحد أن التوسل مختص بالنبي ﷺ ولا يتوسل بغيره ، دل عمله ﷺ على أن التوسل بأهل قرابته ﷺ وصالحى أمته جائز لا بأس به -

أخرج ابن سعد (المتوفى ٢٣٠هـ) عن سليم بن عامر الخبائرى :

إن السماء قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان ﷺ وأهل دمشق يستسقون فلما قعد معاوية على المنبر قال : أين يزيد

١- محمود العينى، العلامة بدرالدين: عمدة القارى (محمد امين دمج ، بيروت) ٣٢/٧

٢- ابن عبدالبر النمرى القرطبى ، الاستيعاب (دار صادر ، بيروت) ٩٩/٣

الامام :

ابن الأسود الجرشي؟ قال: فناداه الناس فأقبل يتخطى فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه فقال معاوية: ألّلهم إنا نستشفع اليك اليوم بخيرنا وأفضلنا ألّلهم إنا نستشفع اليك بيزيد بن الأسود الجرشي يا يزيد ارفع يديك الى الله فرفع يزيد ورفع الناس أيديهم فما كان أوشك أن ثارت سحابة في المغرب وهبت لها ريح فسقينا حتى كاد الناس لايصلون الى منازلهم[1]

وكان هذا التوسل بمجتمع الصحابة والتابعين ولم ينكر عليه أحد وهذا إجماعهم على إستحسان التوسل بذات ولى من الأولياء وفيه توسل الأفضل بالمفضول .

التوسل ــــــ والأئمة الأربعة

قال الامام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله تعالى :

يا مالكي كن شافعي في فاقتي   إني فقير في الورى لغناك
يا أكرم الثقلين يا كنز الورى   جدلي بجودك وارضني برضاك
أنا طامع بالجود منك ولم يكن   لأبي حنيفة في الأنام سواك[2]

سئل منصور العباسي ، إمام أهل المدينة مالكا رحمه الله تعالى إذا زرت النبي ﷺ فهل أتوجه اليه أم إلى القبلة ؟ أجابه مالك :

١ـ ابن سعد ، الامام : الطبقات لابن سعد (دار صادر ، بيروت) ٧/٤٤٤

٢ـ نعمان بن ثابت ابوحنيفة ، الامام: القصيدة النعمانية (ط : فيصل آباد) ص ٢٠٠-١٩٩

ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم
إلى الله تعالى؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك[1]

ومما يؤسف عليه أن كثيرا من الناس بمكة المكرمة والمدينة المنورة ينامون باسطي أرجلهم إلى الكعبة ولا يمنعهم أحد، ومع ذلك يمنعون من التوجه إلى النبي ﷺ عند الصلوة والسلام ويصرون على استقبال القبلة — فيا للعجب ! وإلى الله المشتكى!

قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى :

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي
أرجوبهم أعطى غدا بيدى اليمن صحيفتي[2]

إن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى دعا الله تعالى متوسلا بالامام الشافعي فتعجب منه ابنه عبدالله فقال الامام أحمد :

إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن[3]

التوسل —— والأئمة الأعلام

ولو تصدى أحد من العلماء لجمع أقوال علماء الاسلام وأخبارهم في مسئلة التوسل لجمع كتابا ضخما ولنذكر نبذة من تصريحاتهم.

قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى (المتوفى ٥٠٥هـ) في آداب السفر من الاحياء :

۱- عياض المالكي، القاضي الامام : الشفاء (المكتبة الفاروقية، ملتان) ۲/۳۳

۲- أحمد بن حجر المكي، الامام : الصواعق المحرقة (مكتبة القاهرة، مصر) ص ۱۸۰

۳- يوسف بن اسماعيل النبهاني : شواهد الحق (مصطفى البابي، مصر) ص ۱٦٦

ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض[1]

الامام ابن الحاج الذى يعد من العلماء المتشددين ذكر طريق التوسل والاستغاثة بالأولياء والأنبياء عليهم السلام وخاصة بالنبي ﷺ ولقد ذكر هذه المسئلة مشرحة ، نذكر بعض نصوصه .

قال ابن الحاج: إن كان الميت من عامة المسلمين فعلى الزائر أن يتوجه إليه ويستد بر القبلة فيحمد الله تعالى ويثنى عليه ثم صلى على النبي ﷺ ثم دعا للميت مهما أمكن ، ثم قال :

وكذلك يدعو عند هذه القبور عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين ويتضرع إلى الله تعالى في زوالها وكشفها عنه وعنهم[2]

ثم يتوسل بأهل تلك المقابر أعنى بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشائخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذريتهم إلى يوم الدين ولمن غاب عنه من إخوانه ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل

١- محمد بن محمد الغزالي ، الامام : احياء علوم الدين (دار المعرفة ، بيروت) ٢٤٧/٢

٢- ابن الحاج ، الامام : المدخل (دار الكتاب العربي ، بيروت) ٢٤٨/١

بهم إلى الله تعالى لأنه سبحانه إجتباهم وشرفهم وكرمهم فكما نفع بهم فى الدنيا ففى الآخرة أكثر فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فانهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه۔

وقد تقرر فى الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور ، وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرا عن كابر مشرقا ومغربا يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسا ومعنى[1]

ثم نقل عن الامام أبي عبدالله بن النعمان رحمه الله تعالى أنه قال :

تحقق لذوى البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار فان بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت فى حياتهم والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين[2]

أما طريق زيارة ضرائح الأنبياء عليهم السلام فبينه بقوله :

وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتى إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فاذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والحاجة والاضطرار والخضوع ، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لابعين بصره،

١۔ ابن الحاج ، الامام : المدخل ١/٢٤٩

٢۔ ايضا : ١/٢٤٩

لأنهم لا يسألون ولا يتغيرون ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله ، ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم الاجابة ببركتهم ويقوى حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح -

وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك فإنهم السادات الكرام، والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم[1]

التوسل بسيد الأنبياء صلى الله تعالى عليه وسلم
والامام إبن الحاج

ولله دره ! لقد شرح هذه المسئلة بحيث لم يبق فيها خفاء ، قال :

وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه ، أعني في الانكسار والذل والمسكنة لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من إستعان أو إستغاث به إذ أنه عليه الصلوة والسلام قطب دائرة

١ـ ابن الحاج ، الامام : المدخل ١/٢-٢٥١

الكمال وعروس مملكة الله ـ

فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلايرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار ويحتاج إلى الأدب الكلى فى زيارته عليه الصلوة والسلام وقد قال علماءنا رحمة الله عليهم إن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلوة والسلام كما هو فى حياته إذ لا فرق بين موته وحياته أعنى فى مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلى لاخفاء فيه[1]

وقد مر آنفا قوله :

فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه[2]

قال العلامة على القارى رحمه الله تعالى :

قيل: إذا تحيرتم فى الأمور فاستعينوا من أهل القبور[3]

قال الامام العلامة تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى :

إعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبى ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذى دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين

١- ابن الحاج ، الامام : المدخل ١/٢٥٢

٢- ايضا : ١/٢٤٩

٣- على بن سلطان محمد القارى : شرح مسند الامام الاعظم (المجبائى ، دهلى) ص ١١٤

ولم ينكر أحد ذلك من أهل الاديان ولا سمع به فى زمن من الأزمان حتى جاء إبن تيمية فتكلم فى ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار[١]

قال العلامة إبن حجر العسقلانى :

يا سيدى يا رسول الله قد شرفت
قصائدى بمديح قد رصفا
مدحتك اليوم أرجو الفضل منك غدا
من الشفاعة فالحظنى بها طرفا
بكم توسل يرجوا لعفو عن زلل
من خوفه جفنه الهامى لقد ذرفا[٢]

قال العلامة الشاه ولى الله المحدث الدهلوى :

وأظهر (يعنى النبى ﷺ) فى الأسرار وعرفنى بنفسه وأمدنى إمدادا عظيما إجماليا وعرفنى كيف أستمد به فى حوائجى[٣]

وقال فى شرح قصيدته أطيب النغم باللغة الفارسية ما ترجمته هذه :

ألفصل الأول فى التشبيب بذكر بعض حوادث الزمان التى لابد فيها من الاستمداد بروح النبى ﷺ[٤]

١- تقى الدين السبكى ، الامام : شفاء السقام (فيصل آباد) ص ١٦٠

٢- يوسف بن اسماعيل النبهانى : المجموعة النبهانية (دار المعرفة ، بيروت) ٣٩١/٢

٣- ولى الله الدهلوى ، الشاه : فيوض الحرمين (محمد سعيد ، كراتشى) ص ٨٦

٤- ولى الله الدهلوى ، الشاه : اطيب النغم (مجتبائى ، دهلى) ص ٢

وقال فى قصيدته المذكورة :

وصلى عليك الله يا خير خلقه
ويا خير مأمول ويا خير واهب
ويا خير من يرجى لكشف رزية
ومن جوده قد فاق جود السحائب
وأنت مجيرى من هموم ملمة
إذا أنشبت فى القلب شر المخالب[١]

التوسل ——— ومن يثق به أهل الحديث (اللامذهبية)

قد سبقت نصوص من أئمة الاسلام الذين اعتمد عليهم كل طبقة وفرقة والآن نذكر طرفا من أقوال العلماء الذين يوثقهم غير المقلدين ويعتمدون عليهم .

قال العلامة ابن القيم :

لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا على أيدى الرسل (إلى أن قال) ولا ينال رضا الله ألبتة إلا على أيديهم[٢]

وقد سبق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى متوسلا بالعباس رضي الله عنه، قال الشيخ ابن تيمية :

هذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ، ولم ينكر عليه أحد مع شهرته وهو من أظهر الاجماعات الاقرارية ودعا بمثله

١- ولى الله الدهلوى ، الشاه : الطيب النغم ، ص ٢٢

٢- ابن القيم الجوزية : زاد المعاد (مصطفى البابى ، مصر) ١/٥

معاوية بن أبي سفيان في خلافته(١)

قال القاضي الشوكاني في الدر النضيد :

إن التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ، إنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة(٢)

وقال النواب صديق حسن البوفالي من أئمة غير المقلدين :

يا سيدي يا عروتي ووسيلتي يا عدتي في شدة ورخاء

قد جئت بابك ضارعا متضرعا متأوها بتنفس صعداء

مالي وراءك مستغاث فارحمن يا رحمة للعالمين بكائي(٣)

وقال النواب وحيد الزمان من أئمتهم :

وليت شعري إذا جاز التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة فيقاس عليها التوسل بالصالحين أيضا قال الجزري في الحصن في آداب الدعاء منها أن يتوسل إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين من عباده(٤)

١- محمد عبدالرحمن : تحفة الأحوذي شرح الترمذي ٤/٢٨٢

٢- أيضا : ٤/٢٨٢

٣- وحيد الزمان ، النواب : حاشية هدية المهدي (سيالكوت) ص ٢٠

٤- أيضا : ص ٤٨

التوسل ـــــ والعلماء الديوبندية

قال مؤسس دارالعلوم ديوبند ، محمد قاسم النانوتوى فى القصائد القاسمية :

مدد کراے کرم احمدی کہ تیرے سوا
نہیں ہے قاسم بیکس کا کوئی حامی کار[1]

(أغثني يا رحمة النبي إذ ليس أحد حاميا للقاسم العاجز سواك)

وسئل شيخ الديوبنديين رشيد أحمد الكنكوهي عن هذين البيتين :

يا رسول الله أنظر حالنا يا حبيب الله إسمع قالنا
إننى فى بحر هم مغرق خذ يدى سهل لنا إشكالنا

وعن هذا البيت من القصيدة البردة :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

ما حكم وردها ؟ فأجاب :

ورد أمثال هذه الكلمات نظما ونثرا مكروه تنزيها وليس كفرا ولا فسقا[2]

١- محمد قاسم النانوتوى : القصائد القاسمية (ط : ملتان) ص ٨
٢- رشيد احمد الكنكوهي : الفتاوى الرشيدية (كراتشي) ص ٦٩

وقال الشيخ أشرف علي التانوي الديوبندي مخاطبا لشيخه الحاج إمداد الله المهاجر المكي :

يا مرشدي يا موئلي يا مفزعي — يا ملجأي في مبدئي ومعادي
إرحم على أيا غياث فليس لي — كهفي سوى حبيكم من زاد
فاز الأنام بكم وإني هائم — فانظر إلي برحمة يا هاد
يا سيدي لله شيئاً إنه — أنتم لي المجدي وإني جادي[1]

وقال مستغيثا بالنبي ﷺ :

يا حبيب الاله خذ بيدي — ما لعجزي سواك مستندي
كن رحيما لذلتي واشفع — يا شفيع الورى إلى الصمد
إعتصامي سوى جنابك لي — ليس يا سيدي إلى أحد[2]

ألتوسل — وعلماء العالم الاسلامي

أخونا الفاضل العلامة محمد عاشق الرحمن إلهٰ آبادي جمع في كتابه "سيوف الله الاجلة" فتاوى علماء الاسلام التي تتعلق بمسئلة التوسل ، نذكر نبذا منها .

قال الشيخ عبدالكريم محمدالمدرس والامام بالحضرة الكيلانية، ببغداد بعد ما أورد الدلائل على جواز التوسل :

فكيف يبقى مجال إنكار التوسل بذوات الرسل عليهم الصلوة والسلام فالتوسل بهم وبالأولياء الكرام وبأعمالهم

١- محمد عاشق الهي الميرتي : تذكرة الرشيد (كراتشي) ١/١١٤

٢- اشرف علي التانوي : شمائم امداديه / نشان التكميل (مجتبائي ، دهلي) ص ١٧٢

الصالحة وبأعمال نفس الداعين كل ذلك حق مشروع ولا ينكره إلا جاهل غبي إنحرف عن طرق الرشد وإجماع المسلمين وما رأه المسلمون حسنا فهو عندالله حسن .

(سيوف الله الأجلة ، ص ٣٩)

وعلى هذا الجواب توقيعات لأربعة مشائخ من علماء بغداد وهذا هو المدرس بكلية الشريعة في بغداد ، الشيخ أحمد طه يقول :

فإن الله تعالى هو المؤثر في كل شئ وبناء على هذه العقيدة فلا مانع شرعا في التوسل بالأنبياء عليهم الصلوة والسلام مطلقا ، بل إن التوسل لايخل بالتوحيد كما لا تخل الشفاعة بالتوحيد .

(نفس المرجع : ص ٤٥-٤٣)

قال الشيخ محمد علي من علماء حماة سورية :

وإذا كان التوسل مشروعا بالأعمال الصالحة دون معارض وهي مخلوقة مع كونها لا ندرى هل تلك الأعمال مقبولة أم لا ؟ فكيف لا يجوز التوسل بالنبي ﷺ وهو أفضل مخلوق ومقبول لدى الله تعالى في حياته وبعد وفاته باعتباره حيا وتعرض عليه أعمالنا دائما كما ورد .

(نفس المرجع : ص ٤١)

قال الشيخ عبدالعزيز طهاز المدرس والخطيب بجامع السلطان حماة سورية :

وإذا كانت الشفاعة ليست شركا فالوسيلة أيضا ليست شركا لأنها بمعناها فهي ليست سوى مكانة يتفضل بها على

من يشاء من عباده إظهارا لفضله سبحانه على عبده : قال سبحانه في حق موسى عليه السلام : وكان عندالله وجيها (الأنبياء) أفلا يكون خاتم الرسل والأنبياء وجيها عند الله سبحانه ؟ (نفس المرجع : ص ٥٦)

قال العلامة صالح نعسان ، أمين فتوى حماة ، بسوريا :

وقد أجمعت الأمة على جواز التوسل إذا صحت العقيدة وإجماع الأمة حجة شرعية كما قال عليه السلام لا تجتمع أمتي على ضلالة أماما يدعيه بعض الغلاة من الوهابية بأن حكم التوسل بأنه شرك فلا دليل عليه شرعا ولا عقلا ـ
(نفس المرجع : ص ٥٥)

وهذه فتوى العلامة أبي سليمان سهيل الزبيبي، إمام جامع النجارين ، بدمشق :

إن الاعتقاد بالتوسل بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلوة والتسليم والأولياء الصالحين المجمع على فضلهم وصلاحهم وعلمهم وولايتهم إيمان لا كفر وجائز عندى لا محظور وإن المتوسل بهؤلاء إلى الله تعالى لتقضى حاجاته يكون مؤمنا موحدا ليس بمشرك وتصح جميع عباداته ـ (أيضا : ص ٥٩)

قال العلامة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانية :

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته ـ ـ ـ ـ ـ وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا جرت الأمة طبقة فطبقة ـ
(نفس المرجع : ص ٧١)

قال الشيخ أحمد شيخو ، رئيس المجلس المركزى لاتحاد المبلغين ، بجاكرتا اندونيسيا :

وأقول : إن التوسل بالنبي ﷺ جائز فى كل حال قبل خلقه وبعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة والجنة .

(نفس المرجع : ص ٧٧)

كتب محمد برهان الدين بأمر الشيخ أبي الحسن على الندوى عميد ندوة العلماء ، لكنئو :

إن الاعتقاد بالتوسل بالأنبياء ليس شركا فالمتوسل ليس بمشرك فنرجو الله تعالى أن يتقبل أعماله الصالحة من الصلوة والحج وغيرهما .

(نفس المرجع : ص ١٦١)

قال الشيخ نظام الدين المفتى بدار العلوم ديوبند ، بعد ما نقل أحاديث وأقوال أهل العلم :

واتضح من هذه النقول أن المتوسلين ليسوا مشركين وأن التوسل ليس شركا ، صومهم وصلوتهم وحجهم وزكوتهم جائز وصحيح ، مثل سائر المسلمين .

(نفس المرجع : ص ١٦٧)

وفى مايلى ملخص إفتاء الشيخ عبدالعزيز بن باز ، الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد :

والتوسل إلى الله بأوليائه أنواع :

الأول : أن يطلب إنسان من الولى الحى أن يدعو الله له

بسعة رزق أوشفاء من مرض ونحو ذلك فهذا جائز۔
الثاني : أن ينادي الله متوسلا إليه بحب نبيه واتباعه إياه وبحبه لأولياء الله ، فهذا جائز ۔
الثالث : أن يسأل بجاه أنبيائه أو ولى من أوليائه فهذا لايجوز۔
الرابع : أن يسأل العبد ربه حاجته مقسما بوليه أو نبيه أو بحق نبيه أو أوليائه فهذا لا يجوز ۔
(نفس المرجع : ص ١٩-٢١٧)

قد سبق منا حكم القسم الثالث والرابع نقلا عن الصحابة وعلماء الأمة المسلمة ، ومما ينبغي أن يتنبه له ههنا هو أن علماء النجد والندوة مع غلظتهم في هذه المسئلة لم يحكموا على هذين النوعين بالشرك ۔

وقد ألف فضيلة الشيخ العلامة المفتي محمد عبدالقيوم القادري رئيس الجامعة النظامية الرضوية ، لاهور، جزء في هذا المبحث سماه باسم التوسل ، واستشهد فيه بآيات وأحاديث واستند بعبارات كتب من التفسير والحديث، وهذا الجزء قد طبع في باكستان والهند وتركيا ۔

قال فضيلة الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي ، من أجلة فضلاء الكويت ومشائخها :

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين كما دلت الأحاديث السابقة ۔۔ وأما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات حيث جوزوا بعض التوسلات بالأحياء لا الأموات، فهم القريبون من الزلل لأنهم اعتبروا أن الأحياء لهم التأثير دون الأموات،

مع أنه لا تأثير إيجاد يا لغير الله سبحانه وتعالى على الاطلاق وأما الافادة وفيض البركات والاستفادة من أرواحهم استفادة إعتيادية ، وتوجه أرواحهم إلى الله سبحانه وتعالى طالبين فيض الرحمة على ذلك المتوسل ، فهو شئ جائز وواقع وخال عن كل خلل بدون الفرق بين الأحياء والأموات[1]

قال الأستاذ عبدالرحيم فوده :

هذا ما قاله فضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ على محفوظ (فى كتابه الابداع فى مضار الابتداع) ويبدو من كلامه أنه أنه يميل إلى جواز التوسل على المعنى الذى لا يختلف فيه مسلم مع مسلم وهو أن يكون المدعو هو الله ، والمسئول هو الله ، والوسيلة أعم من أن تكون عملا صالحا يقرب إلى الله ، أو وليا تقيا يقود إلى الله ، أو يقتدى به فى العمل على إرضاء الله ، أو يستشفع به فى طلب ما عند الله[2]

قال الشيخ حسن كامل ملطاوى ، وكيل وزارة الخزانة سابقا من علماء مصر :

وإذا كان لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة فلما ذا لا تكون للمقربين شفاعة فى البرزخ، وهو سبيل إلى الآخرة، والله تعالى يقول فى شأنهم : { فلا تعلم نفس ما أخفى لهم

١ـ يوسف الرفاعى السيد : الرد المحكم المنيع (ط : الكويت) ص ٨٧-٨٦

٢ـ عبدالرحيم فوده : مجلة شهرية لواءالاسلام (مصر) ص ٦٢٢

من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ ولاشك أنه مما تقربه أعينهم أن تجرى رحمة الله للمؤمنين على أيديهم ، وأن يكرم الله زوارهم فى حاجاتهم ، وقد زاروهم زيارة خالصة لله وفى محبته تعالى ودعوا لهم بالمغفرة ويسرهم أن تكون لهم من الله الجائزة ، وهو سبحانه وتعالى صاحب الفضل على عباده أجمعين ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾[١]

قال العلامة محمد علوى المالكى من علماء بلد الله الحرام :

ولفظ الوسيلة عام فى الآية كما ترى فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين فى الحياة وبعد الممات وبالاتيان بالأعمال الصالحة على الوجه المأمور به وللتوسل بها بعد وقوعها .

وفى ما ستسمع من الأحاديث والآثار ما يجلى لك هذا العموم واضحا ، فألق السمع وأنت شهيد لترى أنه قد ثبت التوسل به ﷺ قبل وجوده وبعد وجوده فى الدنيا وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة[٢]

١- حسن كامل ملطاوى : رسول الله فى القرآن الكريم (ط : دارالمعارف ، مصر) ص ٥٢٠

٢- محمد علوى المالكى : مفاهيم يجب ان تصحح (ط : دارالسلام ، لاهور) ص ٤٥

التوسل بالنبي ﷺ يوم القيامة

قال الامام العلامة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى :

الحالة الثانية بعد موته ﷺ في عرصات القيامة بالشفاعة منه ﷺ وذلك مما قام عليه الاجماع وتواترت الأخبار به[1]

التوسل بالأولياء

قال شيخ مشائخ الهند ألشاه ولي الله المحدث الدهلوي :

إن الطريقة الشطارية إنما صارت معروفة في بلادنا بتوسط الشيخ محمد غوث الكواليارى ولم تكن هذه الطريقة ذا شهرة كبيرة قبله ، ثم قال :

هذا الفقير لبس الخرقة من يد الشيخ أبي طاهر الكردي، وأجازني بعمل ما في الجواهر الخمسة[2]

ثم ذكر المحدث الدهلوي سندين من الشيخ أبي طاهر الكردي إلى الشيخ محمد غوث الكواليارى ، ثم قال :

١- تقي الدين السبكي ، الامام : شفاء السقام ص ١٧٣.

٢- ولي الله المحدث ، الشاه : الانتباه (ط : فيصل آباد) ص ١٥٧-٨

لما وصل هذا الفقير في سفر الحج إلى لاهور وسعد بتقبيل يدالشيخ محمد سعيد اللاهوري، أجاز بالدعا السيفي بل بجميع أعمال الجواهر الخمسة وأبرز سنده، وهو في هذا الزمان من أعيان مشائخ الطريقة الأحسنية والشطارية[1]

وقد أورد الشيخ الكواليـاري في كتابه "الجواهر الخمسة" وردا يقرء كل يوم خمسمائة مرة لفتح أبواب السعادة، وهو هذا:

ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب كل هم وغم سينجلي بنبوتك يا محمد وبولايتك يا علي يـا علي يا علي[2]

ليس هذا الورد إلا توسلا بنبوة سيدنا ومولانا محمد ﷺ وولاية سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولو كان هذا شركا لما حصل الشاه ولي الله المحـدث الدهلوي إجازة الجواهـر الخمسة الذي فيه هـذا الورد، فهل يرضى هو ومشائخه بالشرك؟ حاشا وكلا.

وهذه فتوى شيخ الاسلام شهاب الدين الرملي:

سئل شيخ الاسلام الرملي عما يقع من العامة عند الشدائد يا شيخ فلان ونحو ذلك فهل للمشائخ إغاثة بعد موتهم؟ فأجاب بأن الاستغاثة بالأولياء والأنبياء والصالحين والعلماء جائزة فإن لهم إغاثة بعد موتهم كحيـاتهم فإن معجزات

١- ولي الله المحدث، الشاه: الانتباه في سلاسل أولياء الله ص ٥٨-١٥٧

٢- محمد غوث الكواليارى، الشاه: جواهر خمسة (دارالاشاعة، كراتشي) ص ٤٥٢

الأنبياء كرامة للأولياء[1]

قال العلامة الشيخ حسن العدوى الحمزاوى :

وما يقع من بعض العوام من قولهم يا سيدى فلان مثلا إن قضيت لى كذا أو شفيت لى مريضى فلك على كذا فهو من الجهل بالنسبة بكيفية الطلب ولكن لا يعد كفرا لأنهم لا يقصدون بذلك الايجاد من الولى وإنما يجعلونه فى نياتهم وسيلة إلى مولاهم حيث كان التوسل به فى إعتقادهم من أهل القرب والمحبة للخالق ألا ترى أنهم يكررون فى أثناء كلامهم يا صاحب النفس الطاهر عند ربك أطلب لى من مولاك يفعل بى كذا فإن ذلك دليل منهم على إنفراد الله بالفعل وأنه لا شئ للولى إلا مجرد التسبب وأنه لا يرد المتوسل به لأن القريب المحبوب لا يرد .

فهو من باب قوله ﷺ رب أشعث أغبرذى طمرين لو أقسم على الله لأبره وقد ذكر بعض العارفين أن الولى بعد موته أشد كرامة منه فى حال حياته لانقطاع تعلقه بالمخلوق وتجرد روحه للخالق فيكرمه الله بقضاء حاجة المتوسلين[2]

قال العلامة إبن الحاج رحمه الله تعالى :

فان قال القائل ، هذه الصفات مختصة بالمولى سبحانه وتعالى فالجواب أن كل من إنتقل إلى الآخرة من المؤمنين،

١- حسن العدوى الحمزاوى : مشارق الانوار (ط : مصر) ص ٥٩

٢- ايضا : ص ٥٨

فهم يعلمون أحوال الأحياء غالبا وقد وقع ذلك فى الكثرة بحيث المنتهى من حكايات وقعت منهم ويحتمل أن يكون علمهم بذلك حين عرض أعمال الأحياء عليهم ويحتمل غير ذلك وهذه أشياء مغيبة عنا .

وقد أخبر الصادق عليه الصلوة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلابد من وقوع ذلك والكيفية فيه غير معلومة ، والله أعلم بها ، وكفى فى هذا بيانا قوله عليه الصلوة والسلام "المؤمن ينظر بنور الله" ونور الله لا يحجبه شئ ، هذا فى حق الأحياء من المؤمنين ، فكيف من كان منهم فى الدار الأخرة[1]

قال الشيخ فريد الدين العطار رحمه الله تعالى فى تذكرة الأولياء

باللغة الفارسية : إن السلطان محمود الغزنوى كانت عنده جبة الشيخ أبي الحسن الخرقانى رحمه الله تعالى ولما خشى فى معركة سومنات من هزيمة المسلمين نزل عن فرسه وذهب إلى زاوية وفى يديه تلك الجبة ودعا الله تعالى فى حال السجود بهذه الكلمات :

اللهم ! أنصرنا على هؤلاء الكفار ببركة صاحب هذه الخرقة ، وكل ما يحصل لى من أموال الغنيمة فهو صدقة على الفقراء .

وفجاءة إرتفع الشغب من قبل الكفار وأحاطت بهم الظلمة ، فاقتتل الكفار فى ما بينهم وتفرقوا فرقا ، وظفر عسكر الاسلام ، وفى

١- ابن الحاج ، الامام : المدخل (ط : بيروت) ٢٥٣/١

تلك الليلة رأى السلطان ، الشيخ أباالحسن الخرقانى وسمعه يقول :

يا محمود ! لم تعرف مكانة خرقتنا فى حضرة الله تعالى،
لوسألت الله تعالى فى تلك الساعة إسلام جميع الكفار لأسلموا[١]

قال العلامة إبن عابدين الشامى رحمه الله تعالى فى حاشية رد المحتار من آخر كتاب اللقطة :

قرر الزيادى أن الانسان إذا ضاع له شئ وأراد أن يرد الله سبحانه عليه فليقف على مكان عال مستقبل القبلة ويقرأ الفاتحة ويهدى ثوابها للنبى ﷺ ثم يهدى ثواب ذلك لسيدى أحمد بن علوان ويقول يا سيدى أحمد يا ابن علوان إن لم ترد على ضالتى وإلا نزعتك من ديوان الأولياء فإن الله يرد على من قال ذلك ضالته ببركته ، أجهورى مع زيادة كذا فى حاشية شرح المنهج للداؤدى رحمه الله ـ ١٢ منه

قال سراج الهند الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى فى ترجمة سيدى زروق الذى له حاشية على صحيح البخارى ، وهذه ترجمة نصه باللغة الفارسية :

بالجملة هو رجل جليل القدر وأجل من أن يذكر، وهو آخر الصوفية المحققين الذين جمعوا الحقيقة والشريعة ، وافتخر بتلمذه أجلة العلماء ، مثل شهاب الدين القسطلانى وشمس الدين اللقانى ، وله قصيدة على منهج القصيدة الجيلانية وهذه بعض أشعارها :

١- فريد الدين العطار : تذكرة الاولياء (ط : لاهور) ص ٢٤٤

أنا لمريدى جامع لشتاته
إذا ماسطا جور الزمان بنكبة
وإن كنت فى ضيق وكرب ووحشة
فناد بيا زروق آت بسرعة[١]

وهذا هو أستاذ صاحب الدر المختار، العلامة خيرالدين الرملى، حيث يقول:

وأما قولهم يا شيخ عبد القادر فهو نداء وإذا أضيف إليه شئ إكراما لله فما الموجب لحرمته؟ (إلى أن قال) ووجه التكفير بأنه طلب شئ لله وهو جل وعلا غنى عن كل شئ والكل محتاج إليه وهذا لا يختلج فى خاطر أحد فان ذكره تعالى للتعظيم كما فى قوله تعالى فإن لله خمسه ومثله كثير[٢]

الصلوة الغوثية

سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمه الله تعالى رأس الأولياء ورئيس الأتقياء، له مرتبة علية فى حضرة الله تعالى، والدعاء بوسيلته مستجاب إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ الجيلى رحمه الله تعالى:

من استغاث بى فى كربة كشفت عنه ومن نادانى باسمى فى شدة فرجت عنه ومن توسل بى إلى الله عزوجل فى حاجة قضيت له ومن صلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة

١- عبدالعزيز المحدث الدهلوى: بستان المحدثين (ط: كراتشى) ص ٣٩
٢- خير الدين الرملى، العلامة: الفتاوى الخيرية (ط: قندهار) ٢/٢٨٢

سورة الاخلاص إحدى عشرة مرة ثم يصلى على رسول الله بعد السلام ويسلم عليه ويذكرنى ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشرة خطوة ويذكر اسمي ويذكر حاجته فإنها تقضى باذن الله[1]

ثم ينشد بعده هذين البيتين :

أيدركنى ضيم وأنت ذخيرتى
وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
وعار على حامى الحمى وهو منجدى
إذا ضل فى البيدا عقال بعيرى[2]

فليتأمل هل فى هذه الصلوة شائبة من الشرك ؟ كيف وقد أمر النبى ﷺ رجلا ضرير البصر أن يتوضأ فيحسن وضوئه فيصلى ركعتين ويدعو بوسيلة النبى ﷺ فدعا فعاد بصره ، ثم أمر عثمان بن حنيف رضي الله عنه رجلا فى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يدعو بهذا الطريق فدعا فقضى الله تعالى حاجته ، وعلى هذا لو صلى أحد ركعتين ثم دعا الله تعالى حاجته بتوسل الشيخ رحمه الله تعالى فإنها تقضى باذن الله تعالى ، ولا يكون شركا قطعا .

ثم هذا الطريق مما أمر به الشيخ السيد عبدالقادر الجيلانى رحمه الله تعالى كما رواه العلامة على بن يوسف اللخمى الشطنوفى ، فى بهجة الأسرار ، والعلامة محمد بن يحيى التاذفى ، فى قلائد الجواهر كما سبق آنفا ، والعلامة ملا على القارى ، فى نزهة الخاطر الفاتر (المطبوعة

١- على بن يوسف اللخمى أبوالحسن: بهجة الاسرار (ط : مصر) ص ١٠٢

٢- محمد بن يحيى التاذفى : قلائد الجواهر (ط : مصر) ص ٣٦

باللغة الأردوية ، بفيصل آباد ص٧٩) والشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوي في زبدة الأسرار ص١٠١ (ط : بمبئي) فتكذيب هذه الرواية كما إرتكبه إحسان إلهي ظهير تعسف محض ـ

قال الامام أحمد رضا البريلوي في تعريف العلامة الشطنوفي :

أما الامام أبو الحسن نور الدين علي ، مصنف بهجة الأسرار فهو من أعاظم العلماء وأئمة القراء وأكابر الأولياء وسادات الطريقة ، يتصل سنده إلى غوث الثقلين رضي الله عنه بواسطتين ، فانه استفاض من الامام الأجل أبي صالح نصر وهو من أبيه أبي بكر تاج الدين عبدالرزاق وهو من أبيه الشيخ السيد عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه ـ

قال الشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوي في زبدة الآثار : بهجة الأسرار كتاب عظيم شريف شهير ، ومصنفه عالم معروف من علماء القراءة وترجمته مسطورة في الكتب ـ

الامام شمس الدين الذهبي الذي أحاط الآفاق تبحره في علم الحديث وأسماء الرجال حضر مجلس درسه وكتب مدائحه في كتابه طبقات المقرئين ، والامام المحدث محمد بن محمد الجزري مصنف الحصن الحصين من سلسلة تلامذته ، قرء الكتاب المستطاب بهجة الأسرار على شيخه وحصل على سنده وإجازته[1]

قال الشيخ أنور شاه الكشميري الديوبندي :

١ـ احمد رضا البريلوي ، الامام : انوار الانتباه (اكاديمية رضا ، لاهور) ص ١١-١٢

هكذا نقل الشطنوفي ووثقه المحدثون[1]

وهذه هي عقيدة التوسل والاستعانة بأحباء الله تعالى ، وهي مقبولة ومعمولة بها بين جمهور المسلمين منذ زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا ، أيدها الامام أحمد رضا البريلوي في مصنفاته في ضوء القرآن والحديث وأقوال الأئمة .

والمنابذون لأهل السنة والجماعة عدوا هذه العقيدة من خواص البريلوية فجعلوا يسبونهم بكل مسبة ويشركونهم بكل غلظة، ومع ذلك لا يشفي هذا الصنيع ما في صدورهم من حقد وبغضاء .

وهذا إحسان إلهي ظهير يقول :

> إن العقائد التي تميزت بها البريلوية هي عين تلك الخرافات التي انتقلت إلى المسلمين باسم الدين من الوثنيين والنصارى واليهود والمشركين وحار بها أئمة الاسلام وحار بها القرآن وحامل القرآن محمد صلوات الله وسلامه عليه ، كالاستعانة بغير الله (ملخصا)[2]

فلينصف القارئ الكريم أن السلف الصالحين على الحق أم هذه الفرقة الشاذة المارقة التي منها إحسان إلهي ظهير؟

★ ★ ★

١- انور شاه الكشميري : فيض الباري (ط : قاهره) ١/ ٦١

٢- احسان الهي ظهير : البريلوية ص ٥٥

الاستعانة

الانسان مدنى الطبع ، لا يعيش وحيدا ، طريدا ، منقطعا من المجتمع البشرى ، ولانجاز الأمور والشئون يحتاج الى آخرين فى جميع مجالات الحياة ؛ إنه يمد يدالعون والمساعدة إليهم ويستعين بهم؛ وفى الحقيقة جميع أفراده يساهمونه فى الحياة ، لأنه لا يمكن لأحد أن يسد حوائجه الضرورية وتطلبـاته الهدامة بنفسه ؛ ولا غرابة فيه ، لأن هذه هى الفطرة التى فطر الناس عليها تقتضى ذلك .

من الذى يشتغل بوظائف كثيرة ولا يحتاج إلى أحد ؟
من الذى يشتكى ولا يذهب إلى الطبيب ؟
ومن الذى يجوع ولا يأوى إلى المطعم ؟

وليعلم أن المغيث حقيقة هو الله تعالى ، والامداد الذى يحصل من الخلق هو أيضا فى الحقيقة من الله تعالى والعبد مظهر لعونه تعالى ، ولايمكن أن يمد أحد من الخلق بدون عون الله تعالى وعطائه ، والاعتقاد بأن أحدا يستطيع أن يعين من غير نصرة الله تعالى ومعونته شرك .

عقيدة أهل السنة فى الاستعانة

قال الامام أحمد رضا البريلوى رحمه الله تعالى باللغة الأردوية :

الاستعانة على نوعين :

(١) أن يعتقد المستعين غير الله قادرا بالذات ومالكا مستقلا ، مثلا يستمد من الطبيب أو الدواء فى دفع المرض ، أو يستعين الأمير أو السلطان فى إزالة حاجة الفقر ، أو يجعل أحدا وكيله فى دار القضاء لطلب الانصاف ، أو يطلب العون فى الأعمال اليسيرة التى يحتاج إليها الانسان كل يوم ، بأن يقول إدفع إلى هذا الشئ أو هيئ لى الطعام ، وفى مثل هذه الأعمال يستعين الوهابية من نسائهم وأولادهم وخولهم ، فلو اعتقد رجل أن أحدا يقدر على هذه الأعمال بنفسه من غير عطاء الله تعالى فأية شبهة تبقى فى كونه كافرا ومشركا ، فالاستعانة بهذا المعنى لا تجوز من الخلق .

(٢) أن يعلم الانسان أن العبد مظهر عون الله تعالى وهو واسطة ووسيلة وسبب والاستعانة بهذا المعنى ليست شركا من هؤلاء المذكورين ، فكيف تكون شركا من الأنبياء والأولياء عليهم أفضل الصلوة والثناء .(١)

والحاصل أن الاستعانة بالخلق بحيث يعتمده مغيثا مستقلا ، لا يحتاج إلى عون الله تعالى وعطائه شرك محض ، ولو ظن أنه مظهر نصرة الله تعالى ووسيلة رحمته فلا بأس بها .

التوسل والاستغاثة متحدان معنى

المقصود الأصلى والمستغاث هو الله تعالى فلا يجوز أن يجعل وسيلة ، نعم يجوز جعل الأشياء المقبولة عند الله تعالى وسيلة ، سواء

١- أحمد رضا البريلوى، الامام: بركات الامداد (ط : بريلى، الهند) ص٩-٢-٨-٢

كانت ذوات الصالحين أو الأعمال الصالحة ، وهكذا الاستعانة جائزة بهما ، فان التوسل والاستعانة وإن كانا مختلفين لفظا ، لكنهما متحدان معنى .

قال الامام العلامة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى :

وإذ قد تحررت هذه الانواع والأحوال فى الطلب من النبي ﷺ وظهر المعنى فلا عليك فى تسميته توسلا أو تشفعا أو إستغاثة أو تجوها أو توجها لأن المعنى فى جميع ذلك سواء[1]

اقسام النسبة

قال علماء المعاني : إن الاسناد على نحوين (١) حقيقة عقلية (٢) مجاز عقلي، والاسناد الحقيقي هو إسناد الفعل إلى ما هو له عند المتكلم فى الظاهر، مثل قول المؤمن أنبت الله البقل، والاسناد المجازي هو إسناد الفعل إلى غير ما هو له كذلك، مع وجود قرينة تدل على أن الاسناد إلى غير ما هو له ، مثل الزمان أو المكان أو السبب ، كما يقال بنى الأمير المدينة ، فان البناء فعل العمال حقيقة ، ولما كان الأمير هو السبب الآمر نسب إليه فعل البناء مجازا .

والقرينة تكون لفظية ومعنوية ، قال العلامة التفتازاني فى أحوال الاسناد الخبري متكلما على القرينة المعنوية :

وأنبت الربيع البقل فمثل هذا الكلام إذا صدر عن

١- تقي الدين السبكي ، الامام : شفاء السقام (ط : فيصل آباد) ص ١٧٥

(ب) أحمد بن محمد القسطلاني : المواهب اللدنية مع الزرقاني (المقصد العاشر) ٨/٣٦١

الموحد يحكم بأن إسناده مجاز لأن الموحد لا يعتقد أنه إلى ما هو له[1]

وقال أيضا :

فهذا الاسناد (في قول الكافر أنبت الربيع البقل) وإن كان إلى غير ما هو له، لكن لا تأول فيه لأنه مراده ومعتقده وكذا شفى الطبيب المريض[2]

خلاصة القول أن الكافر يقول: شفى الطبيب المريض فهذا إسناد حقيقي لأنه لا يؤمن بتأثير الله تعالى فهذا الاسناد عنده إسناد إلى ما هو له ، بخلاف ما لو قال المؤمن هذا القول فإن الاسناد فيه مجاز عقلي، والقرينة كونه مؤمنا ، لأنه يؤمن أن الشافي هو الله تعالى لا الطبيب، وإنما نسب إليه الشفاء لكونه سببا ووسيلة .

وبهذا البيان إتضح مبحث الاستعانة بحيث لا غبار عليه، فان المؤمن إذا استعان بالأنبياء أو الأولياء فكونه مؤمنا قرينة على أن المغيث عنده حقيقة وقاضي الحاجات هو الله تعالى وإنما استعان بهم على طريق المجاز العقلي لكونهم أسبابا ووسائل .

قال سراج الهند الشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ وإياك نستعين ﴾ باللغة الفارسية :

وليعلم ههنا أن الاستعانة من الغير على وجه يكون الاعتماد عليه ولا يعتقد أنه مظهر عون الله تعالى حرام ، وإن كان

١ـ مسعود بن عمر التفتازاني : المطول (رشيديه ، دهلي) ص ١٠٦

٢ـ نفس المرجع : ص ٩٩

الالتفات خالصا إلى الله تعالى ويستعين بذلك الغير بحسب الظاهر معتقدا أنه مظهر عون الله تعالى نظرا إلى عالم الأسباب وحكمة الله تعالى فيه لا يكون بعيدا عن طريق العرفان ، وهو جائز فى الشرع ، واستعان الأنبياء والأولياء بالغير بهذا النوع ، وفى الحقيقة مثل هذا ليس من غير الله تعالى بل هي إستعانة منه سبحانه وتعالى لا من غيره(٢)

قال النواب وحيد الزمان من طائفة غير المقلدين :

وضابطته أن الأمور التى كانت تطلب من الأنبياء والصلحاء حال كونهم أحياء مثل الدعاء أو الاستشفاع فطلبها منهم بعد موتهم لا يكون شركا أكبر والأمور التى هى مختصة بالله وكانت لا تطلب منهم وهم أحياء فطلبها منهم بعد أن ماتوا يكون شركا كما كان طلبها منهم وهم أحياء شركا إلا أن يكون الاسناد مجازيا كما فى قول عيسى وأحيي الموتى باذن الله صرح بذلك شيخ الاسلام فى بعض فتاواه(١)

وقال النواب المذكور سابقا باحثا على النسبة المجازية :

وكما فى قوله تعالى ﴿وإذ تخلق من الطين وتبرئ الأكمه والأبرص باذنى﴾ فأسند الخلق والابراء إلى عيسى مجازا فلو طلب أحد من عيسى روح الله أن يحيي ميتاً باذن الله

١- عبدالعزيز المحدث الدهلوى : التفسير العزيزى (ط : دهلى) ١/٨

٢- وحيد الزمان ، النواب : هدية المهدى (ط : سيالكوت) ص١٩-١٨

فلا يكون شركا أكبر وكذلك لو طلب أحد من ولي حي أو من روح نبي أو صالح أن يهب له الأولاد أو يشفيه من مرض أو يدفع عنه سوء باذن الله وأمره فهذا لايكون شركا أكبر(١)-

القول الفصل

قد إتضح بما سبق أن الاستعانة بالأنبياء والأولياء باذن الله تعالى ليست شركا ولا كفرا كما زعمت مبتدعة عصرنا هذا ، ومن البين أن المغيث والمعين وقاضي الحاجات حقيقة هو الله تعالى ، فالأحسن أن لا يسأل إلا منه تعالى ويتوسل بالأنبياء والأولياء ، فان الحقيقة حقيقة، والمجاز مجاز ، أو يطلب منهم أن يدعوا الله بأن يقضي الحاجات ويحل العويصات ، ويفرج عنهم الكربات وبهذا يسهل طريق التضامن-

الاستعانة في ضوء القرآن

يظهر من القرآن والحديث أن الأنبياء عليهم الصلوة والسلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم إستعانوا من الخلق عند الحوائج والشدائد ، وهاهي نبذة من الآيات الكريمة :

(١) ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ـ قال الحواريون نحن أنصار الله﴾(٢)

أنظر كيف أمر الله تعالى المؤمنين بنصرة دينه؟ ولو شاء لنصر دينه

١ـ وحيد الزمان ، النواب ؛ حاشية هدية المهدي ص ١٩

٢ـ سورة الصف ٦١ الآية ١٤

من غير واسطة ، ولكنه ربط المسببات بالأسباب فى نظم الكون ، ولهذا إستعان عيسى عليه السلام الحواريين .

(٢) ﴿ يا أيها الذين أمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[1]

(٣) ﴿ قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة ﴾[2]

(٤) ﴿ قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ﴾[3]

(٥) ﴿ قال يا أيها الملؤ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ﴾[4]

ألاستعانة بالنبى ﷺ

ولو التفتنا إلى الأحاديث النبوية الشريفة التى تتعلق بهذه المادة لنجد أكثر وأكثر، نكتفى بأن نذكر واحدا منها .

عن ربيعة بن كعب قال كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لى: سل فقلت: أسئلك مرافقتك فى الجنة قال أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك قال: فأعنى على نفسك بكثرة السجود (رواه مسلم)[5]

فليتامل أن ربيعة ﷺ طلب مراده من النبي ﷺ، فلم يمنعه ولم يقل

١- سورة محمد ٤٧ الآية ٧

٢- سورة الكهف ١٨ الآية ٩٥

٣- سورة يوسف ١٢ الآية ٥٥

٤- سورة النمل ٢٧ الآية ٣٨

٥- ولى الدين ، الامام : مشكوة المصابيح (ط : كراتشى) ص ٨٢

له لم تسئلني؟ إن شئت فاسئل الله تعالى الجنة ، بل وعده وقال : فأعني على نفسك بكثرة السجود ، مع أن المعطى فى الحقيقة هو الله تعالى .

قال العلامة ملا على القارى فى شرح هذا الحديث :

ويؤخذ من إطلاقه عليه السلام الأمر بالسؤال أن الله تعالى مكنه من إعطاء كل ما أراد من خزائن الحق (إلى أن قال) وذكر ابن سبع فى خصائصه وغيره أن الله تعالى أقطعه أرض الجنة يعطى منها ما شاء لمن شاء(١)

قال النواب صديق حسن البوفالى أحد علماء أهل الحديث باللغة الفارسية :

أطلق السوال ولم يخصصه بمطلوب خاص، يعلم منه أن جميع الأمر بيد كرامته ومنه ﷺ ، يعطى ما شاء من شاء باذن ربه .

فان من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم
اگر خيريت دنيا و عقبى آرزو دارى
بدرگاہش بيا وہرچه مى خواہى تمنا كن(٢)

(إن كنت تتمنى خير الدنيا والأخرة فاحضر فى حضرته ﷺ وتمن ما شئت)

١- على بن سلطان محمد القارى : المرقاة (ط : ملتان) ٢/٣٢٣

٢- صديق حسن خان البوفالى : مسك الختام شرح بلوغ المرام (ط : كانبور) ١/٢٧٦

وهذا عين ما أفاده الشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوى رحمه الله تعالى فى شرح المشكوة[1].

ومن العجب العجاب أن إحسان إلهى ظهير ينبذ هذه الآيات الكريمة والحديث الشريف وراء ظهره حيث يقول :

وقد ذكر الله عزوجل فى كتابه المحكم عديدا من الأنبياء وعباده الصالحين وهم احتاجوا إلى الاستغاثة والاستعانة والدعاء فى مسائلهم ومشاكلهم والملمات التى المت بهم ، فلم يستغيثوا ولم ينادوا إلا ربهم وحده من آدم إلى نوح ، ومن إبراهيم إلى موسى ، ومن يونس إلى خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، سواء كان مطالبة المغفرة أوالولد أو الشفاء أوالنجاة من المآزق والمهالك ، من البؤس والفقر والسجن وغير ذلك ، أو طلب النصر ، فلم يتقدموا بدعواتهم إلا إلى الله وحده ، ولم ترد واقعة ولاحادثة إستغاث أحد من عباد الله المقربين وأوليائه المنتخبين بأحد دونه وسواه[2].

نريد أن نلفت القارئ الكريم إلى الآيات التى تلونا والحديث الذى ذكرنا ، فهل بعدها لهذا الكلام معنى؟ ثم لامعنى لاستغاثة الأنبياء وتوسلهم بأحد ، فانهم مقربون عند الله تعالى أى قرب ، يدعونه ويسئلونه من غير واسطة ووسيلة.

١ـ عبدالحق المحدث الدهلوى : اشعة اللمعات (ط : سكهر) ٢٩٦/١

٢ـ احسان الهى ظهير : البريلوية ، ص ٦٣

مبحث الاستعانة وإمام اللامذهبية

النواب وحيد الزمان عالم شهير من طائفة غير المقلدين ، نقل الصحاح الستة إلى اللغة الأردوية ، وله كلام بسيط في هذا المبحث في كتابه "هدية المهدى" نقتبس بعض أقواله :

وهذا نصه :

والحاصل أن كل من إعتقد في حق غير الله سواء كان حيا أو ميتا أن له قدرة ذاتية أو موهوبة مفوضة من الله عزوجل على أمر من الأمور بحيث لا يحتاج فيها إلى اذن جديد منه فهو مشرك وكل من يفهم غير الله أنه عاجز بالكلية كالميت في يد الغسال لا يقدر على شئ إلا إذا أراد الله سبحانه وبغى أن يأخذ هذا العمل منه فيعمل بحكم الله وإذنه وإرادته وقضائه وينصر ويغيث وينفع ويضر كذلك فهو موحد ليس بمشرك سواء كان ذلك الغير حيا أو ميتا كمن فهم أن السقمونيا مسهل بذاته أو النار محرقة بذاتها فقد أشرك ، ومن علم أن إسهال السقمونيا وإحراق النار بأمر الله وإذنه وإرادته فهو موحد ليس بمشرك[1]

قد ذكرنا في صدر هذا البحث ما قال الامام أحمد رضا في رسالته "بركات الاستمداد" وحاصله أن الاعتقاد في المخلوق أنه نافع أو ضار بالاستقلال شرك ، وأما بعطاء الله سبحانه وتعالى وإذنه فلا .

قال القاضي الشوكاني :

---

١ ـ وحيد الزمان : هدية المهدى (ط : سيالكوت) ص ١٧

إن من اعتقد فى ميت من الأموات أو حى من الأحياء
أنه ينفعه أو يضره إستقلالا أو مع الله أو ناداه أو توجه
إليه أواستغاث به فى أمر من الأمور التى لا يقدر عليه
المخلوق فلم يخلص التوحيد بعد ولا أفرده بالعبادة[1]

أفاد القاضى الشوكانى أن الشرك إنما يلزم على من إعتقد فى حى
أو ميت أحد هذه الأمور :

١ـ أنه ينفع أو يضر استقلالا ـ
٢ـ أنه شريك لله تعالى فى النفع أو الضرر ـ
٣ـ أو استغاث فى أمر لا يقدر عليه المخلوق ـ

رغم أن أهل السنة والجماعة يعتقدون بأن النفع والضرر كله من
الله تعالى ، وليس المخلوق إلا وسيلة ، فمن أين يلزم الشرك ؟

قال النواب وحيد الزمان بعد ما نقل من القاضى الشوكانى قوله
المذكور آنفا :

أنظر إلى هذا الامام إنما جعل الشرك الأكبر إعتقاد النفع
والضرر لغير الله إذا كان بطريق الاستقلال أو الشركة مع
الله وكذلك جعل النداء والتوجه والاستغاثة بغير الله شركا
أكبر إذا كانت فى أمور لا يقدر عليها المخلوق ـ
فعلم بداهة أن النداء أو التوجه أو الاستغاثة فى أمور
يقدر عليها المخلوق أو اعتقاد النفع والضرر لغير الله باذن
الله وحكمه وإرادته ليس بشرك أكبر[2]

١ـ وحيد الزمان ، النواب : هدية المهدى ، ص ١٩
٢ـ نفس المرجع : ص ٢٠-١٩

من بخير مبتدعي زماننا إذن ؟ أن أحدا من المسلمين لا يستعين بالأنبياء والأولياء فى أمور لايقدر عليها الخلق ولا يعتقد أن احدا ينفع أو يضر بغير إرادة الله تعالى .

قال العلامة الامام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى :

وليس المراد نسبة النبي (ﷺ) إلى الخلق والاستقلال بالأفعال، هذا لايقصده مسلم فصرف الكلام إليه ومنعه من باب التلبيس فى الدين والتشويش على عوام الموحدين(١)

قال النواب وحيد الزمان باحثا على أن الاستغاثة المذكورة ليست شركا أكبر :

وقد استغاث صاحب جامع البيان (النواب صديق حسن البوفالى) فى تفسيره بالنبي، فلو كان مطلق الاستغاثةبغيراالله شركا لزم كون صاحب جامع البيان مشركا ، فكيف يعتمد على تفسيره ؟ مع أن أهل الحديث كافة قد قبلوا تفسيره .

وقال العلامة السيد (صديق حسن) فى قصيدة طويلة :

يا سيدى يا عروتى ووسيلتى   يـا عدتى فى شدة ورخـاء
قدجئت بابك ضارعا متضرعا   متـأوهـا بتنفس صعـداء
مالى وراءك مستغاث فارحمن   يـا رحمة للعالمين بكائى(٢)

لو قدمت هذه الأبيات إلى مبتدعي زمـاننا من غير إشعار إلى قائلها ليبتدرون إلى إصدار حكم الشرك ، ويسمونه مشركا أكبر من

١- تقي الدين السبكي ، الامام :   شفاء السقام ، ص ١٧٥

٢- وحيد الزمان ، النواب :   حاشية هدية المهدى ، ٢٠

مشركي مكة ، وعند ما يعلمون أن القائل هو إمام من ائمة طائفة غير المقلدين يذهلون ولا يجترون على الحكم بالشرك ، وهذا هو مما يتأسف عليه ـ

ونتحير عند ما نرى أن النواب صديق حسن خان البوفالي يستمد ويستغيث بالقاضي الشوكاني وابن القيم المرتحلين قبل سنين طوال ، ويقول :

قبلهٔ دین مددے ، کعبهٔ ایمان مددے
ابن قیم مددے ، قاضی شوکاں مددے[1]

(أغث يا قبلة الدين وكعبة الايمان ، أنصر يا ابن القيم وقاضي الشوكان)

وإن قال أحد من عامة المسلمين ، يا رسول الله ! أو يا علي ! فيكفرونه ويشركونه ، ومع ذلك لا يثلج صدورهم ـ

يقول إحسان إلهي ظهير :

إن العقائد التي تميزت بها البريلوية هي عين تلك الخرافات التي إنتشرت في البلاد المختلفة في الأوساط الصوفية وانتقلت إلى المسلمين باسم الدين من الوثنيين والنصارى واليهود والمشركين وحاربها أئمة الاسلام، كما أن بعضا منها كانت موجودة في الجاهلية الأولى وحاربها القرآن وحامل القرآن محمد صلوات الله وسلامه عليه ــ ــ ــ ــ كالاستعانة بغير الله (ملخصا)[2]

١ـ وحيد الزمان ، النواب : هدية المهدي ، ص ٢٣

٢ـ احسان الهي ظهير : البريلوية ، ص ٥٥

هذه الطائفة جريئة على تكفير الأمة المسلمة فلا عجب لو كفرت البريلوية وزعموها مشركين، ولكن نسئلهم هل يجعلون لامامهم النواب وحيد الزمان حظا من هذه الفتاوى ويطبقون عليه الكفر فانه جوز الاستعانة بغير الله تعالى وهل يعطون النواب صديق حسن البوفالى نصيبا من الشرك ؟ فانه إستمد بالقاضى الشوكانى وابن القيم ، والذى نعلم يقينا أنهم لا يفتون عليهما بشي من الكفر والشرك ، فان فتاواهم نافذة على عامة المسلمين خاصة، لا على أئمة أنفسهم.

وقد عقد النواب وحيد الزمان من طائفة غير المقلدين فصلا ، وقال فيه : إذا جازت الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فى أمور يقدر عليها ، فهل يجوز الاستعانة بأرواح الأنبياء والشهداء والصلحاء فى أمور كانت تطلب منهم وهم أحياء ، مثل الدعاء من الله وغيره إختلف أصحابنا فيه (فمنها العلامة إبن تيمية وابن القيم والشوكانى) .

والفريق الثانى جوزها ، ذكره النواب المذكور آنفا ، ونصه فيمايلى :

> إلا أن المجوزين كالسبكى وابن حجر المكى والقسطلانى وكثير من الشافعية يقولون ان الحى أيضا فى ذلك مثل الميت قال الله تعالى ﴿قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا﴾ فكما أن الحى لا يقدر على الاغاثة بغير اذن الله ورضائه وقضائه وحكمه وارادته كذلك الميت وانقطاع العمل لا يستلزم عدم العمل فان الملائكة أعمالهم منقطعة ومع ذلك هم يفعلون ما يؤمرون .
>
> ورأيت إمامنا الحسن بن على فى المنام صلى بالجماعة

وصليت خلفه ثم سألت عنه كيف تصلي ههنا؟ مع أن البرزخ ليس بدار العمل فقال: نعم لا تجب الصلوة ههنا ولكن الصالحين من عباد الله يصلون ههنا أيضا تبرعاً وتقربا إلى ربهم وتنشيطا لأنفسهم[1]

قال النواب وحيد الزمان رادا على من فرق بين الاستعانة من الأحياء والأموات، وهذا نصه:

والأعجب من الأعجب ما فرق بعض إخواننا في هذا بين الأحياء والأموات وظن أن الاستنصار والاستغاثة بالأحياء في أمور يقدر عليها العباد ليس بشرك وهو شرك بالأموات في نفس تلك الأمور وهل هذا إلا سفسطة ظاهرة فإن الحي والميت سيان في كونهما غير الله فغاية ما في الباب أن الاستنصار بالأموات شرك بالأحياء لاشرك بالله تعالى[2]

إستغاثة الأعرابي

عن العتبي أستاذ الامام الشافعي قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: ألسلام عليك يا رسول الله! سمعت الله يقول:

﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾

وقد جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

١- وحيد الزمان، النواب: هدية المهدي، ص ٢٢-٢١

٢- أيضا: ص ١٨

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم إنصرف الأعرابي ، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ ، فقال :

يا عتبي ! الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له[١]

أخرج الامام العلامة شمس الدين محمد بن الجزري الشافعي :

إذا انفلتت دابته فليناد أعينوا ياعباد الله رحمكم الله عومص

وإن أراد عوناً فليقل يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني

يا عباد الله أعينوني ـ وقد جرب ذلك[٢]

الامام الجزري التزم في كتابه "الحصن الحصين" تخريج الأحاديث الصحيحة حيث قال :

وأخرجته من الأحاديث الصحيحة[٣]

فليتدبر من يقول : إن الاستعانة بعباد الله تعالى شرك ، هل دعا النبي ﷺ وأئمة المسلمين إلى طريق هو شرك ؟ معاذ الله! أن يقول به من يؤمن بالله العظيم .

التحريف المعنوى

قد جرت عادة الخوارج والمشركين بتطبيق الآيات الواردة في حق الكافرين على المؤمنين ، وبحمل الآيات الواردة في الأصنام على الأنبياء عليهم الصلوة والسلام ، قال الله تعالى :

١- اسماعيل بن كثير القرشي : تفسير ابن كثير (ط : مصر) ١/٥٢٠

٢- محمد بن محمد الجزري : الحصن الحصين (ط : مصر) ص ٢٢

٣- نفس المرجع : ص ٣

﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾[١]

الصحابة رضي الله عنهم عملوا مطالب القرآن من النبي ﷺ فنجحوا ، رغم أن المشركين والمنافقين والخوارج إتبعوا عقولهم الزائغة فخابوا وخسروا -

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾[٢]

قال القاضي الشوكاني : قال أكثر المفسرين : إنه لما نزل ﴿انكم وما تعبدون﴾ الآية أتى ابن الزبعرى الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ألست تزعم أن عزيرا رجل صالح ، وأن عيسى رجل صالح ، وأن مريم إمرأة صالحة ؟ قال : بلى فقال : فإن الملائكة وعيسى وعزيرا ومريم يعبدون من دون الله فهؤلاء في النار ، فأنزل الله ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾[٣]

لم يلتفت ابن الزبعرى الى أن كلمة ما في قوله سبحنه ﴿وما تعبدون﴾ لغير ذوي العقول فكيف تدخل فيه الملائكة والأنبياء عليهم الصلوة والسلام ؟ ثم أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك وصار في عداد الصحابة رضي الله تعالى عنهم -

قال الامام البخاري رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن الخوارج :

وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله وقال : إنهم انطلقوا

١- سورة البقرة ٢ الآية ٢٦

٢- سورة الانبياء ٢١ الآية ٩٨

٣- محمد بن علي الشوكاني : تفسير فتح القدير ٣/٤٢٩

إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين[١]

وهذا هو صنيع إحسان إلهى ظهير حيث إنطلق إلى آيـات نزلت فى الكفار فجعلها على المسلمين وإلى آيات وردت فى الأصنام فحملها على الأنبياء عليهم السلام والأولياء ، وأراد أن يثبت أن أحباءالله تعالى لا يستطيعون النصر والاغـاثة ولا يجوز الاستمداد بهم وبهذا مشى على طريق الخوارج ومنهجها .

مثلا استدل على زعمه بهذه الآية :

﴿قل إدعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقـال ذرة فى السموات ولا فى الأرض﴾[٢]

مع أن هذه الآية نزلت فى الكفار ، قال القاضي الشوكانى :

هذا أمر النبي ﷺ بأن يقول لكفار قريش أو للكفار على الأطلاق[٣]

والآية الثانية التى استند بها هذه :

﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مـا يملكون من قطمير﴾[٤]

الآية المذكورة نزلت فى أصنام الجمادات ومن عبدهم الكفار ، قال الشوكانى :

١- محمد بن اسماعيل البخارى : صحيح البخارى (ط : كراتشى) ١٠٢٤/٢

٢- سورة السبا ٣٤ الآية ٢٢

٣- محمد بن على الشوكانى : تفسير فتح القدير ٣٢٤/٣

٤- سورة الفاطر ٣٥ الآية ١٣

لا يسمعوا دعاءكم لكونها جمادات لا تدرك شيئا من المدركات (إلى أن قال) ويجوز أن يرجع ﴿والذين تدعون من دونه﴾ وما بعده إلى من يعقل ممن عبد هم الكفار وهم الملائكة والجن والشياطين[١]

فليتأمل أن الآيات التي نزلت في الأصنام والشياطين كما قال القاضي الشوكاني، يحملها إحسان إلهي ظهير بتعسفه على الأنبياء عليهم الصلوة والسلام والأولياء رحمهم الله تعالى أعاذنا الله تعالى من مثل هذا العمل -

ومما يجب أن يتنبه له أن الله تعالى قال في هذه الآية ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ يعني أن الآلهة الباطلة تنكر إشراك العبدة ، رغم أن سيد الأنبياء ﷺ يقول عند استشفاع الناس : أنالها[٢] - فالقول بأن هذه الآية شاملة للأنبياء والأولياء عليهم الصلوة والسلام باطل قطعا ، بل هي مختصة بالآلهة الباطلة التي عبدها المشركون ، والحمد لله على أن أحدا من المسلمين لا يعبد الأنبياء عليهم الصلوة والسلام والأولياء -

وهكذا باقي الآيات التي أوردها مما ورد في الأصنام والآلهة المجعولة ، لا علاقة لها بمرامه -

ومما استشهد به الآية التالية :

﴿أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات

١- محمد بن علي الشوكاني : تفسير فتح القدير ٤/٣٤٣

٢- مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم (ط : كراتشي) ١/١٠١

ورحمته﴾(١)

ولا يخفى على ذى خبرة أن مفاد هذه الآية أن معبودا ما لايقدر على دفع ما أراد الله تعالى من النفع أو الضرر ، ولا يصح تطبيق هذه الآية على الأنبياء عليهم الصلوة والسلام والأولياء ، فإن أحدا من المسلمين وإن كان جاهلا لا يعتقد أن أحباء الله تعالى يستطيعون رد ما أراد الله تعالى من نفع أو ضرر، والمسلم الخبير يعلم أن الله أكرمهم وفضلهم بدرجة الكرامة والمحبوبية بحيث لا يرد دعائهم ولا يخيب رجائهم ، وهذا تفضل منه تعالى، قال النبي ﷺ :

إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره(٢)

ومما يدهش القارئ أن إحسان إلهي ظهير أورد في هذا البحث هذه الآية أيضا

﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريدا﴾(٣)

وهذا دليل على نهاية غلظته وشدة قساوته ، فانه أورد هذه الآية الكريمة في حق الأنبياء عليهم الصلوة والسلام والأولياء ، وهل يتصور من مؤمن في قلبه ذرة من خشية الله تعالى أن يتفوه بكلمة ﴿شيطانا مريدا﴾ في حقهم؟ أحسب القائل أن الساعة لا تقوم ؟

وقد استدل بقوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ولا يزال

١- سورة الزمر ٣٩ الآية ٣٩

٢- محمد بن اسماعيل البخاري ، الامام: صحيح البخاري (ط : كراتشي) ١/٣٧٢

٣- سورة النساء ٤ الآية ١١٨

أمثاله يستدلون بهذه الآية ، مع أن هذه الآية لو كانت على العموم لما جازت الاستعانة بأحد ، سواء كان حيا أو ميتا ، قريبا كان أو بعيدا ، وطبيبا كان أو شرطة .

قال النواب وحيد الزمان :

قال الشوكاني من أصحابنا : لاخلاف فى جواز الاستعانة بالمخلوق فى ما يقدر عليه، أماما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستعان ولا يستغاث فيه إلا به وهو المراد فى قوله{إياك نستعين} وبهذا ظهر أن من أصحابنا من زعم أن مطلق الاستعانة والاستغاثه بغير الله شرك فقد غلا وتجاوز الحد نعوذ بالله من الغلو والافراط(١)

وإذا لم تكن الآية على العموم فلابد من التخصيص الذى خصصها به سراج الهند ألشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوى فى تفسير هذه الآية ، وهو أن الاستعانة بالمخلوق على وجه يكون الاعتماد عليه ولا يعتقد أنه مظهر عون الله حرام ، وإن كان الالتفات خالصا إلى الله تعالى ويعده مظهر عون الله تعالى فهو جائز ، كما سبق نصه ، فكيف تكون هذه الآية مخالفة للاستعانة بالأنبياء والأولياء عليهم الصلوة والسلام ؟ مع أن المستمدين يعتقدون أنهم مظاهر عون الله ونصرته سبحانه وتعالى .

يقول إحسان إلهى ظهير:

فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى فى تلك

---

(١) وحيد الزمان ، النواب : هدية المهدى ، ص ١٩

الحال ، وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير
وخطب جسيم فى بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع[١]

وهذه سفسطة بينة، فان الاستغاثة بالأنبياء عليهم الصلوة والسلام والأولياء مع اعتقاد أنهم مظاهر عون الله تعالى استغاثة بالله تعالى كما صرح به الشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوى، فالحق أن أهل السنة والجماعة لا يستغيثون فى البر ولا فى البحر إلا بالله تعالى ، بخلاف المشركين فانهم يستغيثون بغير الله تعالى ، وعند ما لا تصل اليهم النصرة دعوا الله تعالى ـ أما أهل السنة والجماعة فلا يعتمدون فى حال ولا فى موضع إلا على الله سبحانه ، فالرد والاعتداء عليهم تحكم محض ـ

النواب وحيد الزمان يجيب على سؤال :

لا يقال : إن السؤال عن الصنم أو الوثن شرك مطلقا ولو سأل عنهم ما يسأل عن الناس الأحياء لأنا نقول : للصنم والوثن حكم آخر حيث أمر الله بالاجتناب عنها وأمر بكسرها وإحراقها فالسائل عنها ولو سأل ما يسأل من الأحياء كأنه معظم لها وقد قدمنا أن أدنى التعظيم لما يعبده المشركون غير الملائكة والأنبياء والصلحاء من عباد الله والشعائر التى بقيت حرمتها فى ديننا كفر وأرواح الأنبياء والأولياء ليست من قبيل الأصنام والأوثان بل هى من جنس الملائكة أو أشرف منها فتقاس على الملائكة لا على الأصنام والأوثان التى هى رجس[٢]

١ـ احسان الهى ظهير : البريلوية ، ص ٤٨

٢ـ وحيد الزمان ، النواب : هدية المهدى ، ص ٢٧

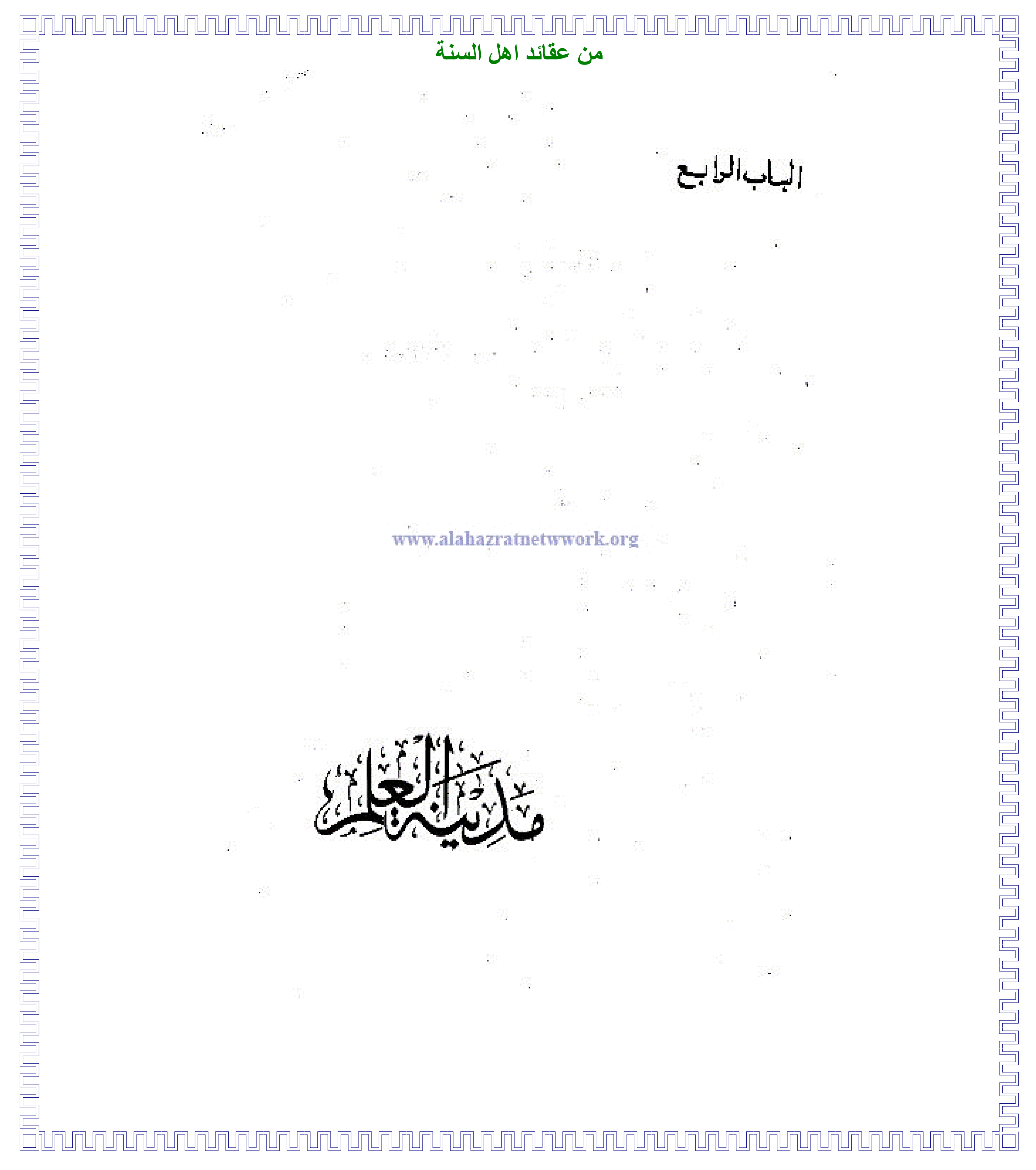
الشيخ محمد فريد وجدى يجيب على سؤال مهم ، حيث يقول :

إن قيل : هذا يشبه قول مشركى العرب عن آلهتهم، فإنهم ما جعلوهم أربابا إلا توسلا إلى الله بهم ومع ذلك فقد جعل الله عليهم الكفر والشرك ، قلنا : بعيد ما بين الحالتين ، فإن نص الآية هكذا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ والمسلم لا يعبد وليه وإنما هو يرجوه ، بل لو قلت لأجهل جاهل أنك تعبد هذا الولى لأنكر عليك وربما أهانك غيرة منه على التوحيد الذى امتزج بدمه وحياته ، وشتان بين العبادة التى أقر بها مشركو العرب وبين الرجاء الذى لا يجاوزه إلى ما فوقه أجهل المسلمين[1]

وبعد هذا لم يبق لاحسان إلهى ظهير وأشياعه مجال الطعن على أهل السنة والجماعة . والحمد لله تعالى سبحانه أولا وآخرا وصلى الله تعالى على حبيبه محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين .

★ ★ ★

١- محمد فريد وجدى : الاسلام فى عصر العلم (ط : بيروت) ص ٥٨٠



الباب الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

(القرآن ٤/١١٣)

فان من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

(البوصيرى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الغيب والشهادة ، له غيب السموات والارض ، اوحى من انباء الغيب الى انبيائه ما اوحى والصلوة والسلام على رسوله المرتضى ونبيه المرتجى وعلى آله وصحبه اهل التقى والنقى .

ان الله تعالى اكرم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بفضائل جليلة كثيرة لاتكاد تنحصر ، منها انه تعالى افاض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم علوما تزيد على علوم الاولين والآخرين واطلعه على مغيبات كثيرة ، وهذا من عادته تعالى انه يكشف المغيبات على عباده الصالحين من الانبياء والاولياء .

لابد لنا قبل سرد الادلة تعريف الغيب ليتجلى المرام من غير خفاء ، قال العلامة البيضاوى :

والمراد به (اى بالغيب) الذى لا يدركه الحس ولا تقتضيه بداهة العقل وهو قسمان قسم لادليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو﴾ وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به فى هذه الآية[1] .

وقال فى تفسير قوله تعالى ﴿يؤمنون بالغيب﴾

۱ـ عبدالله البيضاوى ، القاضى : التفسير للقاضى البيضاوى (على حاشية السيالكوتى) ص ۱۲۸

والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق ------

وقد يطلق بمعنى الوثوق ------ وكلا الوجهين حسن

فى يؤمنون بالغيب[١] .

فاستبان من هذين التصريحين ان العوام من المؤمنين يعلمون الغيب الذى قام عليه دليل اذ الايمان لما كان بمعنى التصديق، وهو قسم من العلم كان معنى قوله تعالى ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾ يعلمون الغيب ولا يعلمون الا ما قام عليه دليل واعلام الله تعالى اقوى دليل عليه .

قال العلامة الزرقانى :

وما كلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد يفتح لنا باب غيبه والى هذا اشار الغزالى فى اماليه على الاحياء[٢] .

فاذا كان هذا حال العوام من المؤمنين فما ظنك بالاولياء والانبياء ولا سيما سيد الانبياء والمرسلين صلى الله تعالى عليه وعليهم وسلم .

آيات القرآن

الآيات الكريمة الدالة على ان الله تعالى منح نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم علم المغيبات ، كثيرة نكتفى بذكر بعض منها :

١- ﴿ ما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ﴾[٣] .

١- عبدالله البيضاوى ، القاضى : التفسير للقاضى البيضاوى (على حاشية السيالكوتى) ص ٤-٢٣ ،

٢- محمد بن عبدالباقى الزرقانى العلامه : شرح المواهب اللدنية ، ٧/٢٠٩

٣- القرآن : ٣/١٧٩

٢ـ ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول ﴾[1].
٣ـ ﴿ تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ﴾[2].
٤ـ ﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾[3].
٥ـ ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾[4].
٦ـ ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ﴾[5].

الاحاديث

نقدم الى القراء الكرام نبذا من الاحاديث المباركة، والا فالاحاديث في هذا الموضوع كثيرة جدا ، ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تأخر عن صلوة الصبح ثم خرج وصلى وقال :

١ـ اني ساحدثكم ما حبسني عنكم الغداة. اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فاذا انا بربي عزوجل في احسن صورة فقال: يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت: لا ادري يا رب فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله بين صدري
فتجلى لي كل شئ وعرفت[6]

١ـ القرآن : ٧٢/٢٦
٢ـ القرآن : ١١/٤٩
٣ـ القرآن : ٨١/٢٤
٤ـ القرآن : ٤/١١٣
٥ـ القرآن : ٥٥/٤
٦ـ احمد بن حنبل ، الامام : مسند الامام احمد بن حنبل (دارالفكر ، بيروت) ٥/٢٤٣

٢ـ عن ابي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الغداة ثم جلس حتى اذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم جلس مكانه حتى صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، كل ذلك لا يتكلم ثم قام الى اهله ، فسأله ابو بكر ، فقال : نعم

عرض على ما هو كائن من امر الدنيا وامر الآخرة[1]

٣ـ عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر يقول: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاما .

فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه[2].

٤ـ عن حذيفة قال : قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشئ قد نسيته فاراه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه[3] .

٥ـ قال ابو زيد صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ، ثم صعد

١ـ احمد بن حنبل ، الامام : مسند الامام احمد بن حنبل (دار الفكر ، بيروت) ١/٤

٢ـ محمد بن اسماعيل البخاري ، الامام : الجامع الصحيح للبخاري (المجتبائي، دهلي) ١/٤٥٣

٣ـ مسلم بن الحجاج القشيري، الامام : الجامع لمسلم ، ٢/٣٩٠

المنبر فخطبنا حتى العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس .

فاخبرنا بما كان وبما هو كائن فاعلمنا احفظنا[١]

٦- عن ثوبان ان نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

ان الله زوى لى الارض حتى رأيت مشارقها ومغاربها[٢]

٧- عن انس بن مالك ان الناس سألوا نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احفوه بالمسئلة فخرج ذات يوم فصعد المنبر ، فقال: سلونى لا تسالونى عن شئ الا بينته لكم (الى ان قال) فانشأ رجل من المسجد كان يلاحى فيدعى لغير ابيه ، فقال يا نبي الله من ابي ؟ قال ابوك حذافة[٣] .

فنقول: لو لم يكن الله عزوجل اعطى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم علما واسعا لما امكن له صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقول سلونى من غير تقييد .

٨- قال السدى قال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت على امتى فى صورها فى الطين كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي، فبلغ ذلك المنافقين، فقالوا: استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال:

١- مسلم بن الحجاج القشيرى، الامام : الجامع لمسلم ، ٢/٣٩٠

٢- ايضاً : ٢/٣٩٠

٣- ايضاً : ٢/٢٦٣

ما بال اقوام طعنوا فى علمى، لا تسئلونى عن شئ فى ما بينكم وبين الساعة الا انبأتكم به، فقام عبدالله بن حذافة السهمى، فقال من ابى يا رسول‌الله؟ فقال: حذافة، فقام عمر فقال: يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك، فقال النبى صلى‌الله تعالى عليه وسلم: فهل انتم منتهون فهل انتم منتهون ؟[1]

٩- اخرج الامام البخارى عن ابى موسى رضى الله تعالى عنه قال سئل النبى صلى‌الله تعالى عليه وسلم عن اشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب ، ثم قال للناس :

سلونى عما شئتم

فقال رجل من ابى ؟ قال ابوك حذافة فقام آخر ، فقال من ابى يا رسول الله ؟ قال ابوك سالم مولى شيبة[2] .

١٠- وعن ابى هريرة قال جاء ذئب الى راعى غنم فاخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه ، قال فصعد الذئب على تل فاقعى واستثفر وقال : قد عمدت الى رزق رزقنيه الله اخذته ثم انتزعته منى فقال الرجل : تالله ان رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب اعجب من هذا ، رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم ، قال فكان الرجل يهوديا فجاء الى النبى

١- على بن محمد بن ابراهيم البغدادى: التفسير للخازن (مصطفى البابى، مصر) ٣٨٢/١

٢- محمد بن اسماعيل البخارى، الامام : الجامع الصحيح للبخارى (مجتبائى ، دهلى) ١٩-٢٠/١

صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره واسلم فصدقه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ـ ـ ـ ـ ـ رواه في شرح السنة[1] .

١١ـ قال العلامة القسطلاني :

اخرج الطبراني عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كانما انظر الى كفي هذه[2] .

قال العلامة الزرقاني في شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم " فانا أنظر إليها".

بحيث احطت بجميع ما فيها

وقال ايضاً :

ثم يعلم باعتبار صدقه ووجوب اعتقاد ما يقوله ان كل ما علمه الناس بعده من جملة ما رآه حين رفعت له الدنيا صلى الله تعالى عليه وسلم[3] .

١٢ـ وهذا سيدنا سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه صحابي انشد في حضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشعارا ، منها قوله

١ـ ابو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب: مشكوة المصابيح (ايچ-ايم سعيد كمپنى ، كراتشي) ص ٥٤١

٢ـ احمد بن محمد القسطلاني، شهاب الدين: المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني (١٢٩٢هـ، مصر) ٧/٢٣٤

٣ـ محمد بن عبدالباقي الزرقاني، العلامة: شرح المواهب للزرقاني ٧/٢٣٤

فاشهد ان الله لا رب غيره

وانك مأمون على كل غائب[1]

ولاخفاء فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكون مأمونا على كل غائب الا اذا كان عالما به ، ولو كان هذا القول شركا كما قالت الوهابية لانكر صلى الله تعالى عليه وسلم عليه اشد انكار مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينكر عليه .

١٣ـ روى ابن هشام ان فضالة بن عمير الليثى اراد قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أفضالة ؟ قال نعم فضالة يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شئ ، كنت اذكر الله، فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال: استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شئ احب الى منه[2].

١ـ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب النجدى : مختصر سيرة الرسول (المكتبة السلفية ، لاهور) ص ٦٩

٢ـ (أ) محمد سعيد رمضان البوطى ، الدكتور : فقه السيرة (دارالفكر ، بيروت) ص:٣٦٣

(ب) عبدالملك بن هشام ، الامام : السيرة النبوية مع الروض الانف (ط : ملتان) ٢/٢٧٦

المغيبات الخمس والروح

قال الله تعالى :

﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأي ارض تموت ، ان الله عليم خبير﴾[١] .

فهل تدل هذه الآية؟ على ان علم هذه الخمس مختص بالله تعالى بحيث لا يجوز ان يعلمها الله عزوجل احداً غيره والحق ان علم هذه الخمس بل علم كل غيب مختص به تعالى ولا مانع من تعليمه من شاء مما شاء قال تعالى :

﴿ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء﴾[٢]

علم الساعة

قال الله تعالى :

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول﴾[٣] .

قال العلامة الزمخشري المعتزلي في تفسيره :

١ـ القرآن : ٣٤/٣١

٢ـ ايضاً : ٥٥/٢

٣ـ القرآن : ٢٦-٧/٧٢

و(من رسول) تبيين لمن ارتضى يعنى انه لايطلع على الغيب الا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى .

وفى هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم مرتضين فليسوا برسل وقد خص الا الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب[1] .

انكاره الكرامات مبنى على مذهب الاعتزال وقد رد عليه كثير من المفسرين، والامام فخرالدين الرازى افاد اولا ان الغيب فى قوله تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه احدا﴾ ليس عاماً ، فنحمله على وقت وقوع القيامة، ويؤيده ان هذه الآية وقعت بعد قوله تعالى ﴿ان ادرى أقريب ما توعدون﴾ يعنى لا ادرى وقت وقوع القيامة فلا تبقى فى الآية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيوب بل معناها انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد ، ثم قال :

فان قيل: فاذا حملتم ذلك على القيامة فكيف قال؟ ﴿الا من ارتضى من رسول﴾ مع انه لايظهر هذا الغيب لاحد من رسله ، قلنا: بل يظهره عند القرب من اقامة القيامة وكيف لا وقد قال ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا﴾ ولا شك ان الملائكة يعلمون فى ذلك الوقت قيام الساعة[2].

١- محمود بن عمر الزمخشرى، جارالله: الكشاف (انتشارات آفتاب ، تهران) ١٧٢/٤

٢- محمد بن عمر الرازى ، الامام : التفسير الكبير (المطبعة البهية ، مصر) ١٦٨/٣٠

وما وقع فى بعضها من نفى الدراية كما فى قوله تعالى ﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت﴾ فمعناه ان نفسا ما، لا تكتسب بحيلة، ماذا تفعل غدا وباى ارض تموت؟ وليس فيه نفى جواز تعليم الله تعالى، قال العلامة العينى فى شرحه للبخارى :

الدراية اكتساب علم الشئ بحيلة[1]

واما وقت وقوع القيامة فقد اختلف فيه السلف، هل هو معلوم لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام الله تعالى ام لا ؟ فنهم من ذهب الى النفى ، لتادى نظره وتحقيقه اليه ، لا لارادة تنقيص شأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، اعاذنا الله جل شانه منه ومنهم من ذهب الى الاثبات ولا عائبة على احد

العلامة التفتازانى رد على استدلال المعتزلة بقوله تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول﴾ على نفى كرامات الاولياء وعلى ان الله تعالى لا يطلعهم على غيب ، ومحصله ان المراد بالغيب فى هذه الآية هو وقت وقوع القيامة ويجوز ان يطلع عليه بعض رسله ، وهذا نصه :

والجواب ان الغيب ههنا ليس للعموم بل مطلق او معين هو وقت وقوع القيامة بقرينة السياق ولا يبعد ان يطلع

١ـ محمود بن احمد العينى ، العلامة عمدة القارى (احياء التراث العربى ، بدرالدين : بيروت) ١/٢٩٣

عليه بعض الرسل من الملائكة او البشر[1] .

قال العلامة السيد محمود الآلوسى :

ويجوز ان يكون الله تعالى قد اطلع حبيبه عليه الصلوة والسلام على وقت قيامها (اى القيامة) على وجه كامل لكن لا على وجه يحاكى علمه تعالى به الا انه سبحانه اوجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كتمه لحكمة ويكون ذلك من خواصه عليه الصلوة والسلام وليس عندى ما يفيد الجزم بذلك[2] .

قال العلامة القرطبى :

من ادعى علم شئ منها (اى المغيبات الخمس) غير مستند اليه عليه الصلوة والسلام كان كاذبا فى دعواه[3] .

وليس مفاده الا ان من ادعى علم شئ منها مستندا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكون صادقا فى دعواه والا لا معنى للتقييد

١- مسعود بن عمر التفتازانى، العلامة : شرح المقاصد (دار المعارف النعمانية ، لاهور) ٢٠٥/٢

٢- محمود الآلوسى ، العلامة : روح المعانى (تهران) ٢١/١٠١

٣- (ا) احمد بن على العسقلانى المشتهر بابن حجر : فتح البارى (مصطفى البابى ، مصر) ١٣٢/١

(ب) محمود بن احمد العينى ، بدر الدين : عمدة القارى (احياء التراث العربى، بيروت) ٢٩٠/١

(ج) على بن سلطان محمد القارى : المرقاة (المكتبة الامدادية ، ملتان) ٦٥/١

(د) محمود الآلوسى ، السيد العلامة : روح المعانى (انتشارات جهان ، تهران) ٢١/١٠٠

بقوله غیر مستند الیه علیه الصلوٰۃ والسلام .

قال العلامۃ الحافظ جلال الدین السیوطی :

ذهب بعضهم الی انه صلی الله تعالی علیه وسلم اوتی علم الخمس ایضا وعلم وقت الساعة والروح وانه امر بکتم ذلك[1] .

وقال العلامة الزرقانی المالکی :

وقد اعلمه الله تعالی ماعدا مفاتح الغیب الخمسة وقیل حتی هی وامره بکتمها کما فی الخصائص[2] .

قال الامام العلامة محمد عبدالرؤف المناوی فی فیض القدیر شرح الجامع الصغیر :

(خمس لایعلمهن الا الله) علی وجه الاحاطة والشمول کلیا وجزئیا فلا ینافیه اطلاع الله بعض خواصه علی کثیر من المغیبات حتی من هذه الخمس لانها جزئیات معدودة وانکار المعتزلة مکابرة[3] .

وقال غوث زمانه السید عبدالعزیز الدباغ :

وکیف یخفی امر الخمس علیه صلی الله تعالی علیه وسلم

۱ـ عبدالرحمن بن ابی بکر السیوطی، الخصائص الکبری (المکتبة النوریة ، جلال الدین فیصل آباد) ۲/۱۹۵

۲ـ محمد بن عبدالباقی الزرقانی، العلامة شرح المواهب اللدنية (المطبعة العامرة ، مصر) ۱/۱۰

۳ـ محمد عبدالرؤف المناوی ، الامام : فیض القدیر (ط: بیروت) ۳/۴۵۸

والواحد من اهل التصرف من امته الشريفة لا يمكنه التصرف الا بمعرفة هذه الخمس[1] .

قال الامام احمد رضا القادري القندهاري ثم البريلوي :

فاني دلالتها على اختصاص الخمس جميعا ، فضلا عن خصوصية الاختصاص ، الا ترى ان في بعضها ليس بشيء مما يدل على الحصر والقصر لقوله تعالى ﴿ ينزل الغيث ﴾ وقوله تعالى ﴿ يعلم ما في الارحام ﴾ ولا نسلم ان مجرد الذكر في مقام الحمد يوجب الاختصاص مطلقا ، فقد مدح الله سبحانه وتعالى نفسه بالسمع والبصر والعلم ووصف بها عباده ايضا ﴿ جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ . . . . ثانيا سلمنا الدلالة على الاختصاص فاي خصوصية للخمس فيه بحيث لا يبقى للاعلام الالهي اليها سبيل[2] .

الاخبار عن نزول المطر

قال الامام السيوطي :

باب اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن السحابة التي مطرت باليمن .

اخرج البيهقي عن ابن عباس قال : اصابتنا سحابة فخرج علينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ان ملكا موكلا

١- احمد بن المبارك : الابريز (مصطفى البابي ، مصر) ص ٢٨٣

٢- احمد رضا القادري البريلوي ، الدولة المكية (المكتبة ، كراتشي) الامام : ص : ٢١٠

بالسحاب دخل على آنفا فسلم علي واخبرني انه يسوق السحاب الى واد اليمن يقال صريح فجاءنا راكب بعد ذلك فسألناه عن السحابة فاخبر انهم مطروا في ذلك اليوم .

قال البيهقي: وله شاهد مرسل عن بكر بن عبدالله المزني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر عن ملك السحاب انه يجئ من بلد كذا وانهم مطروا يوم كذا وانه سأله متى تمطر بلدنا؟ فقال: يوم كذا وعنده ناس من المنافقين فحفظوه ثم سألوا عن ذلك فوجدوا تصديقه فأمنوا وذكروا ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: لهم زادكم الله ايمانا[1].

قال العلامة الآلوسي :

وذكر القسطلاني انه عزوجل اذا امر بالغيث وسوقه الى ما شاء من الاماكن علمته الملائكة الموكلون به ومن شاء سبحانه من خلقه عزوجل[2] .

وقال الله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام :

﴿قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾[3] .

١- عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، الخصائص الكبرى (ط : فيصل آباد) العلامة ١٠٣/٢

٢- محمود الآلوسي ، العلامة السيد : روح المعاني (تهران) ٢١/٢٠٠

٣- القرآن : ١٢/٤٩-٤٧

انظر كيف اخبر سيدنا يوسف عليه السلام عن الخصب بعد وقوع القحط سبع سنين وما ذلك الا لتعليم الله جل مجده اياه به .

علم ما فى الارحام

١ـ روى عن ام الفضل بنت الحارث انها دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى رأيت حلما منكرا الليلة قال: وما هو ؟ فذكرت رؤياها التى رأت ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

رأيت خيرا تلد فاطمة ان شاء الله غلاما يكون فى حجرك ــــــ فولدت فاطمة الحسين فكان فى حجرى كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، رواه البيهقى فى دلائل النبوة[1].

٢ـ اخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فأتنى به قالت فلما ولدته اتيته به فاذن فى اذنه اليمنى واقام فى اذنه اليسرى وألباه من ريقه وسماه عبدالله ، وقال : اذهبى بابى الخلفاء قالت فاخبرت العباس فاتاه فذكر له ذلك، فقال : هو ما اخبرتك، هذا ابوالخلفاء حتى يكون منهم السفاح ، حتى يكون منهم المهدى ، حتى يكون منهم من يصلى بعيسى بن مريم[2] .

١ـ محمد بن عبدالله الخطيب ولى الدين: مشكوة المصابيح (نور محمد ، كراتشى) ص : ٥٧٢

٢ـ احمد بن محمد القسطلانى، العلامة : المواهب اللدنية مع الشرح، المقصد الثامن ٣٥٤/٧

٣ـ اخرج الامام محمد عن عائشة ان ابا بكر قال لها :

فانما هو اليوم مال وارث وانما هو اخوالك واختاك فاقتسموه على كتاب الله عزوجل ــــــــ قالت يا ابت والله لوكان كذا وكذا، لتركته ، انما هي اسماء فمن الاخرى ؟ قال : ذوبطن بنت خارجة اراها جارية ــــــــ فولدت جارية[1] .

٤ـ اخرج مسلم عن حذيفة بن اسيد يبلغ به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم اربعين او خمسة واربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي او سعيد فيكتبان فيقول: اى رب أذكر او أنثى فيكتبان ويكتب عمله واثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلايزاد فيها ولاينقص[2].

هذا كله باطلاع الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وابا بكر رضي الله تعالى عنه والملك المؤكل بالرحم ، ولقد اخبر اهل الطب الجديد في هذا الزمن بان في بطن ليدى ديانا البريطانوية ابنا مستقيم الخلقة لانهم اخترعوا آلات تطلع على ما في الرحم، فكيف يصح القول باستحالة اطلاع الله تعالى خواصه على ما في رحم المرأة ؟

١ـ محمد بن الحسن الشيبانى ، الامام : الموطا للامام محمد (نور محمد ، كراتشى) ص : ٣٤٩-٣٥٠

٢ـ مسلم بن الحجاج القشيرى، الامام : الصحيح لمسلم (المكتبة الرشيدية ، دهلى) ٢/٣٣٣

علم ما فى الغد

قد اخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن اشياء كثيرة تتعلق بالمستقبل من شاء الاطلاع عليها فعليه بالمراجعة الى الشفاء والمواهب اللدنية وغيرهما من اسفار السيرة الطيبة ؛ ونحن نذكر بعض الاخبار المتعلقة بما فى الغد :

١ـ اخرج مسلم عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

> هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا وههنا ـ ـ ـ ـ ـ قال فما ماط احدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[1] .

انظر كيف اخبر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم عما فى الغد ووقع كما اخبر ، قال الامام النووى :

> وفيه معجزتان من اعلام النبوة احداهما اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بمصرع جبابرتهم فلم يتعد مصرعه[2].

٢ـ اخرج مسلم عن سلمة بن الاكوع، قال : كان على قد تخلف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى خيبر وكان رمدا فقال : انا اتخلف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج على ، فلحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله

١ـ مسلم بن الحجاج القشيرى، الامام: الصحيح لمسلم (المكتبة الرشيدية ، دهلى) ٢/١٠٢

٢ـ يحيى بن شرف النووى ، الامام: شرح مسلم ٢/١٠٢

فى صباحها ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

لاعطين الراية او ليأخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله او قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه .

فاذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا هذا على فاعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية ففتح الله عليه[١] .

٣- اخرج الامام احمد بن حنبل ، عن ابى الطفيل عامر بن واثلة ان معاذا اخبره انهم خرجوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام تبوك (الى ان قال) ثم قال :

انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوا بها حتى يضحى النهار فمن جاء فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى[٢] .

٤- وقال عبدالله بن رواحة رضى الله تعالى عنه :

ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات ان ما قال واقع[٣]

قال العلامة القسطلانى :

١- مسلم بن الحجاج القشيرى ، الامام : الصحيح لمسلم ٢/٢٧٩

٢- احمد بن حنبل ، الامام : مسند الامام احمد (دار الفكر ، بيروت) ٥/٢٣٧

٣- محمد بن اسماعيل البخارى ، الامام : الصحيح للبخارى (المجتبائى ، دہلى) ١/١٥٥

(فقلوبنا به) صلی اللہ تعالی علیه وسلم (موقنات ان ما قال) من المغیبات (واقع)[1].

ولما انشد عبدالرحمن بن رواحة الابیات التی هذا البیت منها قال النبی صلی اللہ تعالی علیه وسلم: ان اخالکم لایقول الرفث ای الباطل من القول والفحش[2] فقد صدق النبی صلی اللہ تعالی علیه وسلم عبداللہ بن رواحة رضی اللہ تعالی عنه فی ما قاله من ان ما قال النبی صلی اللہ تعالی علیه وسلم من المغیبات واقع لا محالة وذلك اخبارعما فی الغد وما بعده.

ھـ قال حسان بن ثابت رضی اللہ تعالی عنه:

نبي یری ما لا یری الناس حوله
ویتلو کتاب اللہ فی کل مشهد
فان قال فی یوم مقالة غائب
فتصدیقها فی ضحوة الیوم او غد[3]

علم مکان الموت

۱ـ قد سبق روایة مسلم بان نبینا صلی اللہ تعالی علیه وسلم الخبر عن

۱ـ احمد بن محمد القسطلانی، الامام: ارشادالساری (دارالکتاب العربی، بیروت) ۲/۳۳۰

۲ـ محمود بن احمد العینی، العلامة: عمدة القاری ۷/۲۱٤

۳ـ احمد بن محمد القسطلانی، العلامة: المواهب اللدنیة مع شرح الزرقانی، المقصد الثامن ۷/۲۳۰

مصارع جبابرة المشركين ، وقال :

هذا مصرع فلان ــــــ ويضع يده على الارض ههنا وههنا[1] .

٢ـ وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار :

والمحيا محياكم والممات مماتكم[2]

وهذا الحديث صريح فى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم من الله تعالى ان مرقده صلى الله تعالى عليه وسلم يكون بالمدينة المنورة .

قال الامام النووى :

اى لا احيي الا عندكم ولا اموت الا عندكم وهذا ايضا من المعجزات[3] .

٣ـ قال العلامة القسطلانى :

ومن ذلك اعلامه عليه الصلوٰة والسلام بقتل الحسين بالطف ، واخرج بيده تربته وقال : فيها مضجعه رواه البغوى (الكبير الحافظ ابو القاسم عبدالله بن محمد) فى معجمه من حديث انس بن مالك بلفظ .

استأذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذن له وكان فى يوم ام سلمة ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم :

١ـ مسلم بن الحجاج القشيرى ، الامام : الصحيح لمسلم ٢/١٠٢

٢ـ ايضا : ١٠٣/٢

٣ـ يحيى بن شرف النووى ، الامام : شرح مسلم ١٠٣/٢

احفظی علینا الباب ، لا یدخل علینا احد فبینا هی علی الباب اذ دخل الحسین واقتحم فدخل علی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فجعل رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم یلثمه ویقبله فقال له الملك: اتحبه؟ قال: نعم قال: ان امتك ستقتله .

وان شئت اریتك المکان الذی یقتل به فاراه فجاء بسهلة او تراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته فی ثوبها، قال ثابت: کنا نقول انها کربلاء ، وخرجه ابوحاتم[1] (محمد بن حبان الحافظ) فی صحیحه[2] .

قال العلامة الزرقانی فی شرح قوله استاذن ملك القطر :

هو اسرافیل المؤکل به وبالنبات کما عند البیهقی وغیره عن عبدالرحمن بن سابط وعند احمد وابن سعد عن علی والطبرانی عن عائشة[3] .

٤۔ اخرج الامام احمد بن حنبل عن معاذ بن جبل رضی الله تعالی عنه قال : لما بعثه رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم الی الیمن خرج معه یوصیه فلما فرغ قال :

یا معاذ! انك عسی ان لاتلقانی بعد عامی هذا ولعلك ان تمر بمسجدی وقبری[4] .

١۔ احمد بن محمد القسطلانی، العلامة : المواهب اللدنیة مع شرح الزرقانی ٧/ ٢٥٠

٢۔ ما بین الهلالین من شرح الزرقانی ١٢

٣۔ محمد بن عبدالباقی الزرقانی، العلامة : شرح المواهب اللدنیة ٧/ ٢٥٠

٤۔ احمد بن حنبل ، الامام : مسند الامام احمد (ط : بیروت) ٥/٢٣٥

وفيه تصريح بان قبره صلى الله تعالى عليه وسلم يكون عندالمسجد النبوى بالمدينة المنورة .

ـ روى الامام البخارى عن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنهما قال : لما حضر احد دعانى ابى من الليل فقال :

ما أرانى الا مقتولا فى اول من يقتل من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانى لا اترك بعدى اعز على منك غير نفس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان على دينا فاقض واستوص باخواتك خيرا

فاصبحنا فكان اول قتيل[1] .

انظر كيف اخبر صحابى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما فى الغد وعن مشهده وكان كما اخبر .

علم الروح

وهذا مختلف فيه كما قد اختلف فى علم الساعة كما مر وجمع عظيم اثبتوا علم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام الله تعالى .

قال الامام فخرالدين الرازى :

وثالثها ان مسئلة الروح يعرفها اصاغر الفلاسفة واراذل المتكلمين فلو قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انى لا اعرفها لأ ورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير فان الجهل بمثل هذه المسئلة يفيد تحقير اى انسان كان فكيف

١ـ محمد بن اسماعيل البخارى ، الامام : الصحيح للامام البخارى (مجتبائى) ١/ ١٨٠

الرسول الذى هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء .

ورابعها انه تعالى قال فى حقه: ﴿الرحمن علم القرآن﴾ - ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ - - وقال ﴿وقل رب زدنى علما﴾ - - - - وقال فى صفة القرآن ﴿ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين﴾ - - - - فمن كان هذا حاله وصفته كيف يليق به؟ ان يقول انا لا اعرف هذه المسئلة[1] .

قال الامام الغزالى :

واما الروح التى هى الاصل وهى التى اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله (الى ان قال فلا يدرك بالعقل شئ من وصفه بل بنور آخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور فى عالم النبوة والولاية ونسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال[2] .

قال العلامة بدرالدين محمود العينى :

قلت : جل منصب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حبيب الله وسيد خلقه ان يكون غير عالم بالروح وكيف وقد من الله عليه بقوله ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ - - - - وقد قال: اكثر العلماء ليس فى

١- محمد بن عمر الرازى ، الامام : التفسير الكبير (المطبعة البهية ، مصر) ٣٧/٢١

٢- محمد الغزالى ، الامام : احياء العلوم (دار المعرفة ، بيروت) ١١٥/٤

الآية دليل على ان الروح لا يعلم ولا على ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعلمها[1]

وقال العلامة السيد محمود الآلوسي :

عن عبدالله بن بريدة قال لقد قبض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما يعلم الروح ------ ولعل عبدالله هذا يزعم انها يمتنع العلم بها والا فلم يقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى علم كل شئ يمكن العلم به كما يدل عليه ما اخرجه الامام احمد والترمذى وقال: حديث صحيح وسئل البخارى عنه فقال حديث حسن صحيح ------ عن معاذ رضى الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلوتى حتى استثقلت فاذا انا بربى عزوجل فى احسن صورة (الى ان قال) فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد انامله بين صدرى

وتجلى لى كل شئ وعرفت[2]

اقوال الائمة فى مبحث علم الغيب

قال الامام العلامة القاضى عياض اليحصبى :

وقيل هما (اى النبي والرسول) مفترقان من وجه اذ

١ـ محمود بن احمد العينى، بدرالدين : عمدة القارى (احياء التراث العربى ، بيروت) ٢/٢٠١

٢ـ محمود الآلوسى ، السيد العلامة : روح المعانى (تهران) ١٥/١٤٢

قد اجتمعا فی النبوۃ التی ھی الاطلاع علی الغیب[1] .

وقال ایضا :

ومن ذلك ما اطلع علیه من الغیوب وما یکون ، والاحادیث فی ھذا الباب بحر لایدرك قعرہ ولاینزف غمرہ وھذہ المعجزۃ من جملة معجزاته المعلومة علی القطع الواصل الینا خبرہ علی التواتر لکثرۃ رواتھا واتفاق معانیھا علی الاطلاع علی الغیب[2] .

قال الامام الغزالی فی اثناء ذکر خواص النبوۃ :

والرابع ان له صفة بھا یدرك ما سیکون فی الغیب اما فی الیقظة او فی المنام اذ بھا یطالع اللوح المحفوظ فیری ما فیه من الغیب[3] .

وقال ایضا :

ومھما صفا الباطن انکشف فی حدقة القلب ما سیکون فی المستقبل کما انکشف دخول مکة لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی النوم حتی نزل قوله تعالی ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤیا بالحق﴾[4] .

١ـ عیاض بن موسی الیحصبی، الامام : الشفاء (فاروق کتب‌خانه، ملتان) ١/ ١٦١

٢ـ ایضا : ١/ ٢٢١

٣ـ محمد بن محمد الغزالی ، الامام : احیاء علوم الدین (دارالمعرفة ، بیروت) ٤/ ١٩٤

٤ـ ایضا : ٤/ ٥٠٤

قال الامام العلامة محى السنة ابو محمد الحسين الفراء البغوى فى تفسير قوله تعالى ﴿خلق الانسان علمه البيان﴾ :

وقال ابن كيسان ﴿خلق الانسان﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿علمه البيان﴾ يعنى بيان ما كان وما يكون لانه كان يبين عن الاولين والآخرين وعن يوم الدين[1] .

قال العلامة القسطلانى :

وقد اشتهر وانتشر امره عليه الصلوة والسلام بين اصحابه (ولو ظاهرا كالمنافقين والمؤلفة ، الزرقانى) بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان بعضهم ليقول : لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء[2] .

وقال العلامة الزرقانى :

وقد تواترت الاخبار واتفقت معانيها على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على الغيب كما قال عياض[3] .

١ـ (أ) الحسين الفراء البغوى ، محى السنة : معالم التنزيل (مطبعة التقدم العلمية ، مصر) ٧/٢

(ب) على بن محمد البغدادى المعروف بالخازن : لباب التاويل فى معانى التنزيل ٧/٢

٢ـ احمد بن محمد القسطلانى ، الامام : المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى ، ٧/٢٢٩

٣ـ محمد بن عبدالباقى الزرقانى ، العلامة : شرح الزرقانى على المواهب ٧/٢٢٨

وقال الامام ابن الحاج :

لا فرق بين موته وحياته فى مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلى لاخفاء به[١] .

قال القاضي البيضاوى فى تفسير قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ :

وهداية الله تتنوع انواعا لايحصيها عد، لكنها تنحصر فى اجناس مترتبة (الى ان قال) الرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هى بالوحى او بالالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله ﴿اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[٢] .

قال العلامة ابن حجر العسقلانى :

وله (اى للنبي صلى الله عليه وسلم) صفة بها يدرك ما سيكون فى الغيب ويطالع بها ما فى اللوح المحفوظ كالصفة التى يفارق بها الذكى البليد فهذه صفات كمالات ثابتة للنبي[٣] .

١ـ (ا) ابن الحاج ، الامام: المدخل (دار الكتاب العربي ، بيروت) ٢٥٢/١

(ب) احمد بن محمد القسطلانى، الامام: المواهب اللدنية مع شرح ٣٤٩/٨

٢ـ عبدالله بن عمر البيضاوى، العلامة: التفسير للبيضاوى (كتب خانه رحيميه ، ديوبند) ص: ١٠-٩

٣ـ احمد بن على بن محمد العسقلانى ، الامام: فتح البارى (مصطفى البابى ، مصر) ٢١/١٦

قال العلامة المحقق العلى القارى :

اذا تنور الروح القدسية وازداد نوريتها واشراقها بالاعراض عن ظلمة عالم الحس وتحلية مرآة القلب عن صدأ الطبيعة والمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية حتى يقوى النور وينبسط فى فضاء قلبه فتنعكس فيه النقوش المرتسمة فى اللوح المحفوظ ويطلع على المغيبات ويتصرف فى اجسام العالم السفلى بل يتجلى حينئذ الفياض الاقدس بمعرفته التى هى اشرف العطايا فكيف بغيرها؟[1]

وقال فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: فعلمت ما فى السموات والارض :

وقال ابن حجر اى جميع الكائنات التى فى السموات بل وما فوقها كما يستفاد من قصة المعراج والارض هى بمعنى الجنس اى جميع ما فى الارضين السبع بل وما تحتها كما افاده اخباره عليه الصلوة والسلام عن الثور والحوت اللذين عليهما الارضون كلها[2] .

وقال فى شرح قول البوصيرى : ومن علومك علم اللوح والقلم :

وعلمهما (اى اللوح والقلم) يكون سطرا من سطور علمه ونهرا من بحور علمه[3] .

۱- على بن سلطان محمد القارى، العلامة : مرقاة المفاتيح (المكتبة الامدادية ، ملتان) ۱/۶۲

۲- ايضا : ۲/۲۱۰

۳- ايضا : الزبدة العمدة (ط : سنده، باكستان) ص : ۱۱۷

قال الشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوى فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: فعلمت ما فى السموات والارض .

عبارة عن حصول جميع العلوم الكلية والجزئية واحاطتها[1].

قال العلامة المحقق الآلوسى :

ان امر الساعة اخفى الامور المذكورة وان ما اطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم من وقت قيامها فى غاية الاجمال وان كان اتم من علم غيره من البشر، صلى الله عليه وسلم وقوله عليه الصلوة والسلام: بعثت انا والساعة كهاتين، لايدل على اكثر من العلم الاجمالى بوقتها ولا اظن ان خواص الملائكة عليهم السلام اعلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ويؤيد ظنى ما رواه الحميدى فى نوادره بالسند عن الشعبى قال سأل عيسى بن مريم، جبريل عليهما السلام عن الساعة فانتفض باجنحته وقال : ما المسئول بأعلم من السائل والمراد التساوى فى العلم بان الله استأثر بعلمها على الوجه الاكمل ويرشد الى العلم الاجمالى بها ذكر اشراطها كما لا يخفى .

ويجوز ان يكون الله تعالى قد اطلع حبيبه عليه الصلوة والسلام على وقت قيامها على وجه كامل لكن لا على وجه يحاكى علمه تعالى به الا انه سبحانه اوجب عليه صلى الله عليه وسلم كتمه لحكمة ويكون ذلك من خواصه عليه الصلوة

١ـ عبدالحق المحدث الدهلوى ، اشعة اللمعات فارسى (المكتبة النورية الرضوية ، سكهر) ١/٣٣٣

العلامة :

والسلام وليس عندى ما يفيد الجزم بذلك[١] .

القاضي الشوكاني

وهو المعتمد المستند عند غير المقلدين (اللامذهبيين) فى شبه القارة الهندية والباكستانية قال فى تفسير قوله تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه احدا﴾ الآية :

فان قلت اذن قد تقرر بهذا الدليل القرآنى ان الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذى اظهره الله على ما شاء من غيبه ان يخبر به بعض امته؟ قلت نعم ولا مانع من ذلك وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا ما لايخفى على عارف بالسنة المطهرة (ثم ذكر احاديث ، اخبر النبى صلى الله عليه وسلم فيها بالامور الغيبية، ثم قال) واذا تقرر هذا فلا مانع من ان يختص بعض صلحاء هذه الامة بشئ من اخبار الغيب التى اظهرها الله لرسوله واظهرها رسوله لبعض امته واظهرها هذا البعض من الامة لمن بعدهم فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل والكل من الفيض الربانى بواسطة الجناب النبوى[٢] .

عقيدة العلماء الديوبندية

قال الشيخ خليل احمد الانبيتوى :

نقول باللسان ونعتقد بالجنان ان سيدنا رسول الله

١ــ محمود الآلوسى ، العلامة السيد : روح المعانى (تهران) ٢١/١٠٢

٢ــ محمد بن على الشوكانى : فتح القدير (دارالمعرفة، بيروت) ٥/٣١٢

صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق قاطبة بالعلوم المتعلقة بالذات والصفات والتشريعات من الاحكام العملية والحكم النظرية والحقائق الحقة والاسرار الخفية وغيرها من العلوم ما لم يصل الى سرادقات ساحته احد من الخلائق ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولقد اعطى علم الاولين والآخرين وكان فضل الله عليه عظيما ولكن لا يلزم من ذلك علم كل جزئي من الامور الحادثة في كل آن من آونة الزمان[1] .

ثم قال بعد اسطر :

غيران غيبوبة بعض الحوادث الجزئية الحقيرة عن النبي عليه السلام لعدم التفاته لا يورث نقصا ما في اعلميته عليه السلام بعد ما ثبت انه اعلم الخلق بالعلوم الشريفة اللائقة بمنصبه الاعلى[2] .

فقد اعترف بانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم الخلق من الاولين والآخرين وانه صلى الله تعالى عليه وسلم عالم بالحقائق الحقة والاسرار الخفية (الغيبية) وما لم يعلم من بعض الحوادث الحقيرة فانما هو لعدم التفاته صلى الله تعالى عليه وسلم اليه ، وهذا الكتاب (المهند) مما اتفق عليه اكابر العلماء الديوبندية وعليه توقيعات وتصديقات لاكثر من عشرين عالما منهم شيخهم محمود حسن واشرف على التانوى والمفتي

١ـ خليل احمد الانبيتوى : المهند (كتب خانه رحيميه ، ديوبند) ص : ٥-٢٤

٢ـ ايضا : المهند ص : ٢٦

كفايت الله وغيرهم .

الاستدراك

اعلم ان الله تعالى منح علم المغيبات رسله المرضيين خصوصا سيد رسله وخاتم انبيائه صلى الله تعالى عليه وعليهم وسلم كما تدل عليه الآيات والاحاديث واقوال السلف، كما سبق وقد نفى الله تعالى علم الغيب عن غيره تعالى كما سنتلو عليك .

قال الله تعالى جل شانه :

﴿قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله﴾[1].

﴿ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله﴾[2].

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو﴾[3].

وغير ذلك من الآيات الكريمة.

وفى حديث جبرئيل عليه السلام :

فى خمس من الغيب لايعلمهن الا الله ثم قرأ ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾ الآية[4].

وقالت ام المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله تعالى عنها :

ومن زعم انه يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم على الله الفرية والله يقول ﴿قل لا يعلم من فى السموات والارض

١ـ القرآن : ٦٥/٢٧

٢ـ القرآن : ١٢٣/١١

٣ـ القرآن : ٥٩/٦

٤ـ مسلم بن الحجاج القشيرى، الامام : الصحيح لمسلم (ط : دہلى) ٢٩/١

الغيب الا الله﴾[١].

ولا مجال للمؤمن ان ينكر شيئا من آيات النفي والاثبات ونحن بحمد الله تعالى نؤمن بالكل وليس بينها تناقض ولا منافاة فان كلام الله تعالى بريء من التناقض قال جل مجده:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[٢].

قال العلامة السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي، من علماء الكويت:

فهذا ربنا تبارك قد نفى نفيا لا مرد له انه ﴿لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله﴾ واثبت اثباتا لا ريب فيه في آية اخرى انه ﴿الا من ارتضى من رسول﴾ فالكل حق بالكل امنا ومن انكر شيئا منهما فقد كفر بالقرآن فمن نفى مطلقا ولم يثبت بوجه فقد كفر بآيات الاثبات ومن اثبت مطلقا ولم ينف بوجه فقد كفر بالآيات النافيات والمؤمن يؤمن بالكل ولا تتفرق به السبل[٣].

قال العلامة ابن حجر المكي:

وما ذكرناه في الآية صرح به النووي في فتاويه فقال: معناها لا يعلم ذلك استقلالا وعلم احاطة بكل المعلومات

١- مسلم بن الحجاج القشيري، الامام: الصحيح لمسلم (ط: دهلي) ١/٩٨

٢- القرآن: ٤/٨٢

٣- السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي: ادلة اهل السنة والجماعة (الكويت، ١٩٨٤م) ص ٣٠-٣١

الا الله واما المعجزات والكرامات فباعلام الله لهم[١]

وقال ايضا :

ولا ينافي ذلك قوله تعالى ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ لان هذا اخبار عمن قص عليه او انه قص عليه الكل بعد نزول تلك الآية[٢] .

قال العلامة شهاب الدين الخفاجي :

وهذا لا ينافي الآيات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ﴿لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ فان المنفي علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق بقوله ﴿فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول﴾ .

قال ابن عطاء الله في لطائف المنن : اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه ، بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره فاطلاعه على غيبه غير مستبعد[٣] .

١ــ احمد بن حجر المكي، العلامة : الفتاوى الحديثية (مصطفى البابي، مصر) ص ٢٢٨

٢ــ ايضا : ص ١٥٣

٣ــ احمد شهاب الدين الخفاجي، العلامة: نسيم الرياض (دار الفكر، بيروت) ٣/ ١٥٠

وهكذا قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب[1]

قال الامام العلامة محمود بن اسرائيل الشهير بابن قاضي سماونه :

يمكن التوفيق بان المنفى هو العلم بالاستقلال لا العلم بالاعلام او المنفى هو المجزوم لا المظنون ويؤيده قوله تعالى ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ الآية لانه غيب اخبر به الملائكة ظنا منهم او باعلام الحق فينبغي ان يكفر لو ادعى مستقلا لو لا اخبر باعلام فى نومه او يقظته بنوع من الكشف اذ لا منافاة بينه وبين الآية لما مر من التوفيق كما مر[2] .

فقد اتضح ان المنفى هو العلم الذاتى والاستقلالى الذى يكون من غير واسطة واعلام والمثبت هو العلم بواسطة اعلامه تعالى وفيضه لا غير .

قال العلامة الآلوسي

وانه يجوز ان يطلع الله تعالى بعض اصفيائه على احدى هذه الخمس ويرزقه عزوجل العلم بذلك فى الجملة وعلمها الخاص به جل وعلا، ما كان على وجه الاحاطة والشمول لاحوال كل منها وتفصيله على الوجه الاتم وفى شرح المناوى الكبير للجامع الصغير فى الكلام على حديث بريدة خمس لا يعلمهن الا الله على وجه الاحاطة والشمول كليا وجزئيا فلا ينافيه اطلاع الله تعالى بعض خواصه على بعض المغيبات

١- محمد بن عبدالباقي الزرقاني، العلامة : شرح المواهب اللدنية ٧/٢٢٨-٢٢٩

٢- محمود بن اسرائيل، العلامة : جامع الفصولين (المطبعة الكبرى الميرية مصر) ٢/٢٢٠

خمس من هذه الخمس لانها جزئيات معدودة وانكار المعتزلة لذلك مكابرة انتهى ويعلم مما ذكرنا وجه الجمع بين الاخبار الدالة على استيثار الله تعالى بعلم ذلك وبين ما يدل على خلافه كبعض اخباراته عليه الصلوة والسلام بالمغيبات التى هى من هذا القبيل ، يعلم ذلك من راجع نحو الشفاء والمواهب اللدنية[1].

لا مساواة بين علم الله تعالى وعلم الخلق

قد علمت مما سبق شيئا من سعة علم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، اعطاه الله جل مجده علم الاولين والآخرين حتى اخبر فى مجلس عن بدء الخلق الى ان دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم ومع ذلك لا يساوى علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بل علم جميع الخلق ، علم الله تعالى بل لا امكان لهذه المساواة .

قال الامام احمد رضا القادرى القندهارى ثم البريلوى :

زهر وبهر مما تقرر ان شبهة مساواة علم المخلوقين طرا اجمعين بعلم ربنا اله العالمين ما كانت تخطر ببال المسلمين اما ترى العميان ؟

١ـ ان علم الله ذاتى وعلم الخلق عطائى

٢ـ علم الله واجب لذاته وعلم الخلق ممكن له

٣ـ علم الله ازلى سرمدى قديم حقيقى وعلم الخلق حادث لان الخلق كله حادث والصفة لا تتقدم الموصوف

١ـ محمود الآلوسى ، العلامة السيد : روح المعانى (تهران) ٢١/١٠٠

٤- علم الله غير مخلوق وعلم الخلق مخلوق

٥- علم الله غير مقدور وعلم الخلق مقدور مقهور

٦- علم الله واجب البقاء وعلم الخلق جائز الفناء

٧- علم الله ممتنع التغير وعلم الخلق ممكن التبدل[1] .

ولا يتوهم المساواة إلا من جهل سعة علم الله جل شانه والحق ان لا نسبة لعلم جميع الخلق الى علم الباري تعالى كنسبة القطرة الى البحر وان جاز المقول بها تقريبا، اذ القطرة والبحر متناهيان والنسبة بينهما نسبة المتناهي الى المتناهي بخلاف علم الخلق والخالق فان الاول منهما متناه والثاني غير متناه فالنسبة بينهما نسبة المتناهي الى غير المتناهي .

اخرج الحافظ ابو عبدالله الحاكم النيسابوري عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما لقي موسى الخضر عليهما السلام جاء طير فالقى منقاره في الماء فقال الخضر لموسى: تدبر في ما يقول هذا الطير قال: وما يقول؟ قال يقول :

ما علمك وعلم موسى في علم الله الا كما اخذ منقاري من الماء .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[2]

قال العلامة الخفاجي نقلا عن العلامة الطيبي :

... ان معلوماته تعالى لانهاية لها وغيب السموات والارض ...

١- احمد رضا البريلوي ، الامام : الدولة المكية (المكتبة ، كراتشي) ص : ٢١٢

٢- الحاكم النيسابوري ، الحافظ : المستدرك (دار الفكر ، بيروت) ٣٦٩/٢

وما يبدونه (اى الملائكة) وما يكتمونه قطرة منه[1]

وبه صرح العلامة عبدالحكيم السيلكوتي[2]

قال العلامة السيلكوتي :

روى ان الله تعالى خلق مائة الف قنديل وعلقها بالعرش والسموات والارض وما فيها حتى الجنة والنار كلها في قنديل واحد ولا يعلم ما في باقي القناديل الا الله .

وقال كعب الاحبار : لا يحصى عدد العالمين احد الا الله (وما يعلم جنود ربك الا هو)[3]

فذلكة الكلام

اهل السنة والجماعة قائلون بان الله تعالى افاض على نبيه وحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ما كان وما يكون تدريجا، فلما تم نزول القرآن احاط علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بجميع ما كان وما يكون من بدء الخلق الى ان دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم كما قد علم سابقا من الآيات والاحاديث واقوال الائمة وعلى المنكر ان يثبت بدليل قطعي شيئا لم يعلمه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نزول القرآن باسره ، هذا هو معتقد امام اهل السنة فضيلة الشيخ احمد رضا القادري

١- احمد شهاب الدين الخفاجي ، عناية القاضي (دار صادر ، بيروت) العلامة : ٩/٢

٢- عبدالحكيم السيلكوتي ، العلامة : حاشية لتفسير البيضاوي (ط : كوئته ، پاكستان) ص : ٣٠١

٣- ايضا : ص : ٥٩

القندهاري ثم البريلوي ، وكثير من الفقهاء والمحدثين والمفسرين من اهل السنة والجماعة واتفقت عليه كلمات الصوفية الصافية رضي الله تعالى عنهم

قال الشيخ الامام احمد رضا القادري الافغاني ثم البريلوي :

ان الله تعالى اعطى حبيبه الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم علوما غيبية كثيرة لا تحصى من اول يوم الى آخر الايام واختلف علماؤنا في انها محيطة لجميع الكائنات كما هو مفاد عموم الآيات والاحاديث او فيها تخصيص فذهب اهل الظاهر الى التخصيص، فمنهم من خصص المتشابهات ومنهم من خصص المغيبات الخمس وكثير منهم خصص الساعة واما علماء الباطن (اي الصوفية) واولياؤهم فذهب جم غفير منهم الى ان الآيات والاحاديث محمولة على عمومها ، وعلم ما كان وما يكون (اعني علم الخلق من البدء الى يوم القيامة مع ان كلا من دخول الغاية وخروجها محتمل) بعض قليل بل اقل من العلوم الالهية الغير المتناهية .

وهذه المسئلة الخلافية الدائرة بين علمائنا اهل السنة والجماعة لا لوم فيها على احد وهي كالمسائل الخلافية بين الاشاعرة والماتريدية ؛ نعم المختار عندنا هو القول الاخير الذي ذهب اليه عامة العرفاء وكثير من العلماء الاعلام، ترى بعض الآيات والاحاديث واقوال الائمة المتعلقة بهذه المسئلة في رسائلنا مثل "انباء المصطفى" و "اللؤلؤ المكنون في علم

البشير ما كان وما يكون» وغيرها[1] .

منشأ الاختلاف

انما وقع الاختلاف في هذه المسئلة لامثال هذه الكلمات .

١ـ قال الشيخ اسماعيل الدهلوى :

من قال : ان نبيا او اماما او مقتدى كان يعلم امرا من الغيب وكان لا يتكلم به ادبا مع الشريعة فهو كذاب بل لا يعلم الغيب الا الله[2] .

ولم يلتفت الى الآيات والاحاديث التي ذكرنا بعضها في ما سبق .

٢ـ قال خليل احمد الانبيتوى :

هذه السعة (اي العلم المحيط بالارض) ثابتة للشيطان

وملك الموت بالنص واى نص قطعى دال على سعة علم فخر العالم (صلى الله عليه وسلم) حتى يثبت به (العلامة عبدالسميع الرامبورى ١٣ق) شركا ويخالف جميع النصوص[3] .

فقد افاد ان الشيطان أزيد علما من النبي صلى الله عليه وسلم حيث

١ـ احمد رضا البريلوى ، الامام : خالص الاعتقاد اردو (حامد ايند كمپنى ، لاهور) ص : ٢٩-٧

٢ـ محمد اسماعيل الدهلوى : تقوية الايمان ، اردو (ط : دہلی) ص : ٣١

٣ـ خليل احمد الانبيتوى : براهين قاطعه اردو (كتب خانه امداديه ، ديوبند) ص : ٥٥

قال : ان علم الشيطان محيط بـالارض وذلك ثابت بالنصوص ، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم ليس كذلك بل اثبات الاحاطة العلمية له صلى الله عليه وسلم شرك ومخالف للنصوص" وقوله هـذا من عجائب الدهر اذ لو اثبتنا الاحـاطة العلمية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يلزم الشرك عنده ولو اثبت هو لابليس فـالشرك غير لازم بل هو ثـابت بالنص ، فالى الله المشتكى .

٣- قال محمد اشرف على التانوى فى رسالته :

ان صح الحكم على ذات النبي صلى الله عليه وسلم بعلم المغيبات كما يقول به زيد فالمسئول عنه انه ماذا اراد بهذا ؟ أبعض الغيوب ام كلها ؟ فـان اراد البعض فاى خصوصية لحضرة الرسالة ؟ فان مثل هذا العلم بالغيب حاصل لزيد وعمرو بل لكل صبي ومجنون بل لجميع الحيوانات[1] .

هذه ترجمة العبارة الاردوية نقلت من غاية المأمول[2] وهو كتاب نشرته مكتبة الديوبندية .

هذه الاقاويل وامثالها تسببت للافتراق فى شبه القارة الهندية، وقام علماء اهل السنة والجماعة بردهـا قضاء لامر واجب عليهم من حقوق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، منهم الامام احمد رضا القادرى القندهارى ثم البريلوى ، فـانه صنف عدة كتب، حفاظا على عظمة شان الله تعالى

١- محمد اشرف على التانوى : حفظ الايمان (كتب خانه امزازيه ، ديوبند) ص ٨

٢- احمد البرزنجي المدنى ، السيد : غاية المأمول (تاج الدين ارشاد المسلمين ، لاهور) ص : ٨-٩

ورفعة شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد على المتقصين ردا بليغا ولهذا يبغضونه ويفترون عليه امورا هو منها بريئ.

الاولياء الكرام ـــ وعلم الغيب

سئل الامام ابن حجر المكي عمن قال: المؤمن يعلم الغيب هل يكفر؟ لقوله تعالى ﴿قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله﴾ فاجاب لا يطلق القول بكفره لاحتمال كلامه، وهذا نصه:

... ومتى استفصل فقال: اردت بقولي المؤمن يعلم الغيب ان بعض الاولياء قد يعلمه الله ببعض المغيبات، قبل منه ذلك لانه جائز عقلا وواقع نقلا اذ هو من جملة الكرامات الخارجة عن الحصر على ممر الاعصار، فبعضهم يعلمه بخطاب وبعضهم يعلمه بكشف حجاب وبعضهم يكشف له عن اللوح المحفوظ حتى يراه ويكفى بذلك ما اخبر به القرآن عن الخضر بناء على انه ولي وهو ما نقل عن جمهور العلماء وجميع العارفين وان كان الاصح انه نبي صلى الله عليه وسلم وما جاء عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه اخبر عن حمل امرأته انه ذكر[1] وكان كذلك وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كشف عن سارية وجيشه وهم بالعجم فقال على منبر المدينة وهو يخطب يوم الجمعة يا سارية الجبل يحذره الكمين الذي اراد استئصال المسلمين وما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في حق عمر رضي الله عنه انه من المحدثين اى الملهمين ......

وفي رسالة القشيري وعوارف السهروردي وغيرهما

١ـ قد سبق عن المؤطا انها كانت بنتا ١٢ ق.

من كتب القوم وغيرهم ما لا يحصى من القضايا التي فيها اخبار الاولياء بالمغيبات كقول بعضهم انا غداً اموت وقت الظهر وكان كذلك ولما دفن فتح عينيه فقال له دافنه أحياة بعد موت ؟ فقال : انا حي وكل محب لله حي[1] .

وقد سبق من القاضي الشوكاني قوله هذا :

واذا تقرر هذا فلا مانع من ان يختص بعض صلحاء هذه الامة بشئ من اخبار الغيب التي اظهرها الله لرسوله واظهرها رسوله لبعض امته واظهرها هذا البعض من الامة لمن بعدهم فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل والكل من الفيض الرباني بواسطة الجناب النبوي[2] .

بل يمكن ان يفيض الله تعالى اليوم بواسطة الجناب النبوي علوما شتى على بعض عباده الصالحين ولا استحالة في ذلك شرعا ولا عقلا .

قال الامام فخرالدين الرازي :

وقال عليه السلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولهذا المعنى نرى ان كل من كان اكثر علما باحوال عالم الغيب كان اقوى قلبا واقل ضعفا ولهذا قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : والله ما قلعت خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية وذلك ان عليا كرم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الاجساد واشرقت الملائكة بانوار عالم

---

١ - احمد بن حجر المكي، شهاب الدين : الفتاوى الحديثية (مصطفى البابي ، مصر) ص : ٢٩٧

٢ - محمد بن علي الشوكاني ، القاضي : فتح القدير (دارالمعرفة ، بيروت) ٣١٢/٥

الكبرياء لتقوى روحه وتشبه بجواهر الارواح الملكية وتلألأت فيه اضواء عالم القدس والعظمة فلا جرم حصل له مزيد القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره .

وكذلك العبد اذا واظب على الطاعات بلغ الى المقام الذى يقول الله : كنت سمعا وبصرا فاذا صار نور جلال الله سمعا له سمع القريب والبعيد واذا صار ذلك النور بصرا له رأى القريب والبعيد واذا صار ذلك النور يدا له قدر على التصرف فى الصعب والسهل[1] .

قال العلامة العلى القارى :

ثم اعلم انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾ اى المتفرسين ، رواه الترمذى من رواية أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ومما ينبغى التنبيه عليه هنا ان الفراسة ثلاثة انواع، فراسة ايمانية وسببها نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبده وحقيقتها انها خاطر يهجم على القلب ويثب عليه كوثوب الاسد على الفريسة ومنها اشتقاقها ، وهذه الفراسة على حسب قوة الايمان فمن كان اقوى ايمانا فهو احد فراسة ، قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله : الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب وهى من مقامات الايمان

١- محمد بن عمر بن حسين الرازى ، الامام : التفسير الكبير (المطبعة البهية ، مصر) ٩١/٢١

انتهى[1] .

قال شيخ مشائخ الهند الشاه ولي الله الدهلوي :

إن كانت القوة الملكية في هذه النفس غالبة وصارت القوة البهيمية مغلوبة كان لم تكن، صار قلبه روحا وتخلص عن المجاهدة فيكون بسط بلا قبض والفة بلا قلق ، ووجد وبلا صعق، صار عقله كما لا ويقبل العلوم الفاضلة الغيبية من جهة غير مجرى العادة ، بفراسة وكشف وهاتف وغير ذلك[2] (انتهت ترجمة عبارته)

وقال ايضا :

وللنقشبندية تصرفات عجيبة من جمع الهمة على مراد فيكون على وفق الهمة والتأثير في الطالب ودفع المرض عن المريض وافاضة التوبة على العاصي والتصرف في قلوب الناس حتى يحبوا ويعظموا وفي مداركهم حتى تتمثل فيها واقعات عظيمة والاطلاع على نسبة أهل الله من الاحياء وأهل القبور والاشراف على خواطر الناس وما يختلج في الصدور وكشف الوقائع المستقبلة ودفع البلية النازلة وغيرها ونحن ننبهك على نموذج منها[3] .

واعجب من هذا كله ما قال هذا الشيخ في التفهيمات :

١- علي بن سلطان محمد القاري العلامة: شرح على الفقه الاكبر (مصطفى البابي ، مصر) ص : ٨٠

٢- ولي الله الدهلوي ، الشاه : همعات (حيدر آباد ، السند) ص : ١٠٩

٣- ايضا : القول الجميل (كراتشي) ص : ١٠٢-١٠٣

فبانا اليوم سكيت نادي البيان والجملة في ذلك اني لم ازل لقير تجليا بعد تجلى وسرا بعد سر وميد انا بعد ميدان حتى وصلت إلى اسم الرحمن اصل التجليات وملاك امرها فبلغت به ما بلغت اليه فلما انحدر في ممدنى رأيت كل مقام وكل علم وكل كمال حصل لاولى الافراد الانسانية، لست اقول: هذا الآدم بل اول الاوادم الى آخر رجل يوجد عند انقضاء الزمان واندكاك الافلاك سواء كان حصل له في هذه الدار او في القبر او في الحساب او في الجنة احطت بها كلها بحيث لا ينازع امر امرا، (الى ان قال) وقد احطت بكمال الافلاك والمعادن والاشجار والبهائم والملائكة والجن واللوح والقلم واسرافيل وكل ما دخل تحت الوجود احاطة تامة شاملة.

(الى ان قال) من فتشني لم يجدلي كما لا، بل انا الكمال، وفي الكمال وهل الكمال الا يدي ورجلي ووجهي وصدري، دخلت في القبر بحسب كمالي وانا ارتقب ان يدخل كل كمال من حيث انه داخل في، فلعل وجودي قيامة قامت للكمال ولنا اسرار لا اكاد ابينها قلت:

وعندي علوم لا يكاد يحيطها سماء ولا بر و بحر و ساحل
ولكن ابناء الزمان وجدتهم تساوي لديهم عاقل ثم غافل[1]

اين المتقصون؟ لعلوم الاولياء بل علوم الانبياء عليهم السلام ماذا يحكمون؟ على الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي فانه قد ادعى باحاطة علمه احاطة تامة فان كان مع ذلك موحدا عندكم، فلما ذا؟ الحكم بالشرك

١- ولي الله الدهلوي، الشاه: التفهيمات (حيدر آباد، السند) ٢/٩٠-٨٩

وعلى الامام احمد رضا القادرى البريلوى واشياعه بل على جميع علماء الاسلام حيث يثبتون علم ما كان وما يكون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باطلاعه تعالى له .

والشيخ ولى الله الدهلوى ممن اعترف بجلالته وفضله علماء اهل السنة والديوبندية وغير المقلدين ، قال الشاه اسماعيل الدهلوى :

قبلة ارباب التحقيق وكعبة اصحاب التدقيق اعنى الشيخ ولى الله قدس سره[1] .

قدوة الاولياء وزبدة ارباب الصفاء اعنى الشيخ ولى الله[2] .

وقال سراج الهند الشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوى :

ان الاطلاع على الموجودات النفس الامرية سواء كان بمطالعة نقوش اللوح المحفوظ او بدونها حاصل لاولياء الله تعالى ، ومطالعة نقوش اللوح منقول عن بعض الاولياء بالتواتر[3] (ملخصا) .

قال الشاه محمد اسماعيل الدهلوى وهو امام غير المقلدين والديابنة فى شبه القارة الهندية والباكستانية :

١- محمد اسماعيل دهلوى : صراط مستقيم فارسى (المكتبة السلفية ، لاهور) ص : ١١

٢- ايضا : ص : ١٤

٣- عبدالعزيز المحدث الدهلوى ، الشاه : تفسير فتح العزيز ج تبارك الذى (دهلى) ص : ٢٦

وهكذا قلوب الصلحاء اذا طهرت عن صدأ الغفلة والالتفات الى ما سوى الله تعالى تكون فى حكم المرايا بالنسبة الى حظيرة القدس مثلا اذا قدرشئ فى حظيرة القدس يراه اكثر الصالحين قبل وقوعه فى المنام او اليقظة (ترجمة)[1] .

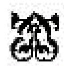
قال الشيخ انور شاه الكشميرى الديوبندى :

ثم اعلم ان ما يرونه الاولياء من الاشياء قبل وجودها فى العالم لها ايضا نحو من الوجود كما ان ابا يزيد البسطامى رحمه الله تعالى لما مر من جانب مدرسة وهبت ريح قال انى لاجد ريح عبد من عباد الله فنشا منه الشيخ ابو الحسن الخرقانى وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم انى اجد نفس الرحمن من اليمن فنشأ منه الاويس[2] .

ويجدر بالقارئ الكريم المنصف بعد ملاحظة النصوص من الآيات والاحاديث واقوال الائمة من اهل السنة والديوبندية وغير المقلدين ان يقضى ان الامام احمد رضا القادري البريلوى ليس بمتفرد فى مسئلة علم الغيب بل هو متمسك بالكتاب والسنة والأئمة الاعلام من الصوفية والفقهاء والمحدثين والمفسرين ، ومن ادعى تفرده وابتداعه مثل احسان الهى ظهير فى كتابه البريلوية فقد افترى وجاوز حدود الانصاف .

١ـ محمد اسماعيل الدهلوى : صراط مستقيم (فارسى) ص : ٢٧

٢ـ محمد انور شاه الكشميرى : فيض البارى (مطبعة حجازى ، قاهره) ١/١٨٢



بسم الله الرحمن الرحيم

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

أنا

مدينة العلم

وَأَبُوبَكْرٍ أَسَاسُهَا...... وَعُمَرُ حِيطَانُهَا......

وَعُثْمَانُ سَقْفُهَا...... وَعَلِيٌّ بَابُهَا...... لَا تَقُولُوا

فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ إِلَّا خَيْرًا

(رواه عبد الله بن مسعود)

حافظ شيرويه بن شهردار الديلمي فردوس الاخبار

(ط، بيروت) ٧٦/١

الباب الخامس

سیدنا محمد ﷺ

نور الحق و اول الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن هو نور السموات والأرض وصلوة وسلاما على سيد الخلق وأفضل البشر، ونور الأنوار ومخزن الأسرار وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار.

قد إنتشرت مغالطة فيما بين الناس أن النور والبشر متنافيان، لا يجتمعان في شخص واحد، مع أنها لا علاقة لها بالحقيقة.

قال الله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾[1]

ولا يخفى أن جبرئيل عليه السلام خلق نوري ولما تمثل لمريم رضي الله تعالى عنها في صورة البشر كان بحسب حقيقته نوريا مع بروزه في الشكل البشري، ولو كانت بين النور والبشرية منافاة لما ظهر في صورة البشر.

والذي نعتقده أن سيدنا وسيد العالم ﷺ نور بحسب حقيقته وبشر باعتبار صورته.

قال العلامة السيد محمود الألوسي:

وقد يقال: لما كان له ﷺ جهتان جهة ملكية يستفيض بها وجهة بشرية يفيض بها جعل الانزال على روحه ﷺ لانها المتصفة بالصفات الملكية التي يستفيض بها من الروح

1- سورة مريم ١٩/١٧

الأمين(١)

قال البروفيسور أبو بكر الغزنوى من أسرة غزنوية ، احد علماء غيرالمقلدين مقرظا على رسالة الشيخ محمد أنور الجيلانى "البشرية والرسالة" :

قال بعض الناس : إن النبي ﷺ كان بشرا ولم يكن نورا، وقال بعضهم : كان نورا ولم يكن بشرا ، وكلا القولين مبنيان على الافراط والتفريط ، والذى نطق به القرآن أنه ﷺ بشر ونور أيضا (ثم نقل الآيتين الدالتين على أنه ﷺ نور وبشر ، ثم قال :) والمسلك الصحيح أنه ﷺ مع كونه بشرا كان نورا مجسما من الرأس إلى القدم(٢)

وعلى هذا ينبغى أن لا يبقى الاختلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة فى هذه المسألة ، فاننا معاذ الله لا ننكر بشريته ﷺ .

قال الامام أحمد رضا البريلوى :

من أنكر بشرية النبي ﷺ مطلقا فهو كافر ، قال تعالى : ﴿قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا﴾(٣)

يقول إحسان إلهى ظهير : أن المنكرين أنكروا نبوة الأنبياء لاعتقادهم أن الأنبياء لا يكونون من البشر لأن النبوة منافية للبشر

١- محمود الالوسى ، السيد : روح المعانى (ط : بيروت) ١٩/١٢١

٢- أبو بكر الغزنوى، البروفيسور : التقريظ على رسالة "البشرية والرسالة" ص : ١٧

٣- احمد رضا البريلوى ، الامام : الفتاوى الرضوية (ط : مباركفور ، الهند) ٦/٦٧

فالنبوة والبشرية لا تجتمعان .

ثم قال طاغنا ومتهما على البريلوية :

وأما القوم وأمثالهم من الجهلة لما ولدوا في البيئة الاسلامية وبيوت المسلمين لم يستطيعوا إنكار نبوتهم ولكنهم إعتقدوا بنفس تلك العقيدة هي المنافاة بين البشرية والنبوة ، فأنكروا بشرية الأنبياء والرسل[١]

لا شك أن هذا إفتراء محض ، فإنا قد قدمنا النص من الامام أحمد رضا البريلوى : "بأن من أنكر بشرية النبي ﷺ مطلقا فهو كافر" فلا مساغ بعده لهذا النقل المخالف للواقع .

أى علاقة بين أهل السنة والكفار ؟ أهل السنة والجماعة قائلون بأن سيدنا محمدا رسول الله ﷺ بشر من غير شبهة ، رغم أنه أفضل البشر وسيد الخلق، وامام الأنبياء والرسل ونور الله المبعوث الى الخلق .

إحسان إلهي ظهير نقل عدة آيات لاثبات أن الكفار انما أنكروا نبوة الأنبياء بسبب أنهم بشر، مع أن مدعاه لو ثبت كفته آية واحدة ، ولو لم يثبت المدعى لا تفيده مآت آيات، ولقد ابتلى إحسان إلهي ظهير بهذه الحالة .

قال الله تعالى حكاية عن عاد وثمود وقوم نوح عليه السلام : ﴿إن أنتم الا بشر مثلنا﴾[٢]

يتبين من هذه الآية أن الكفار لم ينكروا رسالة الرسل، لمحض كونهم بشرا ، بل إنما أنكروا لزعمهم الفاسد أن الرسل بشر مثلنا ،

١- احسان الهي ظهير : البريلوية ص ١٠٢-١٠٣

٢- سورة ابراهيم ١٤/١٠

ولو فهموا أن الرسل الذين نراهم أمثالنا لهم مقامات ومراتب علية عند الله تعالى لآمنوا ولم يسلكوا مسلك الكفر والانكار ، وهذه دقيقة لا تصل إليها أفهام المتابذين لأهل السنة والجماعة .

قال الامام الربانى المجدد للألف الثانى :

> إن الكفار رأوا الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات فى صورة سائر البشر فأنكروا كمالات نبوتهم[1]

قال الشيخ محمد إسماعيل الدهلوى : قدوة العلماء الديوبندية وغير المقلدين ، بعد ما نقل حديثا :

> يعلم من هذا الحديث أن جميع عباد الله المقربين من الأنبياء والأولياء والأئمة وأولاد الأئمة والمشائخ والشهداء ليسوا إلا أناسي فقط ، وعباد عاجزون وإخواننا ، إلا أن الله أعطاهم الفضيلة ، فهم الاخوان الكبار ، وأمرنا أن نطيعهم ، فنحن صغارهم[2]

أليس معناه البين أن الأنبياء كلهم بشر أمثالنا ، أليست هذه المقالة قريبة مما قالت الكفار لرسلهم ؟ ﴿ان أنتم الا بشر مثلنا﴾

وقال أيضا :

> عليك أن تحافظ لسانك عند ثناء معظم من المعظمين وأن تمدحهم بمدح البشر فقط ، بل عليك ان تختصر فيه أيضا[3]

١- أحمد السرهندى، المجدد للالف الثانى : المكتوبات الفارسية ، الدفتر الاول ، الجزء الثانى ص ١٠٤

٢- محمد اسماعيل الدهلوى : تقوية الايمان (مطبع فاروق، دهلى) ص ٦٠

٣- أيضا : ص ٦٣

قد اتضح بهذا القول أن الشيخ الدهلوى لا يرضى بمدح حبيب من أحباءالله تعالى الذى يليق بمحض شان البشر أيضا ولهذا يأمر بالاختصار فيه -

إن علماء أهل السنة صرفوا جهودهم لازالة هذا الفكر المسموم وآثاره ، وأنشدوا مدائح فى شأن حبيب الله ﷺ وأوليائه، بسببها إهتزت قلوب أهل الايمان وطرء النشاط على أسماعهم -

إن القرآن ناطق بكون النبي ﷺ بشرا ونورا ، فلا مجال لمسلم أن ينكر كونه ﷺ بشرا ونورا ، والعجب ممن يشهد بكلمة التوحيد ثم ينكر كون النبي ﷺ نورا -

قال الله تعالى : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾[1]

إختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية على أقوال :

١- المراد بالنور هو النبي ﷺ ونوره وبالكتاب القرآن ففى تنوير المقياس من تفسير ابن عباس :

﴿قد جاءكم من الله نور﴾ رسول يعنى محمدا[2]

قال الامام الرازى :

وفيه أقوال الأول أن المراد بالنور محمد وبالكتاب القرآن[3]

قال الامام محمد بن جرير الطبرى :

١- سورة المائدة ١٥/٥

٢- محمد بن يعقوب الفيروز آبادى : تنوير المقياس (ط : مصر) ص ٧٢

٣- محمد بن عمر بن حسين الرازى : التفسير الكبير (المطبعة البهية ، مصر) ١٨٩/١١

يعنى بالنور محمدا ﷺ[1]

قال الامام السيوطى فى تفسير الجلالين :

﴿قد جاءكم من الله نور﴾ هو نور النبي ﷺ[2]

قال العلامة الصاوى فى حاشيته على الجلالين :

أى وسمى نورا لأنه ينور البصائر ويهديها للرشاد ولأنه أصل كل نور حسى ومعنوى[3]

وفى تفسير الخازن :

يعنى محمدا ﷺ ، إنما سماه الله نورا لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام[4]

وفى تفسير النسفى :

أوالنور محمد عليه السلام لأنه يهتدى به كما سمى سراجا[*]

٢ـ المراد بالنور والكتاب هو القرآن، وهذا قول الجبائى والزمخشرى[5] وهما معتزليان ، يرد عليهما أن العطف يقتضى المغايرة ، فاذا كان المراد بهما القرآن لاتبقى المغايرة ، أجابا : بأن المغايرة الاعتبارية كافية وهى متحققة ههنا ـ

قال الزمخشرى فى تفسيره :

١ـ محمد بن جرير الطبرى : جامع البيان (المطبعة الميمنية ، مصر) ٦/ ٩٢

٢ـ عبدالرحمان بن ابى بكر السيوطى : تفسير الجلالين (ط : دهلى) ص ٩٧

٣ـ احمد بن محمد الصاوى : حاشية على تفسير الجلالين (ط : مصر) ١/ ٢٥٨

٤ـ على بن محمد الشهير بالخازن : تفسير الخازن (مصطفى البابى ، مصر) ٢/ ٢٨

٥ـ عبدالله بن احمد النسفى : تفسير النسفى (ط : بيروت) ١/ ٢٧٦

يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك[1]

٣ـ المراد بها سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، ويكفي للعطف التغاير الاعتباري .

قال العلامة الألوسى :

﴿قد جاءكم من الله نور﴾ عظيم وهو نور الأنوار والنبي المختار ﷺ .

ثم قال بعد أسطر :

ولا يبعد عندى أن يراد بالنور والكتاب المبين النبي ﷺ والعطف عليه كالعطف على ما قاله الجبائي ، ولا شك فى صحة إطلاق كل عليه، عليه الصلوة والسلام، ولعلك تتوقف فى قبوله من باب العبارة فليكن ذلك من باب الاشارة[2]

قال العلامة ملا على القارى :

وأى مانع من أن يجعل النعتان للرسول ﷺ فانه نور عظيم لكمال ظهوره بين الأنوار وكتاب مبين حيث أنه جامع لجميع الأسرار ومظهر للأحكام والأحوال والأخبار[3]

نرى أن المفسرين من أهل السنة قد أجمعوا على بيان إحتمال أن المراد بالنور هو نور سيدنا محمد ﷺ بل بعضهم قالوا إن المراد بالنور والكتاب هو النبي ﷺ فمن كان من أهل السنة لا يستطيع أن ينكر كون النبي ﷺ نورا .

١ـ محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف (ط : تهران) ١/٦٠١

٢ـ محمود الآلوسي ، السيد : روح المعاني ٦/٩٧

٣ـ علي بن سلطان محمد القاري : شرح الشفاء (ط: المدينة المنورة) ١/١١٤

قد رفع سؤال إلى الامام أحمد رضا البريلوى من كواليار، الهند، وكان السائل المولوى نورالدين أحمد، وهذه صورة السؤال :

قد ورد أن سيد العالم ﷺ خلق من نورالله وكل الخلائق من نوره ﷺ، فمن أى حديث يثبت هذا المطلب ؟ وذلك الحديث من أى قسم من أقسام الحديث ؟

أجاب الامام أحمد رضا البريلوى: بأن هذا المطلب يثبت بحديث أخرجه أحد الأعلام، حافظ الحديث عبدالرزاق أبو بكر بن همام فى مصنفه، تلميذ الامام الأجل سيدنا الامام مالك ﷺ وأستاذ الامام الأجل سيدنا الامام أحمد بن حنبل ﷺ وأستاذ الأستاذ للامام البخارى ومسلم، عن سيدنا وابن سيدنا جابر بن عبدالله رضى الله عنهما، قال : قلت : يا رسول الله ! بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال يا جابر إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره[1]

أما أن هذا الحديث من أى قسم ؟ فأجاب عليه :

هذا الحديث أخرجه الامام البيهقى ايضا فى دلائل النبوة بنحوه، وأجلة أئمة الدين مثل الامام القسطلانى فى المواهب، والامام إبن حجر المكى فى أفضل القرى، والعلامة الفاسى فى مطالع المسرات، والعلامة الزرقانى فى شرح المواهب، والعلامة الديار بكرى فى الخميس، والشيخ المحقق عبد الحق المحدث الدهلوى فى مدارج النبوة وغير ذلك

١- احمد رضا البريلوى : مجموعة الرسائل (النور والظل، ط: لاهور) ص ٨-٧

من الأسفار، يستدلون بهذا الحديث ويعولون عيه .

وبالجملة قد تلقت الأمة هذا الحديث بالقبول ، فلا شك فى أنه حديث حسن ، صالح ، مقبول ، معتمد ، وإن تلقى العلماء بالقبول هو ذلك الشئ العظيم الذى لاحاجة للسند بعده ، بل لو كان السند ضعيفا أيضا لا يضر ، كما بيناه فى "منير العين فى حكم تقبيل الابهامين" .

قد قال العلامة المحقق، العارف بالله ، سيدى عبدالغنى النابلسي فى الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية : قد خلق كل شئ من نوره ﷺ كما ورد به الحديث الصحيح[1] .

هذا الجواب مبرهن ، مقنع ولكن العناد والتعصب يمنعان من قبوله فلهذا لابد أن نتامل فى الايرادات الموردة على هذا الحديث .

الايراد الأول

يقول إحسان إلهى ظهير معترضا وطاعنا :

فلا ندري أية أمة يقصدها البريلوي؟ إن يريد من الأمة أمثاله من الذين يتبعون الجهل والزيغ والاعوجاج فلايضر وإن يريد من الأمة علماءها والمهرة الحذقة فى الحديث فلا وجود لتلقيهم بالقبول هذه الرواية[2]

إن الامام أحمد رضا البريلوى عد العلماء والأئمة الذين رووا هذا الحديث ونقلوه مع تصريح اسمائهم وكتبهم ، فتجهيلهم وتضليلهم من

١- أحمد رضا البريلوى : مجموعة الرسائل (النور والظل، طبع لاهور) ٩-٨

٢- احسان الهى ظهير : البريلويه ص ١٠٣

إساءة الأدب التي لا تصلح للعفو والصفح وهـذا هـو الديدن القديم لطائفة غير المقلدين ـ

نقدم إلى القراء الكرام أسماء بعض الأئمة والعلماء الذين أخرجوا هذا الحديث ، حديث النور أو نقلوه ، واعتمدوا عليه وسترون أن دائرة التضليل والتجهيل تحيط بالأئمة الكبار، نعوذ بالله تعالى من هذا العمل الشنيع ـ

١ـ رواه أستاذ أساتذة الامام البخاري ومسلم ، الامام عبد الرزاق في مصنفه ، ونقدم بعض الملاحظات بالنسبة إلى هذه الرواية في ما سيأتي ، إن شاء الله تعالى ـ

٢ـ رواه الامام البيهقي في الدلائل، قال العلامة الزرقاني :

قد رواه البيهقي ببعض مخالفته

(شرح الزرقاني على المواهب (المطبعة العامرة ، مصر) ٥٦/١ ، تاريخ الخميس ٢٠/١)

٣ـ قال في تفسير النيسابوري : في تفسير الآيـة الكريمة ﴿وأنـا أول المسلمين﴾

كما قال : أول ما خلق الله نوري

(نظام الدين حسن النيسابوري م٧٢٨هـ) غرائب القرآن (مصطفى البابي ، مصر) ٦٦/٨

٤ـ قال المحدث الشهير والناقد الكبير، العلامة ابن الجوزي (م٥٩٧هـ):

وعن كعب الأحبار ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

لما أراد الله سبحانه خلق المخلوقات وخفض الأرضين ورفع السموات قبض قبضة من نوره سبحانه وتعالى وقال لها : كوني محمدا ﷺ فصارت تلك القبضة عمودا من نور فسجد

ورفع رأسه وقال : الحمد لله ، فقال الله تعالى : لأجل هذا خلقتك وسميتك محمدا فبك أبدأ المخلوقات وبك أختم الرسل .

(مولدالعروس (المكتبة الثقافية ، بيروت) ص ١٦)

هذه الرواية لها أهمية باهرة ، فان العلامة ابن الجوزى ناقد متشدد فى الحديث ، ومع ذلك أوردها من غير نقد عليها .

٥ـ قال العارف بالله الشيخ عبد الكريم الجيلى (م٨٠٥) فى كتابه "الناموس الأعظم والقاموس الأقدم فى معرفة قدر النبى ﷺ" وورد عنه ﷺ فى حديث جابر ﷺ أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر !

(يوسف بن إسماعيل النبهانى جواهر البحار (مصطفى البابى، مصر) ٢٢٠/٤)

٦ـ قال العلامة القسطلانى (م٩٢٣ھ) :

روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله قال : قلت يا رسول الله ﷺ: بأبي أنت وأمى أخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء ، قال : يا جابر ! إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره

(أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى : المواهب اللدنية ، مع شرح الزرقانى ٥٥/١)

٧ـ قال فى السيرة الحلبية بعد نقل هذا الحديث :

وفيه أنه أصل لكل موجود والله تعالى أعلم

(الامام على بن برهان الدين الحلبي الشافعى (م١٠٤٤ھ/١٦٣٥م)

السيرة الحلبية (المكتبة الاسلامية ، بيروت ١/٣١)

٨- نقل هذا الحديث فى كشف الخفاء طبقا لما نقله العلامة القسطلانى
(إسماعيل بن محمد العجلونى (م١١٦٢هـ) كشف الخفاء ومزيل الالباس (مكتبة الغزالى ، بيروت) ١/٢٦٥)

٩- نقل العلامة الخربوطى ، هذا الحديث مفهوما
(عمر بن أحمد الخربوطى (م١٢٩٩هـ/١٨٨٢م) عصيدة الشهدة شرح القصيدة البردة (نور محمد ، كراتشى) ص ٧٣)

١٠- قال فى الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية : وهو ﷺ صاحب الجمعية الكبرى وكيف وقد خلق كل شئ من نوره ﷺ كما ورد به الحديث الصحيح
(الامام عبدالغنى النابلسى (م١١٤٣هـ/١٧٣٠م) المكتبة النورية ، فيصل آباد ٢/٣٧٥)

١١- نقل هذا الحديث معنى فى تاريخ الخميس وهذا نصه :
كما روى عن جابر بن عبدالله الأنصارى أنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول شئ خلقه الله قال : هو نور نبيك يا جابر ! خلقه ، ثم خلق منه كل شئ وخلق بعده كل شئ
(العلامة حسين بن محمد الديار بكرى (م٩٦٦هـ) تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس (مؤسسة شعبان ، بيروت) ١/١٩)

١٢- نقل العلامة سليمان الجمل (م١٢٠٤هـ) هذا الحديث فى شرح القصيدة الهمزية للعلامة شرف الدين البوصيرى
(الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية (إدارة محمد عبد اللطيف حجازى ، قاهره) ص ٦)

١٣- قال الامام العلامة إبن الحاج :

وفيه ايضا (اى فى كتاب شفاء الصدور للخطيب أبى الربيع) أن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ فأقبل ذلك النور يتردد ويسجد بين يدى الله عزوجل، فقسمه إلى أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول العرش ومن الثانى القلم ومن الثالث اللوح (وهكذا قسم الجزء الرابع وخلق من اجزائه اشياء)

فنور العرش من نور محمد ﷺ ونور القلم من نور محمد ﷺ ونور اللوح من نور محمد ﷺ ونور النهار ونور المعرفة ونور الشمس والقمر ونور الأبصار من نور محمد ﷺ (انتهى كلامه ملخصا)

(الامام إبن الحاج : المدخل (دار الكتاب العربى، بيروت) ٢/ ٣٤)

١٤- قال العلامة أبوالحسن بن عبدالله البكرى :

قال على عليه السلام : كان الله ولا شئ معه فأول ماخلق نور حبيبه قبل أن يخلق الماء والعرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار والحجاب والسحاب وآدم وحوى باربعة آلاف عام .

(الأنوار فى مولدالنبي محمد: (ألمطبعة الحيدرية، ألنجف الأشرف) ص ٥)

١٥- قال العلامة السيد محمود الألوسى :

وكونه ﷺ رحمة للجميع باعتبار أنه عليه الصلوة والسلام واسطة الفيض الالهى على الممكنات على حسب القوابل، ولىذا كان نوره ﷺ أول المخلوقات ، ففى الخبر أول

ما خلق الله نور نبيك يا جابر، وجاء (الله تعالى المعطي وأنا القاسم) وللصوفية قدست أسرارهم في هذا الفصل كلام فوق ذلك.

(السيد محمود الألوسي : روح المعاني (ط : بيروت) ١٠٥/١٧)
وفي موضع آخر أورد حديثا "أول ما خلق الله نوري" (٧١/٨)

١٦ـ أورد هذا الحديث السيد أحمد عابدين الشامي (م تقريبا ١٣٢٠هـ) إبن اخي العلامة السيد ابن عابدين الشامي في شرح "النعمة الكبرى على العالم" للعلامة ابن حجر المكي.

(يوسف بن إسماعيل النبهاني: جواهر البحار (مصطفى البابي، مصر) ٣٥٤/٣)

١٧ـ العلامة محمد مهدي الفاسي بعد ما نقل حديث جابر ﷺ أورد حديثا آخر وهو هذا : أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء.

ثم قال :

فهذه أحاديث دالة على أوليته ﷺ وتقدمه على غيره من جميع المخلوقات وأنه سببها.

(محمد مهدي بن احمد الفاسي (م١٠٥٢هـ/١٦٤٢م) مطالع المسرات (المطبعة التازية) ص ٢٢١)

١٨ـ نقل العلامة احمد عبد الجواد الدمشقي حديث جابر ﷺ بقوله :

أخرج عبدالرزاق والبيهقي عن جابر بن عبدالله ﷺ.

(أحمد عبدالجواد الدمشقي : السراج المنير وبسيرته استنير (طبع دمشق) ص ١٤-١٣)

١٩ـ نقل المحدث الجليل ملا على القارى (م١٠١٤هـ) فى "المولد الروى" حديث جابر بطوله الذى أخرجه عبدالرزاق فى مصنفه
(على بن سلطان محمد القارى : ألمولد الروى فى المولد النبوى ص ٤٠) حققه العلامة السيد محمد علوى المالكى (الطبع الأول ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)

٢٠ـ قال العلامة السيد محمد علوى المالكى :

أما سند جابر فصحيح ولا غبار عليه ، وقد اختلف العلماء فى المتن لغرابته ، والحديث رواه البيهقي أيضا ببعض المخالفة ـ
ثم أتى بأحاديث دالة على نورانية النبى ﷺ
(محمد بن علوى المالكى : حاشية المولد الروى ص ٤٠)

٢١ـ فى الفتاوى الحديثية :

وإنما الذى رواه عبدالرزاق أنه ﷺ قال : إن الله خلق نور محمد قبل الأشياء من نوره ـ
(أحمد بن حجر الهيثمى المكى (م٩٧٤هـ) الفتاوى الحديثية (مصطفى البابى ، مصر) ص ٢٤٧)

٢٢ـ أورد العلامة عبد الحى اللكنوى حديث جابر رضى الله عنه وعزاه لعبد الرزاق ، ثم قال بعنوان التنبيه :

قد ثبت من رواية عبد الرزاق اولية النور المحمدى خلقا وسبقته على المخلوق سبقا ـ
(الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة (ط : لاهور) ص٣٤-٣٣)

٢٣ـ يوسف بن إسماعيل النبهاني: حجة الله على العالمين (ط : لائل فور) ص ٢٨ ـ

٢٤ـ قال الشيخ المحقق عبد الحق المحدث الدهلوى (م١٠٥٢هـ) ما معناه باللغة العربية :

ورد الحديث الصحيح "أول ما خلق الله نورى"

(مدارج النبوة ، باللغة الفارسية (ط ـ المكتبة النورية ، سكهر) ٢/٢)

٢٥ـ واستشهد العلامة السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي حفظه الله تعالى الذى هو من أجلة علماء الكويت ومشائخها بحديث جابر ﷺ وعزاه إلى الامام عبدالرزاق ـ

(أدلة أهل السنة والجماعة (ط ـ الكويت ١٤٠٤هـ) ص ٢٢)

٢٦ـ نقله أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ

(موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف (عالم التراث ، بيروت) ٤٦/٤)

تصوروا حفلة حضر فيها هؤلاء العلماء والعرفاء والمحدثون الأجلاء ويحدثون حديث النور ، فهل يجترئ أحد ممن له علاقة بالحديث أن يكذبهم وينسبهم الى الجهل والزيغ ؟ كما فعله إحسان إلهي ظهير ، أقول : حاشا وكلا ـ

قال الامام العلامة إبن حجر العسقلانى :

ولا يتشكك من له أدنى ممارسة بالعلم وأخبار الناس أن مالكا لو شافهه بخبر لعلم أنه صادق فيه ، فاذا انضاف إليه أيضا من هو فى تلك الدرجة إزداد قوة وبعد عما يخشى

عليه من السهو ۔
(شرح نخبة الفكر (ط : ملتان) ص ٢٧)

شهادة المخالفين

٢٧۔ قال العالم الشهير من غير المقلدين امام من أئمة فرقة إحسان إلهى ظهير ، النواب وحيد الزمان :

بدأ الله سبحانه الخلق بالنور المحمدي ثم خلق العرش على الماء ثم خلق الريح ثم خلق النون (اى الدواة) والقلم واللوح ثم خلق العقل ، فالنور المحمدى مادة أولية لخلق السموات والأرض وما فيها ۔

وكتب فى الحاشية :

وما ورد فى الحديث أول ما خلق الله القلم وأول ما خلق الله العقل فالمراد به الأولية الاضافية ۔

(وحيد الزمان النواب : هدية المهدى (إسلامى كتب‌خانه ، سيالكوت) ص ٥٦)

٢٨۔ المولوى أشرف على التانوى ، حكيم الأمة عند العلماء الديابنة أورد حديث جابر ﷺ وعزاه إلى عبدالرزاق واعتمد عليه
(اشرف على التانوى : نشرالطيب (تاج كمپنى ، لاهور) ص ٦)

٢٩۔ قال الشاه محمد إسماعيل الدهلوى قدوة الديابنة وغيرالمقلدين :
كما تدل عليه رواية "أول ما خلق الله نورى"
(محمدإسماعيل الدهلوى: يك روزه (إسم كتيبة، ط:ملتان) ص ١١)

٣٠۔ فى الفتاوى الرشيدية :

السؤال : هذان الحديثان "أول ما خلق الله نوري" و "لولاك لما خلقت الأفلاك" هل هما صحيحان أو موضوعان ؟

الجواب : لم يوجد هذان الحديثان في الصحاح ، إلا أن الشيخ عبدالحق رحمه الله تعالى نقل "أول ما خلق نوري" بناء على أن له اصلا ما ـ

(رشيد احمد الجنجوهي، المولوي: فتاوى رشيديه ، باللغة الأردية (ط : كراتشي) ص ١٥٧)

فقد سبق قول الشيخ المحقق عبد الحق المحدث الدهلوي في مدارج النبوة : إن هذا الحديث صحيح ، والشيخ الجنجوهي يعزى إليه أن له أصلا ما ، فالنقل لم يطابق الأصل ـ

التطبيق بين الأحاديث

قد إختلفت الروايات في أول شيء خلقه الله تعالى ، هل هو نور نبينا ﷺ أوالعقل أو القلم أو غير ذلك ؟ فلننظر كيف طبق بينها الأئمة المحدثون والأولياء من أرباب المشاهدة ؟

٣١ـ قال سيدنا الشيخ السيد عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالى الذي ينقل قوله العلامة إبن تيمية أيضا بالاكرام :

المقدمة في بيان إبتداء الخلق: إعلم وفقك الله لما يحب ويرضى، لما خلق الله تعالى روح محمد ﷺ أولا من نور جماله كما قال الله عزوجل : خلقت روح محمد ﷺ من نور وجهي، كما قال النبي ﷺ أول ما خلق الله روحي وأول ما خلق الله نوري وأول ما خلق الله القلم وأول ما خلق الله العقل ـ

فالمراد منها شيء واحد ، وهو الحقيقة المحمدية ، لكن سمى نورا لكونه صافيا عن الظلمات الجلالية ، كما قال الله تبارك وتعالى ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ وعقلا لكونه مدركا للكليات ، وقلما لكونه سببا لنقل العلم ، كما أن القلم سبب له فى عالم الحروفات -

فالروح المحمدية خلاصة الأكوان وأول الكائنات وأصلها، كما قال عليه الصلوة والسلام: أنا من الله والمؤمنون منى ، وخلق الله الأرواح كلها منه فى عالم اللاهوت وفى أحسن التقويم ، وهو إسم جملة الانس فى ذلك العالم والوطن الأصلى ، فلما مضى عليها اربعة آلاف سنة خلق العرش من نور عين محمد ﷺ وبواقى الكائنات منه -

(سر الأسرار فى ما يحتاج إليه الأبرار (طبع لاهور) ص ١١-١٢)

٣٢- سرد العلامة بدرالدين محمود العينى (م٨٥٥ھ) عدة روايات مثل "أول ما خلق الله القلم" و"أول ما خلق الله النور والظلمة" و"أول ما خلق الله نور محمد ﷺ" ثم قال مبرزا وجه التطبيق بينها : التوفيق بين هذه الروايات بأن الأولية نسبي وكل شيء قيل فيه إنه أول فهو بالنسبة إلى ما بعدها -

(عمدة القارى (ط : بيروت) ١٠٩/١٥)

٣٣- فى المواقف : قال الحكماء أول ما خلق الله تعالى العقل كما ورد نص الحديث -

قال السيد السند الشريف على بن محمد الجرجانى (م٨١٦ھ) فى شرحه :

قال بعضهم : وجه الجمع بينه وبين الحديثين الآخرين

أول ما خلق الله القلم وأول ما خلق الله نورى ، أن المعلول الأول من حيث أنه مجرد ، يعقل ذاته ومبدأه يسمى عقلا ومن حيث أنه واسطة فى صدور سائر الموجودات ونقوش العلوم يسمى قلما ، ومن حيث توسطه فى إفاضة أنوار النبوة كان نورا لسيد الأنبياء ـ

(شرح المواقف (ط : قم ، ايران) ٢٥٤/٧)

٣٤ـ قال الامام العلامة ملا على القارى :

فعلم أن أول الأشياء على الاطلاق النور المحمدى ، ثم الماء ، ثم العرش ، ثم القلم ، فذكر الأولية فى غير نوره ﷺ اضافية ـ

(المورد الروى ص ٤٤)

٣٥ـ قال العلامة نورالدين ملا على القارى :

قال ابن حجر اختلفت الروايات فى أول المخلوقات ، وحاصلها كما بينتها فى شرح شمائل الترمذى أن أولها النور الذى خلق منه عليه الصلاة والسلام ، ثم الماء ثم العرش ـ

(مرقاة المفاتيح (طبع ملتان) ١٤٦/١)

٣٦ـ وقال ايضا :

والأول هو النور المحمدى على ما بينته فى المورد للمولد

(مرقاة المفاتيح ١٦٦/١)

٣٧ـ وقال فى الصفحة التالية :

والأولية من الأمور الاضافية ، فيؤول أن كل واحد مما ذكر (اى القلم والعقل ونورى وروحى والعرش) خلق قبل

ما هو من جنسه ، فالقلم خلق قبل جنس الأقلام ونوره قبل الأنوار ـ ـ ـ ـ ـ فتطلق الأولية على كل واحد بشرط التقييد ، فيقال : أول المعاني كذا وأول الأنوار كذا ، ومنه قوله : أول ما خلق الله نوري، وفي رواية : روحي؛ ومعناهما واحد، فان الأرواح نورانية، أي أول ما خلق الله من الأرواح روحي وقوله : كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.

(مرقاة المفاتيح ١/١٦٧)

٣٨ـ وقال فى موضع آخر :

وقدم نبينا ﷺ فى الذكر لتقدمه فى الرتبة أو فى الوجود أيضا ، لقوله أول ما خلق الله روحي وقوله : كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.

(مرقاة المفاتيح ١/١٩٤)

٣٩ـ وقال أيضا :

وأما نوره عليه السلام فهو فى غاية الظهور شرقا وغربا، وأول ما خلق الله نوره ، وسماه فى كتابه نورا ، وفى دعائه عليه الصلوة والسلام : اللهم اجعلني نورا ـ ـ ـ ـ ـ لكن هذا النور ليس له الظهور الا فى عين أهل البصيرة ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور .

(الموضوعات الكبير (مجتبائي ، دهلي) ص ٨٦)

٤٠ـ نقل العلامة نجم الدين الرازي (م ٦٥٤هـ) أحاديث ورد فيها "أول ما خلق الله القلم" و"أول ما خلق الله العقل" و"أول ما خلق الله روحي" ثم أبرز وجه التوفيق بينها فقال :

الأحاديث الثلاثة مقبولة ومصداقها واحد ، وقد تحير كثير من الناس فى قوله ﷺ : أول ما خلق الله القلم ، كيف هو ؟ ـ ـ ـ ـ ـ هو روح محمد ﷺ -

(مرصاد العباد ، باللغة الفارسية (ط : إيران) ص ٣٠)

٤١ـ أرسل الامام الربانى ، المجدد للألف الثانى رسالة إلى الشيخ حسن الدهلوى ورقم فيه :

الحقيقة المحمدية عليها من الصلوات أفضلها ومن التسليات أكلها ظهور أول ، وحقيقة الحقائق ، بمعنى أن سائر الحقائق سواء كانت للأنبياء الكرام أو الملائكة العظام عليه وعليهم الصلوة والسلام كالظلال له ، وهو أصل الحقائق ، قال عليه وعلى آله الصلوة والسلام: أول ما خلق الله نورى ، وقال : عليه وعلى آله الصلوة والسلام : خلقت من نور الله والمؤمنون من نورى ، فبلا جنرم هو واسطة بين سائر الحقائق وبين الله جل وعلا ، ويستحيل أن يصل أحد إلى المطلوب بدون توسطه عليه وعلى آله الصلوة والسلام (إنتهت ترجمة كلامه)

(مكتوبات الامام الربانى ، باللغة الفارسية (المكتبة السعيدية ، لاهور) دفتر ثالث ، جزء تاسع ص ١٥٣)

٤٢ـ قال الامام العلامة عبدالوهاب الشعرانى (م٩٧٣هـ) :

فان قلت : قد ورد فى الحديث : أول ما خلق الله نورى ، وفى رواية : أول ما خلق الله العقل ، فما الجمع بينهما ؟
فالجواب : أن معناهما واحد ، لأن حقيقة محمد ﷺ تارة

يعبر عنها بالعقل الأول وتارة بالنور .

(اليواقيت والجواهر (مصطفى البابي، مصر، ط : ١٣٧٨هـ) ٢/٢٠)

٤٣ـ قال الشيخ عبدالكريم الجيلي (م٨٠٥هـ) :

فعلم بذلك إتحاد هذه الثلاثة المعاني (أى العقل والقلم وروح نبيك) وأن إختلافها إنما هو من جهة التعبير ، فكان ﷺ أول موجود خلقه الله تعالى بلا واسطة ، وهذه الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول هي مظهر الذات في الوجود فافهم .

(يوسف بن إسماعيل النبهاني : جواهر البحار ٤/٢٢٠)

٤٤ـ قال العلامة حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى (م٩٦٦هـ) :

وجه الجمع بين الأحاديث المختلفة المذكورة على تقدير صحة الكل أن يقال : الأول الحقيقى نور نبينا ﷺ وأولية العقل والقلم إضافية ، يعنى أول مخلوق من المجردات العقل ومن الأجسام القلم ـ ـ ـ ـ ـ

وأهل التحقيق على أن المراد من هذه الأحاديث شئ واحد ، لكن باعتبار نسبه وحيثياته تعددت العبارات .

(تاريخ الخميس (ط : بيروت) ١/١٩ـ١٨)

٤٥ـ قال إمام المناطقة السيد زاهد الهروى :

إعلم أن العلم التفصيلي مراتبه اربعة ، أحدها ما يعبر عنه بالقلم والنور والعقل في الشريعة وبالعقل الكل عند الصوفية وبالعقول عند الحكماء .

(حاشية على حواشي ملا جلال : (المطبع اليوسفى، لكنؤ) ص ٩٦)

٤٦ـ قال العلامة محمد إقبال ـ الشاعر القومي لباكستان :

لوح بهي تو ، قلم بهي تو ، تيرا وجود الكتاب

گنبد آبگينه رنگ ، تيرے محيط ميں حباب

(كليات اقبال باللغة الأردية (شيخ غلام علي، لاهور) ص ٤٠٥)

(أنت اللوح وأنت القلم ووجودك الكتاب، القبة التي مثل الزجاج (أي الفلك) حباب في محيطك)

هذه النقول الساطعة والنصوص اللامعة لا تدع مجالا للشك في أن حديث النور حسن صالح ، مقبول عند علماء الأمة ، ولا ينكره إلا من أعمى الله بصيرته ، قال تعالى : ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور﴾[1]

الايراد الثاني

يقول إحسان إلهي ظهير :

ثم ومن قال : بأن تلقي الأمة بالقبول لرواية يجعلها في مرتبة لا ينظر إلى إسنادها ؟[2]

الجواب : نحن نريك مقام تلقي العلماء بالقبول لحديث .

١ـ قال شيخ الاسلام الحافظ إبن حجر العسقلاني (م٨٥٢هـ) : إن الحديث الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما يفيد العلم مع كونه مما لم يبلغ حد التواتر فإنه إحتف به قرائن، منها تلقي العلماء لكتابيهما بالقبول .

١ـ سورة النور ٢٤/٤٠

٢ـ احسان الهي ظهير : البريلوية ص ١٠٣

ثم قال :

وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر[١]

هذا نص من الامام العسقلانى على أن التلقى بالقبول يفيد العلم واليقين أكثر مما تفيده كثرة الطرق القاصرة عن حدالتواتر۔

٢۔ عن علي ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : إذا أتى أحدكم الصلوة والامام على حال ، فليصنع كما يصنع الامام ، رواه الترمذی وقال : هذا حديث غريب لانعرف أحدا أسنده إلا ما روى من هذا الوجه ، قال والعمل على هذا عند أهل العلم ، قال النووى : وإسناده ضعيف ۔

قال العلامة ملا على القارى :

فكان الترمذى يريد تقوية الحديث بعمل أهل العلم[٢]

قد مرمنا تقول العلماء والأئمة فى حديث جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله عنهما فلا وجه لرده وتأثيم ناقله بشرة اللسن ۔

قال الحافظ صلاح الدين يوسف ، مدير المجلة الأسبوعية "الاعتصام" بلاهور ، وقوله هذا مبنى على التهور الخاطئ :

العلامة القسطلانى صاحب المواهب (م٩٢٣ھ) من أكابر القرن التاسع والعاشر ، حالت بينه وبين رسول الله ﷺ تسعة قرون ، فما لم يكن سنده متصلا إلى رسول الله ﷺ

١۔ أحمد بن حجر العسقلانى : نزهةالنظر فى توضيح نخبةالفكر (ط: ملتان) ص ٢٥/٢٤

٢۔ على بن سلطان محمد القارى : مرقاة المفاتيح (ط : ملتان) ٣/٩٨

لاتكون روايته مقبولة بغير إسناد ، بل هي ساقطة عن درجة الاعتبار، فالرواية المذكورة في السؤال لاأصل لها ، وبيانها إثم كبير[1]

ثم حقره الامام القسطلاني بنقل حديث جابر ﷺ عن مصنف الحافظ عبدالرزاق ، بل نقله كثير من أجلة المحدثين والأولياء من أصحاب الكشف ، كما قد مرت نصوصهم ، فتأثيم بيان هذا الحديث كما تفوه به مدير الاعتصام داخل في زمرة الآثام۔

ومما يقضي منه العجب أن المصنف للامام عبدالرزاق مقبول عندهم ، فعند ما نقل المحدثون الثقات حديثا عنه ، يقولون : الحديث غير مقبول ما لم تخرجوا لنا سندا متصلا منكم إلى رسول الله ﷺ ، وعلى هذا لو روى أحد حديثا أخرجه الامام البخاري في صحيحه هل يصح أن يقال له : لايصلح هذا الحديث للقبول ما لم تبرز لنا سندا متصلا منك إلى رسول الله ﷺ ؟ وظاهر أن هذا الطلب غير صالح قطعا، ولايليق أن يلتفت إليه ـ ثم وما معنى كون القسطلاني من الأكابر ؟ وهو ممن لا يوثق بنقله عندكم

<u>الايراد الثالث</u>

يقول إحسان إلهي ظهير :

وأدرج فيها (اى البريلوى في رسالته صلات الصفا) رواية موضوعة باطلة ونسبها إلى الحافظ عبد الرزاق أنه

١- صلاح الدين يوسف : المجلة الاسبوعية الاعتصام ، لاهور (عدد ١٣- مارس ١٩٩٠م) ص ٨

أخرجها فى مصنفه مع أنها لم ترد فيه(١)

أقول : لم يتفرد الامام أحمد رضا بنسبة هذا الحديث إلى الحافظ عبدالرزاق ، بل عزاه إليه جم غفير من العلماء والمحدثين وأرباب الكشف والشهود ، وقد مرت نصوصهم قبل هذا ، فالقول بأن هذا الحديث موضوع وباطل ممن لا خبرة له بالحديث جرأة شنيعة .

أما أن المصنف قد طبع ولم يوجد فيه هذا الحديث فلا يضرنا ، إذ من اهتم بطبعه ونشره وهو حبيب الرحمن الأعظمى معترف بأنا لم نعثر على نسخة كاملة للمصنف ، وهذا نصه فى فاتحة كتاب الطهارة :

> تنبيه : إن النسخ التى عثرنا عليها ، او التى احرزناها مصورة أو مخطوطة واعتمدنا فى إعداد هذا الديوان الجليل (المصنف) - وستجد وصفها إن شاء الله فى المقدمة ، كلها ناقصة إلا نسخة ملا (بالآستانة) فانها كاملة إلا نقصا يسيرا فى أولها وفى فاتحة المجلد الخامس من مجلدات الأصل فى ما نرى(٢)

وعلى القارئ الكريم أن يقضي أن من ليست عنده نسخة كاملة من المصنف هل يجوز له القول بأن هذا الحديث موضوع؟ إذ لم يوجد فى النسخة الناقصة المطبوعة، رغم أن أساطين العلم فى التاريخ الاسلامى قبلوه واعتمدوا عليه وعزوه إلى المصنف ، لا شك أن قولهم صادق وروايتهم معتبرة .

١- احسان الهى ظهير : البريلوية ١٠٢

٢- حبيب الرحمن الاعظمى : مصنف عبدالرزاق (ط : بيروت) ٣/١

الايراد الرابع

أورد إمام من أئمة غير المقلدين ، المولوى داؤد الغزنوى على رواية سيدنا جابر ﷺ بما معناه :

أما القول بأن النبي ﷺ خلق من النور الذاتى لله سبحانه وتعالى ليس جهلا فقط ، بل هو كفر صريح ، إذ يكون معناه أن نور ذاته تعالى مادة لخلقه ﷺ وهو جزء من ذات الله ، نعوذ بالله تعالى من ذلك ، وهذا باطل عقلا وشرعا ، وايضا لو فصل الله تعالى حصة من نوره وخلق منها وجوده ﷺ فمعاذ الله! يلزم أن ينتقص جزء من نور ذاته تعالى(١)

ورد فى حديث جابر ﷺ : (إن الله تعالى قد خلق نور نبيك من نوره) فزعم الشيخ الغزنوى أن كلمة من ههنا للتبعيض ، حتى يكون معنى الحديث أن نور النبى ﷺ جزء من نور ذات الله تعالى وبعضه ، ولم يتخيل أن كلمة من تأتى لمعان غير التبعيض ، كما لا يخفى على الدارسين فى الدرجة الابتدائية ، والحقيقة أن كلمة من ههنا ابتدائية اتصالية ، فيكون معنى الحديث أن نور النبى ﷺ مخلوق من نور الله تعالى بلا توسط امر آخر، وحاشا لله ! أن يكون أحد من المسلمين قائلا بالجزئية .

قال العلامة الزرقانى :

(نور نبيك من نوره) اى من نور هو ذاته ، لا بمعنى أنها مادة ، خلق نوره منها ، بل بمعنى تعلق الارادة به

١- محمد داؤد الغزنوى : المجلة الاسبوعية الاعتصام (عدد ٢٣ مارس ١٩٩٠م) ص ١١

بلا واسطة شيء في وجوده[١]

وبعد هذا الايضاح يندفع كلا الايرادين للشيخ الغزنوى ـ

قال الامام أحمد رضا البريلوى :

حاشا لله ! لا يعتقد احد من المسلمين ولا يظن أن نور الرسول ﷺ أو شيئا آخر عين ذات الله تعالى أو جزءه ، لاشك أن هذه العقيدة كفر وارتداد[٢]

قال الله تعالى : ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾[٣]

قال العلامة السيد محمود الألوسى في تفسير هذه الآية :

وهي (أي من) لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى، ويحكى أن طبيبا نصرانيا حاذقا للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدى المروزى ذات يوم ، فقال له : إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلى هذه الآية ـ

فقرء الواقدى قوله تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ فقال : إذن يلزم أن يكون جميع

١ـ محمد بن عبدالباقي الزرقاني : شرح المواهب اللدنية (المطبعة العامرة، مصر) ١/٥٥

٢ـ احمد رضا البريلوى : مجموعة رسائل (تتعلق بالنور والظل ، ط : لاهور) ص ٣٦

٣ـ سورة النساء ٤/١٧١

الأشياء جزء منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا ، فانقطع النصرانى فاسلم، وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدى بصلة فاخرة[١]

الطبيب النصرانى فهم معنى الآية فأسلم ، فلينظر أن المخالفين هل يفهمون معنى الحديث ويسلمونه ام لا ؟

الايراد الخامس

يقول إحسان إلهى ظهير :

كيف وإن الرواية بظاهرها تعارض نصوص القرآن الصحيحة والأحاديث الثابتة من بشريته ﷺ .

والواقع ايضا يعارضها حيث أن النبى ﷺ ولد فى بيت عبدالله بن عبد المطلب وربى فى حجر أمه آمنة ورضعته حليمة السعدية وتزوج أمهات المؤمنين وولد له الأولاد ، وكان له أرحام وأصهار[٢] (ملخصا)

هذا الكلام العبث مبنى على إفتراض أن أهل السنة والجماعة قائلون بأن النبى ﷺ لم يكن بشرا بل هو نور محض، رغم أن هذه العقيدة باطلة قطعا عندنا كما سبق منا فى أول هذا البحث .

الايراد السادس

وصلت إلى رسالة من بعض علماء برتغال ، رد فيها على تطبيق الأحاديث الواردة فى أول مخلوق ، وقال : أول ما خلق الله الماء ، كما

١- محمود الالوسى ، السيد : روح المعانى (ط : ايران) ٢٣/٦

٢- احسان الهى ظهير البريلوية : ص ١٠٢

ورد به الحديث الصحيح، وحديث النور ليس بثابت ، فأى حاجة إلى التطبيق ؟

أقول : هـذا السؤال لا يتوجه إلينـا ، فـانـا لم نطبق ، من شاء فليراجع إلى سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلى، والشيخ عبد الكريم الجيلى، والعلامة عبد الوهاب الشعرانى ، والعلامة بدر الدين محمود العيني ، والعلامة حسين بن محمد الديار بكرى ، والعلامة المحدث ملا على القارى وغيرهم الذين طبقوا بين الأحاديث ، وقالوا أول الأنوار هو نور النبي ﷺ ، فلو لم يكن حديث النور عندهم ثابتا لم يحتاجوا إلى توفيق ـ

زعم عالم برتغال أن الماء أول مخلوق على الاطلاق ، واستدل على زعمه بقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حى﴾[1]

وقال : لا حاجة إلى التطبيق بين الآية والحديث ، فان الحديث لم يثبت ـ

والجواب : أن الآية ليس فيها ذكر مطلق الموجودات ، بل ذكر فيها الأجسام بل الحيوانات خاصة ـ

قال العلامة السيد محمود الألوسي فى تفسير هذه الآية :

أى خلقنا من الماء كل حيوان أى متصف بالحياة الحقيقية، ونقل ذلك عن الكلبي وجماعة ، ويؤيده قوله تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾[2]

١ـ سورة الانبياء ٢١/٣٠

٢ـ محمود الالوسى ، السيد : روح المعانى ١٧/٣٦

ومن الظاهر أن لا مخالفة بين الآية والحديث ، فان الآية تدل على أن كل حيوان خلق من ماء ، ولا تعرض فى حديث النور لحيوان ولا جسم ، بل ذكر فيه مجرد خلق قبل جميع الأجسام بل جميع الأنوار وهو نور سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

طريفة

قال إحسان إلهى ظهير :

ولأجل ذلك قال أحد البريلويين فى بيت شعر فى الأردية ونريد نثبته ههنا قبل ترجمته :

وہی جو مستوی عرش تھا خدا ہو کر
اتر پڑا مدینے میں مصطفی ہو کر

أى إن الذى كان مستويا على العرش بصورة الإلـه هو الذى نزل فى المدينة بصورة المصطفى(١)

هذا الصنيع مما يدهش القارئ ، فان حديث النور قد أورده العلماء الأعلام فى كتبهم وعزوه إلى الحافظ عبد الرزاق ، ومع ذلك لا يسلمه إحسان إلهى ظهير وأمثاله ، وينكرونه بناء على أنهم لم يصلوا إلى سنده ، وهكذا يفتحون باب إنكار الحديث ، رغم أنه ينسب هذا الشعر إلى البريلوية بدون ذكر قائله وسنده ومأخذه ، فصنيعه هذا مردود على قائله ، والشعر عندنا غلط محض ، لا نلتزمه ولا ندين به .

---

(١) احسان الهى ظهير : البريلوية ، ص ١٠٥

لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم ظل

الظل إنما يكون للأجسام الكثيفة ، أمـا الأجسام اللطيفة كالهواء والملائكة لا يكون لها ظل ، والنبي ﷺ نور مجسم فلم يكن له ظل -

قال الامام الربانى المجدد للألف الثانى :

وليعلم أن التخليق المحمدى لم يكن مثل تخليق سائر الأفراد الانسانية ، بل لا مناسبة له بتخليق فرد من أفراد العالم ، فانه ﷺ كان مع النشأ العنصرى مخلوقا من نور الله، كما قال عليه وعلى آله الصلوة والسلام : خلقت من نور الله، ولم تحصل هذه السعادة لغيره ﷺ[1]

عن ابي بكر الصديق ﷺ قال : كان وجه رسول الله ﷺ كدارة القمر -

وعن محمد بن عمـار قـال : قلت للربيـع بنت معوذ : صفى لى رسول الله ﷺ قالت : يا بنى لو رأيته رأيت الشمس طالعة[2]

الامـام أحمد رضا البريلوى تحدث عن هـذه المسألـة فى ضوء القرآن والحديث ونقول أئمة السلف ، فمن كان قلبه مضيئا بنور الايمان

١- احمد السرهندى ، الامام الربانى : مكتوبات (باللغة الفارسية ، ط : لاهور) دفتر ثالث ، جزء تاسع ص ١٩

٢- عبدالرحمن ابن الجوزى : الوفاء (ط : لائل فور) ص ٤٠٧

ينبسط وينشرح صدره بسماع فواضل وفضائل حبيب رب العالمين ﷺ، ولا يسع للمخالف أن يقول : هذه أقوال البريلوية ، فإن القائلين بنفي الظل للنبي ﷺ فيهم الصحابة والأئمة الأعلام الذين مضوا قبل قرون .

وفي مايلي بعض النصوص :

١- عن ابن عباس قال : لم يكن لرسول الله ﷺ ظل ، ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه على ضوء السراج[1]

قد تبين من قول إبن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ ليس نورا معنويا فقط بل هو نور حسي ايضا .

٢- في تفسير المدارك : وقال عثمان ﷺ : إن الله ما أوقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك[2]

٣- عقد الامام السيوطي في الخصائص الكبرى بابا سماه "باب الآية في أنه ﷺ لم يكن يرى له ظل" وقال فيه : أخرج الحكيم الترمذي عن ذكوان أن رسول الله ﷺ لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر، قال إبن سبع : من خصائصه أن ظله كان لا يقع على الأرض وأنه كان نورا ، فكان إذا مشي في الشمس أو القمر لا ينظر له ظل ، قال بعضهم : ويشهد له حديث قوله ﷺ في دعائه واجعلني نورا[3]

١- عبد الرحمن بن الجوزي : الوفا ص ٤٠٧

٢- عبدالله بن احمد النسفي : تفسير النسفي (ط : بيروت) ٣/١٣٥

٣- عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي: الخصائص الكبرى (ط : لائل فور) ١/٦٨

٤ـ قال العلامة السيوطي في "أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب" :

ولم يقع ظله على الأرض ولا رئي له ظل في شمس ولا قمر،

قال ابن سبع : لأنه كان نورا وقال رزين لغلبة أنواره[١]

٥ـ قال الامام العلامة القاضي عياض في أثناء ذكر ما ظهر له ﷺ من الآيات :

وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر

لأنه كان نورا[٢]

٦ـ قال العلامة شهاب الدين الخفاجي بعد ما نقل رواية ابن عباس عن الوفاء : وقد تقدم هذا والكلام عليه ورباعيتنا فيه وهي :

ما جر لظل أحمد أذيال في الأرض كرامة كما قد قالوا

هذا عجب وكم به من عجب والناس بظله جميعا قد قالوا

وقالوا هذا من القيلولة ، وقد نطق القرآن بأنه النور

المبين وكونه بشرا لاينافيه كما توهم، فان فهمت فهو نور على

نور فان النور هو (الظاهر) بنفسه المظهر لغيره وتفصيله

في مشكوة الأنوار للغزالي[٣]

٧ـ قال العلامة القسطلاني : ولم يكن له ﷺ ظل في شمس ولا قمر ، رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان ، ثم ذكر قول ابن سبع وقوله ﷺ في دعائه : واجعلني نورا[٤]

١ـ عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي: الخصائص الصغرى (الكتاب، لاهور) ص ٣٠٥

٢ـ عياض بن موسى ، القاضي : الشفاء (ط : ملتان) ١/٣٤٢-٣٤٢

٣ـ احمد الخفاجي شهاب الدين : نسيم الرياض (ط : المدينة المنورة) ٣/٢٨٢

٤ـ احمد بن محمد القسطلاني : المواهب اللدنية (مع الزرقاني) ٤/٢٥٣-٢٥٣

٨ـ قال العلامة الزرقاني : (ذكوان) أبي صالح السمان الزيات المدني (وأبي عمرو) المدني مولى عائشة وكل منهما ثقة من التابعين، فهو مرسل ، لكن روى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس لم يكن للنبي ﷺ ظل ، ولم يقم مع الشمس قط إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه ضوء السراج[1]

٩ـ قال في السيرة الشامية بعد ما نقل أثر ذكوان رحمه الله تعالى : رواه الحكيم الترمذي وقال : معناه لئلا يطأ عليه كافر فيكون مذلة له[2]

١٠ـ قال الامام حسين بن محمد الملقب بالراغب الأصفهاني (م٥٠٢ه‍) :
وروى أن النبي ﷺ كان إذا مشى لم يكن له ظل[3]

١١ـ في السيرة الحلبية :
وإنه ﷺ إذا مشى في الشمس أو القمر لايكون له ظل، لأنه كان نورا[4]

١٢ـ في مجمع بحار الأنوار :
من أسمائه ﷺ النور ، قيل من خصائصه ﷺ أنه إذا مشى

١ـ محمد بن عبدالباقي الزرقاني : شرح المواهب ٤/٢٥٣-٢٥٢

٢ـ محمد بن يوسف الشامي : سبل الهدى والرشاد (ط : مصر) ٢/١٢٣

٣ـ حسين بن محمد الاصفهاني : المفردات (ط : كراتشي) ص ٣١٨

٤ـ علي بن برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية (المكتبة الاسلامية ، بيروت) ٣/٣٠٢

فى الأرض فى الشمس والقمر لا يظهر له ظل[١]

١٣- قال العلامة إبراهيم بن محمد البيجورى (م١٢٧٦هـ) فى المواهب اللدنية شرح الشمائل المحمدية :

وإنما كان ﷺ أحسن لأن ضوءه يغلب على ضوء القمر بل وعلى ضوء الشمس[٢] (ثم نقل رواية إبن المبارك وإبن الجوزى عن إبن عباس ، كما قد سبقت)

١٤- أورد العلامة ملا على القارى ، فى جمع الوسائل فى شرح الشمائل رواية إبن الجوزى عن إبن عباس رضى الله تعالى عنهما[٣]

١٥- قال الشيخ سليمان الجمل فى "الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية" شرح متن الهمزية للشيخ شرف الدين البوصيرى :

وأن المراد بالسنى الضوء الحسى وهو ﷺ كان نورانيا بدليل ما ذكره هو أنه لم يكن له ظل يظهر فى شمس ولا قمر[٤]

١٦- قال فى تاريخ الخميس فى ما اختص به ﷺ من الكرامات :

ولم يقع ظله على الأرض ولا رؤى له ظل فى شمس ولا قمر[٥]

١٧- يقول الامام الربانى المجدد للألف الثانى :

١- محمد طاهر الفتنى : مجمع بحار الانوار (ط : لكنئو) ٣/٤٠٢

٢- محمد بن ابراهيم البيجورى : المواهب اللدنية (ط : مصر) ص ٢٤

٣- على بن سلطان محمد القارى : جمع الوسائل (ط : كراتشى) ١/٢١٧

٤- سليمان الجمل : الفتوحات الاحمدية (ط : مصر) ص ٥

٥- حسين بن محمد الديار بكرى : تاريخ الخميس (ط : بيروت) ١/٢١٩

ظل الرجل ألطف منه ولما لم يكن أحد فى العالم أكثر منه لطافة فكيف يمكن له الظل؟[١]

١٨- قال الشيخ المحقق الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوى بعد نقل رواية الحكيم الترمذى :

ومن أسمائه ﷺ النور ، وليس للنور ظل[٢]

١٩- أورد الامام المحدث عبد الرؤف المناوى : رواية لابن المبارك وابن الجوزى عن إبن عباس رضى الله تعالى عنهما، وقد سبقت تلك الرواية[٣]

وقال الامام المناوى :

وكما أن وجهه أبهى من الشمس والقمر، فنور قلبه أعظم ضياء منهما فلو كشف الحق عن مشارق أنوار قلبه لانطوى نور الشمس والقمر فى مشرقات أنوارها ، وأين نور القمرين من نوره؟ فالشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب الأنبياء لا كسوف لها ولا غروب ، ونور الشمس تشهد به الآثار ونور القلب يشهد به المؤثر ، لكن لابد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب[٤]

وقال ايضا :

١- احمد السرهندى ، الامام الربانى : مكتوبات ، دفتر ٣ ، جزء ٩ ص ١٥٢

٢- عبدالحق المحدث الدهلوى : مدارج النبوة (ط : سكهر) ٢١/١

٣- عبدالرؤف المناوى : شرح الشمائل (ط : كراتشي) ٥٧/١

٤- ايضا : شرح الشمائل (ط : كراتشي) ٥٨/١

ولذا نقل القرطبي : أنه لم يظهر تمام حسنه وإلا لما طاقت الأعين رؤياه[1]

٢٠- قال سراج الهند الشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوي في تفسير سورة والضحى :

لم يكن يقع ظله ﷺ على الأرض[2]

يقول إحسان إلهي ظهير :

ونقل (البريلوى) من أئمته: أن ظله كان لايقع على الأرض وأنه كان نورا ، فكان إذا مشى في الشمس أوالقمر لاينظر له الظل[3]

هنيئا لكم ! معشر أهل السنة ! أن عظماء الأمة المسلمة من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إلى الامام الربانى المجدد للألف الثانى وسراج الهند الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى الذين رووا ونقلوا رواية ابن عباس وذكوان من غير نكير وصرحوا بنفي ظله ﷺ أئمة لكم ، لا لغير المقلدين ، وشهد بهذا الامر أحد غير المقلدين إحسان إلهي ظهير ، قائلا عن الامام أحمد رضا بأنه نقل عن أئمته ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

فلنعد أسماء هؤلاء الأعلام الذين يرفض إمامتهم إحسان إلهي ظهير ويقول إنهم قدوة وأئمة للامام أحمد رضا وليس لى علاقة بهم ، رغم

١- عبدالرؤف المناوى : شرح الشمائل ١/٥٨

٢- عبدالعزيز المحدث الدهلوى : تفسيرفتح العزيز جزءعم(ط: دهلى)ص٣١٦

٣- احسان الهى ظهير : البريلوية ، ص ١٠٥

أن المسلمين قاطبة يسلمون إمامتهم وجلالتهم :

(١) امير المؤمنين عثمان بن عفان (٢) حبر الأمة إبن عباس (٣) التابعي الجليل ذكوان (٤) الامام إبن سبع (٥) الامام حسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني (٦) الحكيم الترمذي (٧) القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٨) الامام عبد الله بن أحمد النسفي (٩) جلال الدين السيوطي (١٠) العلامة محمد بن يوسف الشامي (١١) العلامة القسطلاني (١٢) شهاب الدين الخفاجي (١٣) على بن برهان الدين الحلبي ، صاحب السيرة (١٤) الشيخ محمد طاهر الفتني ، صاحب المجمع (١٥) العلامة سليمان الجمل ، المفسر (١٦) العلامة حسين بن محمد الديار بكرى (١٧) العلامة

عبد الرؤف المناوى (١٨) العلامة ملا على القارى (١٩) الامام الرباني المجدد للألف الثاني (٢٠) الشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوى (٢١) سراج الهند الشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوى رحمهم الله تعالى .

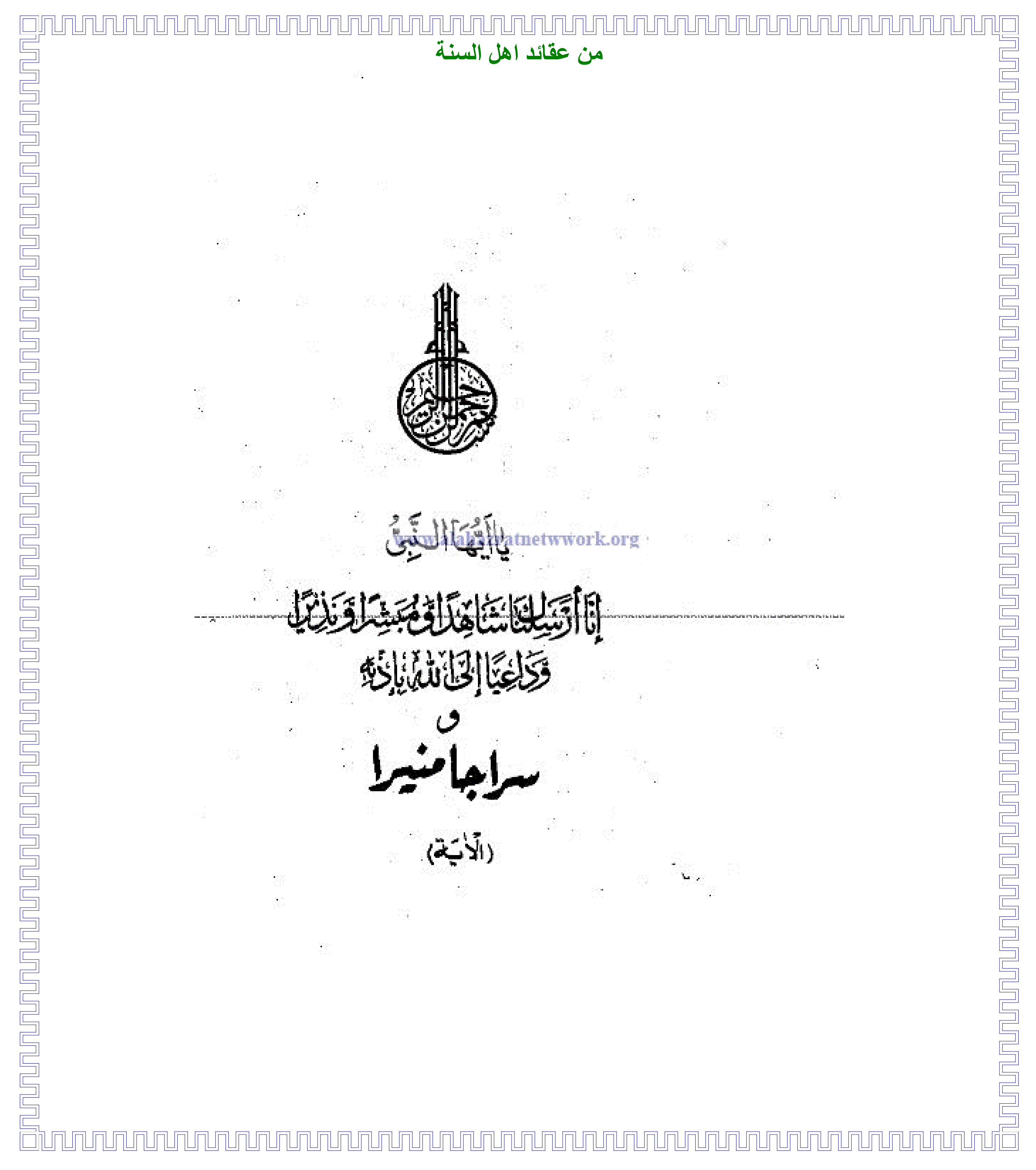
وفقنا الله تبارك وتعالى بالوصول إلى النتيجة الصالحة وجنبنا عن توهين العلماء والأئمة الأعلام آمين بجاه سيد المرسلين ﷺ .



الباب السادس

الحبيب في ضريح الحبيب حاضر

وشاهد على أعمال الأمة


يا أيها النبي
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا إلى الله بإذنه
و
سراجا منيرا
(الآية)
www.alahazratnetwork.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي القدير ، السميع البصير ، الفعال لما يريد ، وأكمل الصلوات وأجمل التحيات على خير خلق الله وأفضل رسله سيدنا ومولانا محمد المصطفى الذي أرسله ربه رحمة للعالمين ، وبعثه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وعلى آله وأصحابه وأولياء أمته ذوى الكرامات السنية والبركات السامية .

اعلم أن للانسان قوة نظرية ، كما لها معرفة الحقائق كما هي ، وقوة عملية كما لها القيام بالأمور على ما ينبغي ، وتكفلت الملة والفلسفة بتكميل النفوس البشرية في القوتين ، لتحصل سعادة الدارين ، لكن العقل يتبع في الملة هداه وفي الفلسفة هواه وبالجملة الغرض منها معرفة المبدأ والمعاد .

والطريق إلى هذه المعرفة من وجهين :

أحدهما : طريقة أهل النظر والاستدلال .

وثانيها : طريقة أهل الرياضة والمجاهدات .

والسالكون للطريقة الأولى إن اتبعوا ملة فهم المتكلمون وإلا فهم الحكماء المشائيون كأرسطو وأتباعه والشيخين أبي علي وأبي نصر

والسالكون للطريقة الثانية إن وافقوا الشريعة فهم الصوفية المتشرعون وإلا فهم الحكماء الاشراقيون ، كأفلاطون والشيخ

شهاب الدين المقتول[١] ـ

ثم اعلم أن تلامذة أفلاطون ثلاثة فرق :

الأولى : الاشراقيون وهم الذين جردوا ألواح عقولهم عن النفوس الكونية ، فأشرقت عليهم أنوار الحكمة من لوح النفس الأفلاطونية من غير عبارة ولا إشارة ـ

والثانية : الرواقيون ، وهم الذين حضروا مجلسه وجلسوا في الرواق واقتبسوا أنوار الحكمة من عباراته وإشاراته ـ

والثالثة : المشاؤن وهم الذين يمشون في ركابه ، واستفادوا الحكمة في تلك الحالة وأرسطو منهم[٢] ـ

والمقصود من هذا التفصيل أن الله تعالى أعطى الانسان القوة النظرية يحصل لها الجلاء بالنظر والفكر وترق في إدراكها بالرياضة والمجاهدة وتنكشف عندها الحقائق الواقعية ، وفي هذه الأمور يستوى المتبع للشريعة وغيره ، نعم لا يصل إلى الحقائق الواقعية وصولا صحيحا إلا أتباع الوحي الالهي والسنة النبوية ، وينفتح لهم باب عالم الغيب ، وينكشف لهم الوقائع الآتية ، ويزورون الملائكة وأرواح الأنبياء عليهم الصلوة والسلام في النوم واليقظة ويستفيدون منهم ـ

الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي بعد ما حصل على العلوم الاسلامية اتجه إلى التصوف ، وبين سببه قائلا : إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، ـ ـ ـ ـ وأن

١ـ عبدالنبي احمد نكرى ، القاضي : دستور العلماء (طبع بيروت) ١/١٩٧

٢ـ ايضا : ٢/١٩٤

جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ، ثم قال بعد ذلك: (وهذه نكتة أريد أن الفت نظر القارئ الكريم إليها):

ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات ، حتى أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد . ثم يترق الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق[1] ـ

قد نقلنا نصوصا من أجلة العلماء فى رسالتنا "مدينة العلم" نذكر بعضها ههنا لمناسبتها بهذا المقام ـ

قال الامام فخر الدين الرازى :

وقال عليه السلام أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ولهذا المعنى نرى أن كل من كان أكثر علما بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلبا وأقل ضعفا ولهذا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : والله ما قلعت خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية وذلك أن عليا كرم الله وجهه فى ذلك الوقت إنقطع نظره عن عالم الأجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه وتشبه بجواهر الأرواح الملكية وتلألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره ـ

وكذلك العبد إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام

١ـ محمد بن محمد الغزالى ، الامام : كتاب المنقذ من الضلال (طبع تركيا) ص:٣٠٣

الذي يقول الله : كنت سمعا وبصرا فإذا صار نور جلال الله سمعا له سمع القريب والبعيد وإذا صار ذلك النور بصرا له رأى القريب والبعيد وإذا صار ذلك النور يدا له قدر على التصرف في الصعب والسهل[١] ـ

قال العلامة العلي القاري :

ثم اعلم أنه قال رسول الله ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أي المتفرسين ، رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري ﷺ ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن الفراسة ثلاثة أنواع ، فراسة إيمانية وسببها نور يقذفه الله تعالى في قلب عبده وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب ويثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة ومنها اشتقاقها ، وهذه الفراسة على حسب قوة الايمان فمن كان أقوي إيمانا فهو أحد فراسة ، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله ، الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب وهي من مقامات الايمان إنتهى[٢] ـ

قال شيخ مشائخ الهند الشاه ولي الله الدهلوي مخبرا عن عروجه وكماله وترقي علومه :

إني لم أزل أعبر تجليا بعد تجلي ـ ـ ـ ـ ـ حتى وصلت

١ـ محمد بن عمر بن حسين الرازي، الامام : التفسير الكبير (المطبعة البهية، مصر) ٢١/٩١

٢ـ علي بن سلطان محمد القاري، العلامة : شرح على الفقه الاكبر (مصطفى البابي، مصر) ص : ٨٠

إلى اسم الرحمن أصل التجليات وملاك أمرها فبلغت به ما بلغت إليه فلما انحدر فى معدنى رأيت كل مقام وكل علم وكل كمال حصل لأول الأفراد الانسانية ، لست أقول : هذا الآدم بل أول الأوادم الى آخر رجل يوجد عند إنقضاء الزمان واندكاك الأفلاك سواء كان حصل له فى هذه الدار أو فى القبر أو فى الحساب أو فى الجنة أحطت بها كلها بحيث لاينازع أمر أمراء (إلى أن قال) وقد أحطت بكمال الأفلاك والمعادن والأشجار والبهائم والملائكة والجن واللوح والقلم وإسرافيل وكل ما دخل تحت الوجود إحاطة تامة شاملة ـ ـ ـ ـ (إلى أن قال :)

وعندى علوم لايكاد يحيطها سماء ولا بر و بحر و ساحل

ولكن أبناء الزمان وجدتهم تساوى لديهم عاقل ثم غافل[1]

قال قطب زمانه سيدى عبدالعزيز الدباغ رحمه الله تعالى :

ما بين الصالحين بعد وإن تباعدت أوطانهم ، حتى أن صالحا فى المغرب يريد أن يتحدث مع آخر فى السودان أو البصرة ونحو ذلك فتراه يكلمه وهو بمنزلة من يكلم رجلا إلى جنبه وإذا أراد ثالث أن يتحدث معهما تحدث ، وهكذا الرابع حتى ترى جماعة من الصالحين متفرقين كل واحد منهم من قطر وهم يتحدثون بمنزلة القوم المجتمعين فى موضع واحد[2] ـ

١ـ ولى الله الدهلوى ، الشاه : التفهيمات (حيدر آباد ، سنده) ٢/ ٩٠ ـ ٨٩

٢ـ احمد بن المبارك ، العلامة : الابريز (مصطفى البابى ، مصر) ص : ١٧

قال الشاه محمد إسماعيل الدهلوى إمام غير المقلدين والديابنة في شبه القارة :

وهكذا قلوب الأولياء الكرام عند تنزهها عن صدأ الغفلة والتوجه إلى ما سوى الله تعالى تصير مرايا لحظيرة القدس ، مثلا إذا قضي في حظيرة القدس بشيء يراه أكثر الصالحين في المنام أو اليقظة قبل وقوعه[1] ـ

قال المولوى أنور شاه الكشميرى الديوبندى :

ثم اعلم أن ما يرونه الأولياء من الأشياء قبل وجودها في العالم لها أيضا نحو من الوجود كما أن أبا يزيد البسطامي رحمه الله تعالى لما مر من جانب مدرسة وهبت ريح قال : إني أجد منها ريح عبد من عباد الله فنشأ منه الشيخ ابو الحسن الخرقاني ـ وكما قال النبي ﷺ إني أجد نفس الرحمن من اليمن فنشأ منه الأويس القرني[2] ـ

وفي هذا المقام نتأمل لسويعة في ما مضى من النصوص ، فقد ورد في حديث الترمذي أن المؤمن (اى الولى) ينظر بنور الله ، وقال الامام الرازى : إذا صار ذلك النور بصرا له رأى القريب والبعيد ، وقال الشاه محمد إسماعيل الدهلوى : إن قلوب الأولياء عند تنزهها عن صدأ الغفلة تصير مرايا لحظيرة القدس ، وينعكس فيها الأمور التي تحدث في المستقبل، والشاه ولى الله الدهلوى أبرز عن نفسه بأنه عبر التجليات واحدة بعد واحدة حتى بلغ إلى مقام أحاط

١ـ محمد اسماعيل الدهلوى : صراط مستقيم (ط : لاهور) ص : ٣٧

٢ـ محمد انور شاه الكشميرى: فيض البارى(مطبعة حجازى، قاهرة) ١/ ١٨٢

فيه كمالات كل الموجودات إحاطة تامة ـ

إذا كانت هذه سعة مشاهدة الأولياء الكاملين ، فما هي سعة مشاهدة الأنبياء خاصة لسيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعليهم وسلم ؟

مجال مشاهدته صلى الله تعالى عليه وسلم

إن الله تعالى منح حبيبه ﷺ قوى عظيمة باهرة بحيث تعجز العقول عن إدراكها والوصول إلى كنهها ، منها قوة مشاهدته ﷺ ، قال سيدنا حسان بن ثابت ﷺ :

له همم لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها
على البر كان البر أندى من البحر[1]

إن الحكمة الطبيعية في هذا الزمان بلغت إلى أن ترى الحركات والسكنات وتسمع الأصوات من أنحاء العالم بوسيلة التلفزيون، أليس الله تعالى بقادر على أن يكشف لنبيه ﷺ خلائقه من تحت الثرى إلى العرش ؟ والذين يستدلون بقوله تعالى: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ على إمكان كذبه تعالى (نعوذ بالله تعالى من هذه العقيدة) كيف ينسون هذه الآية الكريمة في هذا المبحث ؟

نذكر بعض الأحاديث في ما سيأتي : قال النبي ﷺ :

١ـ على الاتشهري ابن عثمان : مختصر الدسوق على مختصر المعاني (ط : قم ، ايران) ص : ٢٩٩

١- إنى لأراكم من وراء كما أراكم ، رواه أنس بن مالك ﷺ(١)

٢- هل ترون قبلتى ههنا ؟ فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم، إنى لأراكم من وراء ظهرى ، رواه أبو هريرة ﷺ(٢)

تبين من هذا الحديث أن النبى ﷺ لم يكن يرى أجساد المصلين خلفه فقط بل كان يلاحظ كيفيات قلوبهم أيضا ، فإن الخشوع كيفية القلب

٣- إنكم ترون أنه يخفى على شئ مما تصنعون ؟ والله إنى أرى من خلفى كما أرى من بين يدى ، رواه أحمد(٣)

٤- عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يرى فى الظلماء كما كان يرى فى الضوء(٤)

٥- قال النبى ﷺ :

إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن(٥)

٦- أشرف النبى ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟

١- محمد بن اسماعيل البخارى ، الامام : الجامع الصحيح (ط : دهلى) ١/ ٥٩

٢- أيضا : ١/ ٥٩

٣- محمد بن عبد الله الخطيب ، الامام : مشكوة المصابيح (ط: كراتشي)ص:٧٧

٤- عبد الرحمان بن ابى بكر السيوطى : الخصائص الكبرى (ط : فيصل آباد) الامام : ١/ ٦١

٥- محمد بن اسماعيل البخارى ، الامام : الجامع الصحيح (ط : دهلى) ١/ ١٧٩

إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر[1]

٧ـ قال النبي ﷺ بعد ما صلى صلوة الكسوف وحمدالله واثنى عليه :
ما من شيءٍ لم اكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار[2]

٨ـ قال رسول الله ﷺ يوما : يا عائش هذا جبرئيل يقرئك السلام (قالت عائشة) فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى ، تريد رسول الله ﷺ[3]

٩ـ قال النبي ﷺ : فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والأرض ، رواه عبد الرحمن بن عائش رضي الله تعالى عنه[4]

١٠ـ وفي رواية معاذ بن جبل رضي الله عنه قال النبي ﷺ :
فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت[5]

١١ـ عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة ، رواه ابو بكر

١ـ محمد بن اسماعيل البخاري ، الامام : الجامع الصحيح (ط : دهلي) ١/٢٥٢

٢ـ ايضا : ١/١٨ — ١/١٢٦

٣ـ ايضا : ١/٥٣٢

٤ـ محمد بن عبدالله الخطيب ، الامام : مشكوة المصابيح (ط: كراتشي) ص: ٧٠

٥ـ ايضا : ص : ٧٢

(ب) احمد بن حنبل ، الامام : مسند الامام احمد (المكتب الاسلامي) بيروت) ٥/٢٤٣

الصديق ﷺ(١)

١٢- عرضت على أمتي البارحة لدى هذه الحجرة حتى لأنا أعرف بالرجل منهم من أحدكم بصاحبه صوروا لي في الطين (طب – والضياء – عن حذيفة بن اسيد)(٢)

١٣- عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه(٣)

قوله ﷺ "فأنا أنظر إليها" جملة اسمية خبرها فعل مضارع، ومثل هذه الجملة يدل على الدوام التجددي، كما هو مبين في علم المعاني، فمعنى الحديث أن النبي ﷺ كان ينظر إلى الدنيا وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة على سبيل الدوام التجددي، فإذا كان هذا مجال نظره ﷺ في حياة الدنيا فما مجال سعة نظره ﷺ في عالم الآخرة؟ رغم أن الدار الآخرة أوسع من الدنيا بكثير.

قال حجة الاسلام الامام الغزالي بعد ما نقل حديثا:

فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم(٤)

١- احمد بن حنبل، الامام: مسند الامام احمد، ٤/

٢- على المتقي البرهانفوري، الامام: كنزالعمال (مكتبة التراث الاسلامي، حلب) ١١/٤٠٨

٣- ايضا: ١١/٣٧٨

٤- محمد بن محمد الغزالي، الامام: احياء علوم الدين (دار المعرفة، بيروت) ٤/٤٩٧

قال العلامة الزرقانى فى شرح الحديث المذكور سابقا :

(إن الله قد رفع) اى أظهر وكشف (لى الدنيا) بحيث أحطت بجميع ما فيها (فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه) إشارة إلى أنه نظر حقيقة ، دفع به احتمال أنه أريد بالنظر العلم[١]

إن قلت : إن سند هذا الحديث ضعيف ، كما أشار إليه فى كنز العمال (٦/٩٥) والحديث الضعيف لا يثبت الأحكام المتعلقة بالأعمال، فكيف تثبت به عقيدة كون النبى ﷺ ناظرا إلى الخلق ؟

قلت: هذا الحديث مروى عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ، أخرجه ثلاثة من الأئمة المحدثين (١) الامام نعيم بن حماد (م٢٢٨ھ) (٢) الامام الطبرانى (م٣٦٠ھ) (٣) الامام أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهانى (م٤٣٠ھ) إنما أشير فى كنز العمال إلى الضعف بعد إخراج رواية الامام نعيم بن حماد فقط ، وعند ما خرج الروايتين الأخريين لم يحكم عليهما بالضعف ، وهذا رمزه :

(طب ، حل — عن ابن عمر)[٢]

يعنى أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ، وابو نعيم فى حلية الأولياء[٣] ـ

ملخص الكلام أن هذا الحديث مروى بثلاث طرق ، أحدها

١ـ محمد بن عبدالباقى الزرقانى، العلامة: زرقانى على المواهب (الطبع القديم ٧/٢٣٤

٢ـ على المتقى ، الامام : كنز العمال (طبع حلب) ١١/٤٢٠

٣ـ احمد بن عبدالله الاصبهانى، الامام : حلية الاولياء (دار الكتاب العربى، بيروت) ٦/١٠١

ضعيف ، والباقيان خاليان عن الضعف ، وقد عرف فى أصول الحديث أن الحديث الضعيف يتقوى بتعدد الطرق ، حتى يترق إلى درجة الحسن لغيره ، فلم يبق هذا الحديث باعتبار السند الأول أيضا ضعيفا بل صار حسنا لغيره ـ

ولو سلمنا أن الحديث ضعيف لايضرنا أيضا ، فإن هذا الحديث مؤيد لعقيدةالحاظر والناظر، وليس مناطالها، وستتلو عليك من الآيات والأحاديث الدالة على هذا المعتقد فى ما سيأتى إن شاء الله تعالى ـ

١٤ـ أخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر دبيب النملة على الصفا فى الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ[1]

إن الله تعالى تجلى للجبل بتجلى صفاتى، ورآه موسى عليه السلام، فتحدد بصره إلى أن كان يبصر دبيب النملة على الصفا فى الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ ، فما ظنك بحدة بصر النبي ﷺ؟ حيث رأى ربه ليلة المعراج ، وقد قال تعالى فى حقه ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾

مشاهدة الأعمال

قال الامام أبو عبدالله القرطبي (م٦٧١هـ) فى التذكرة فى "باب ما جاء فى شهادة النبي ﷺ على أمته" :

إبن المبارك، أخبرنا رجل من الأنصار، عن المنهال بن عمرو ، حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : ليس من

١ـ محمود الآلوسي، العلامة السيد : روح المعاني (ط : بيروت) ٩/٥٢

يوم الا تعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم، يقول الله تبارك وتعالى:
﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾[1] (سورة النساء ، الآية : ٤١)

قال العلامة ابن كثير بعد إيراد هذه الرواية :

فانه أثر وفيه إنقطاع فإن فيه رجلا مبهما لم يسم وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه وقد قبله القرطبي فقال بعد إيراده قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة قال ولا تعارض فانه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام[2]

قال النبي ﷺ :

إنكم تعرضون على بأسمائكم وسيماكم فأحسنوا الصلاة على
(عبدالرزاق عن مجاهد) مرسلا صحيح[3]

وقال ﷺ :

حياتي خيرلكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت

١ـ محمد بن احمد القرطبي ، الامام : التذكرة (المكتبة التوفيقية) ص : ٣٣٩
(ب) ايضا : الجامع لاحكام القرآن (ط: بيروت) ٥/١٩٨
٢ـ اسماعيل بن كثير القرشي، العلامة: تفسير ابن كثير (عيسى البابي ، مصر) ١/٤٩٩
٣ـ علي المتقي ، الامام : كنز العمال (ط : حلب) ١/٤٩٨

وفاتي خيرا لكم، تعرض على أعمالكم، فإن رأيت خيرا حمدت الله تعالى وإن رأيت شرا استغفرت لكم (ابن سعد عن بكر بن عبدالله مرسلا(١)

ومن مشاهدته ﷺ لأعمال أمته، سماعه ﷺ صلوةالمصلين عليه، فقد ورد في رواية الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

ليس من عبد يصلي علي إلا بلغني صوته حيث كان ـ قلنا : وبعد وفاتك ؟ قال : وبعد وفاتي ـ ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء(٢)

أخرج الامام العلامة السيد محمد بن سليمان الجزولي رحمه الله تعالى في "فضل الصلاة على النبي ﷺ" من دلائل الخيرات، أن النبي ﷺ قال :

أسمع صلاة أهل محبتي وأعرفهم وتعرض على صلاة غيرهم عرضا ـ

قال الشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوي باللغة الفارسية وهذا تعريب عبارته :

مع كثرة مذاهب علماء الأمة وتوفر إختلافاتهم لم يخالف فرد واحد في أن النبي ﷺ دائم وباق بالحياة الحقيقية من

١ـ على المتقي ، الامام : ١١/٤٠٧

٢ـ ابن القيم الجوزية ، العلامة : جلاء الافهام (ط : فيصل آباد) ص : ٦٣

غير شائبة مجاز وتوهم تاويل ، وشاهد على أعمال أمته[1] .

أما ما ورد في حديث ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصيحابي ، فيقول : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، رواه البخارى فلا يصلح دليلا على نفي علمه ﷺ بأحوالهم ، إذ قد ورد في صحيح مسلم في باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته : فيقال أما شعرت ما عملوا بعدك ؟[2] فان الهمزة للاستفهام الانكارى قد دخلت على ما النافية فتفيد ثبوت الشعور والعلم ، والواقعة واحدة فلابد من تقدير الهمزة الاستفهامية قبل قوله ﷺ : إنك لا تدرى، للتوفيق بين الأحاديث ، نعم لا يكون له ﷺ التفات إلى أحوالهم لغلبة الرحمة فيقول بعد التنبيه : سحقا سحقا .

١ـ عبدالحق المحدث الدهلوى ، المكتوبات على حاشية اخبار الاخيار الشيخ : (ط : سكهر) ص : ١٥٥

٢ـ مسلم بن الحجاج القشيرى : صحيح مسلم /

أن الحبيب في رحاب الحبيب حاضر وشاهد على أعمال الأمّة

قد وقع في كلمات أئمة المسلمين إطلاق الحاضر والناظر في شأن النبي ﷺ، وليس معناه أنه ﷺ موجود بمرأى من كل شخص باعتبار جسمه الشخصي والبشرية المطهرة.

بل المقصود أنه ﷺ في المكانة العليا من حضرة الله تعالى ومع ذلك يلاحظ جميع الكائنات مثل كفه، ويمكن أن يتجلى ﷺ في آن واحد في أمكنة متعددة، وأن الأولياء الكبار رحمهم الله تعالى يشاهدون جماله المقدس في منامهم ويقظتهم، والنبي ﷺ يشرفهم ويسعدهم بنظر الرحمة والعناية، فمعنى كونه ﷺ حاظرا أنه حاضر في حرم الله المحترم، وبمرأى من غلمانه الأصدقاء، ومعنى كونه ﷺ ناظرا أنه يشاهد أعمال أمته.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذه العقيدة ظنية ومن زمرة الفضائل، لا يجب لاثباتها الدلائل القطعية، بل الدلائل الظنية ثبوتا ودلالة ايضا مفيدة للمرام.

قال العلامة السعد التفتازاني في مبحث تفضيل الرسل:

ولاخفاء في أن هذه المسألة ظنية يكتفي فيها بالأدلة الظنية[1]

١- مسعود بن عمر التفتازاني: شرح العقائد (طبع لكنؤ) ص: ١٢٦

قال العلامة عبدالعزيز الفرهاروى فى شرحه :

حاصل الجواب أن المسائل الاعتقادية قسمان ، أحدهما ما يكون المطلوب فيه اليقين ، كوحدة الواجب وصدق النبي ﷺ وثانيها ما يكتفى فيها بالظن كهذه المسألة والاكتفاء بالدليل الظنى انما لايجوز فى الأول بخلاف الثانى[1]

نريد أن نبحث حول هذه المسألة فى ضوء القرآن والحديث وأقوال السلف والخلف ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه إنك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير .

الآيات الكريمة

١ـ قال الله تعالى : يا أيها النبي إنا ارسلناك شاهدا[2]

قال العلامة أبو السعود (م٩٥١هـ) فى تفسير هذه الآية الكريمة :

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ﴾ على من بعثت اليهم تراقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة أداء مقبولا فيما لهم وما عليهم[3]

هكذا فسر الآية الكريمة العلامة سليمان الجمل فى الفتوحات

١ـ عبدالعزيز الفرهاروى : النبراس (ط : سرگودها) ص : ٥٩٨

٢ـ سورة الاحزاب ٤٥/٣٣

٣ـ محمد بن محمد العمادى ، ابوالسعود : تفسير ابوالسعود (احياء التراث العربى ، بيروت) ١٠٧/٧

الاهية (٣/٤٤٢) والسيد محمود الألوسي ، في روح المعاني (٢٢/٤٥)

قال الامام محي السنة علاء الدين الخازن رحمه الله تعالى (م ٧٤١هـ):

شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة(١)

ولما كانت دعوة النبي ﷺ إلى الاسلام شاملة لكل مؤمن وكافر فيدخل كلهم في امة الدعوة ، ولا يدخل في أمة الاجابة الا من سعد بقبول دعوة الاسلام لا غير، فقول المفسرين : "على من بعثت اليهم" وقولهم : "على الخلق كلهم" يدل على أن النبي ﷺ يشاهد أحوال المؤمنين والكافرين ، ولهذا يشهد ﷺ للمؤمنين وعلى الكافرين .

قال العلامة الألوسي البغدادي :

وأشار بعض السادات الصوفية الى أن الله تعالى أطلعه ﷺ على أعمال العباد ، فنظر اليها ، فلذلك أطلق عليه عليه الصلوة والسلام شاهد . قال جلال الدين الرومي قدس سره في مثنويه :

در نظر بودش مقامات العباد
زين سبب نامش خدا شاهد نهاد(٢)

قال الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية :

وقوله تعالى : شاهدا يحتمل وجوها (احدها) انه شاهد على الخلق يوم القيامة ، كما قال تعالى ﴿ ويكون الرسول عليكم

١- على بن محمد البغدادي ، الخازن : تفسير لباب التأويل (مصطفى البابي، مصر) ٥/٢٦٦

٢- محمود الالوسي، العلامة السيد : روح المعاني ٢٢/٤٥

شهيدا ﴾ وعلى هذا فالنبي بعث شاهدا أي متحملا للشهادة ويكون فى الآخرة شهيدا أى مؤديا لما تحمله[1]

٢. قال الله تعالى: ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[2]

قال العلامة إسماعيل الحقى فى تفسير هذه الآية ، فى روح البيان واللفظ لـه ، وبعينه فسر الآية الكريمة سراج الهند الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى باللغة الفارسية :

ومعنى شهادة الرسول عليهم إطلاعه على رتبة كل متدين بدينه وحقيقته التى هو عليها من دينه وحجابه الذى هو محجوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحقيقة إيمانهم وأعمالهم وحسناتهم وسيئاتهم واخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق[3] ....

قال العلامة ابن الحاج رحمه الله تعالى ثم العلامة القسطلانى :

لا فرق بين موته وحياته فى مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلى لاخفاء به[4]

١ـ محمد بن عمر بن حسين الرازى، الامام: التفسير الكبير (المطبعة البهية ، مصر) ٢١٦/٣٥

٢ـ سورة البقرة ١٤٣/٢

٣ـ اسمٰعيل الحقي ، العلامة : روح البيان (ط : بيروت) ٢٤٨/١

٤ـ ابن الحاج : الامام : المدخل (دار الكتاب العربي ، بيروت) ٢٥٢/١

(ب) احمد بن محمد القسطلانى ، الامام : المواهب اللدنية مع الزرقاني (ط : مصر ١٢٩٢هـ) ٣٤٨/٨

٣۔ قال تعالى : ﴿وجئنابك على هؤلاء شهيدا﴾[1]

سمى الله تعالى نبيه ﷺ فى هذه الآيات شاهدا وشهيدا، ومصدرهما الشهود والشهادة ۔

فعلينا ان نراجع الى ما قال ائمة اللغة والدين فى بيان معناهما قال الامام الراغب الأصفهانى (م٥٠٢ھ) :

> ألشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة ۔۔۔۔۔ والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة او بصر ۔۔۔۔۔ وأما الشهيد فقد يقال للشاهد والمشاهد للشئ ۔۔۔۔۔ وكذا قوله ﴿فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾[2]

قال الامام الرازى فى تفسير قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم امة وسطا﴾ الآية :

> ألقول الثانى أن أداء هذه الشهادة انما يكون فى الدنيا وتقريره أن الشهادة والمشاهدة والشهود هو الرؤية يقال شاهدت كذا ، اذا رأيته وأبصرته ، ولما كان بين الابصار بالعين وبين المعرفة بالقلب مناسبة شديدة لاجرم تسمى المعرفة التى فى القلب مشاهدة وشهودا[3]

قال الامام القرطبي (م٦٧١ھ) :

> فأما الشهادة فصفة سمى حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد،

١۔ سورة النساء ٤/ ٤١

٢۔ حسين بن محمد الراغب الاصفهانى: المفردات (نور محمد كراتشى) ص:٢٦٧-٢٦٩

٣۔ محمد بن عمر الرازى : التفسير الكبير ٤/ ١٤-١١٣

وللشهادة ثلاثة شروط لاتتم إلا بتامها وهي : الحضور والوعي والأداء(١)

قال الامام أبوالقاسم القشيري رحمه الله تعالى (م٤٦٥ھ) :

ومعنى الشاهد الحاضر ، فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك(٢)

قد ثبت بنص القرآن الكريم أن النبي ﷺ شاهد ، ومعنى الشاهد هو الحاضر كما صرح به الامام القشيري ، ومعنى الشهادة هوالحضور مع المشاهدة ، سواء كانت المشاهدة بالبصر او البصيرة كما قال الامام الأصفهاني ، فتبين أن الآيات القرآنية تدل على أن الله تعالى ارسل سيدنا ونبينا محمدا ﷺ شاهدا وناظرا إلى أعمال امته ، فمن لم يصدق بهذه العقيدة لقصور علمه ونقصان فهمه فهو مخير ، ولكن لامساغ له قطعا إلى أن يحكم عليها بالشرك والكفر .

قد سبق نصوص أئمة التفسير مثل الامام الرازي والخازن أن النبي ﷺ يكون شاهدا على الخلق يوم القيامة، وقال الامام أبوالسعود : على من بعثت إليهم ، وليس مآله إلا ما قال الامام الرازي ، إذ قد ورد في الحديث : أرسلت الى الخلق"(٣)

١- محمد بن أحمد القرطبي ، الامام : التذكرة (المكتبة التوفيقية)ص : ١٨٣

٢- عبدالكريم بن هوازن ، الامام : الرسالة القشيرية (مصطفى البابي ، مصر) ص : ٤٧

٣- مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم (ط : كراتشي) ١٩٩/١

إن قيل من قبل المخالف : أن لفظ الشاهد والشهيد قد ورد فى حق غير النبي ﷺ ايضا ، فهل تزعمون أنه شاهد وناظر مثل النبي ﷺ قلنا : كلا ، لأن كل شاهد يشهد وينظر إلى ما يقع فى دائرة شهادته ، ونبينا ﷺ شاهد على الخلق وجميع امته ، وليس أحد من الشاهدين يشهد على الأمة قاطبة ، فكيف يكون مثيلا للنبي ﷺ ؟

٥ـ قال تعالى : ﴿ألنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[1]

قال العلامة الألوسي فى تفسير هذه الآية :

﴿النبي أولى﴾أى أحق وأقرب اليهم﴿من أنفسهم﴾[2]

قال الشيخ المحقق عبدالحق المحدث الدهلوى مبرزا معنى هذه الآية باللغة الفارسية ، نحمله باللغة العربية مايلى :

ألنبى أقرب بالمؤمنين من ذواتهم[3]

قال الامام الأول للديابنة ، محمد قاسم النانوتوى (نقلنا قوله من اللغه الأردية الى العربية) :

﴿ألنبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ معناه أن النبي أقرب إلى المؤمنين من أرواحهم ، اعنى أن أرواحهم ليست قريبة اليهم قدر قرب النبي اليهم ، فان المعنى الأصلي للأولى

١ـ سورة الاحزاب ٣٣/٦

٢ـ محمود الالوسي ، العلامة : روح المعانى ٢١/١٥١

٣ـ عبدالحق المحدث الدهلوى ، مدارج النبوة (ط : سكهر) ٨١/١

هو الأقرب(١)

هذا تأيد صريح اى تأيد لمعتقد أهل السنة والجماعة :

أما أن هذا القرب كان مختصا بالصحابة رضى الله تعالى عنهم او هو شامل لجميع المؤمنين الى يوم القيامة ؟ فرواية الامام البخارى مشير الى الاحتمال الثانى ، وهى هذه :

ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة ، إقرؤا ان شئتم ﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾(٢)

٦ـ قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين ﴾(٣)

وقد قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾(٤)

فبالنظر إلى هذه الآيات يجب علينا التصديق بأن سيدنا ونبينا محمدا ﷺ رحمة لخلائق الله تعالى التى خرجت عن الحصر والعد ،

ولابد لفهم هذه العلاقة من ملاحظة النصوص التالية .

قال العلامة الألوسى فى تفسير هذه الآية المباركة :

وكونه ﷺ رحمة للجميع باعتبار أنه عليه الصلاة والسلام واسطة الفيض الالهى على الممكنات على حسب القوابل ، ولذا كان نوره ﷺ أول المخلوقات ، ففى الخبر أول ما

١ـ محمد قاسم النانوتوى : آب حيات (مجتبائى ، دهلى) ص : ٧٣

(ب) ايضا : تحذير الناس (ط : ديوبند) ص : ١٠

٢ـ محمد بن اسماعيل البخارى، الامام : صحيح البخارى (مجتبائى، دهلى) ٢/٧٠٥

٣ـ سورة الانبياء ٢١/١٠٧

٤ـ سورة المدثر ٧٤/٣١

خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر ، وجاء "الله تعالى المعطي وأنا القاسم" وللصوفية قدست أسرارهم في هذا الفصل كلام فوق ذلك ـ

وفي مفتاح السعادة لابن القيم أنه لو لا النبوات لم يكن في العالم علم نافع البتة ولا عمل صالح ولا صلاح في معيشة ولا قوام لمملكة ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارية التي يعدو بعضها على بعض ، وكل خير في العالم فمن آثار النبوة وكل شر وقع في العالم او سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة ودروسها فالعالم جسد روحه النبوة ولا قيام للجسد بدون روحه(١)

قال العلامة اسماعيل الحقي ناقلا عن تفسير عرائس البيان :

قال في عرائس البقل : أيها الفهيم إن الله أخبرنا أن نور محمد عليه السلام أول ما خلقه ثم خلق جميع الخلائق من العرش الى الثرى من بعض نوره فأرسله إلى الوجود والشهود رحمة لكل موجود إذ الجميع صدر منه فكونه كون الخلق وكونه سبب وجود الخلق وسبب رحمة الله على جميع الخلائق فهو رحمة كافية وافهم أن جميع الخلائق صورة مخلوقة مطروحة في فضاء القدرة بلا روح حقيقة منتظرة لقدوم محمد عليه السلام فاذا قدم إلى العالم صار العالم حيا بوجوده لانه روح جميع الخلائق(٢)

١- محمود الآلوسي، العلامة السيد : روح المعاني ١٧/١٠٥

٢- اسماعيل الحقي ، العلامة : روح البيان (ط : بيروت) ٥/٥٢٨

(ب) روزبهان ، العلامة الشيخ : عرائس البيان (ط : لكنو) ٢/٥٢

الأحاديث المباركة

الحديث الأول

أخرج الامام البخارى عن عبدالله بن مسعود أن النبى ﷺ قال: فاذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله الصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين:

فانكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح فى السماء والأرض[1]

فلنتأمل أن المصلى سواء كان فى الشرق او الغرب، وكذا فى البر أو البحر، فى الأرض أو الفضاء، أينما صلى فهو مأمور بأن يقدم تحيات العبادات كلها الى حضرة العلى الأعلى جل شانه، ثم يسلم على النبي المختار ﷺ بصيغة الخطاب والنداء، ولاينبغى أن يظن أن السلام لايصل الى حضرة النبي الكريم ﷺ، وانما نصلى على صورته المتخيلة، فان سلامنا يصيب كل عبد لله صالح فى السماء والأرض، كما رواه الامام البخارى، فيبلغ نبينا وحبيبنا ﷺ بالطريق الأولى۔

قال الامام العلامة بدرالدين محمود العيني رحمه الله تعالى: فان قلت: ما الحكمة فى العدول عن الغيبة الى الخطاب فى قوله عليك ايها النبي، مع أن لفظ الغيبة هوالذى يقتضيه السياق، قلت: أجاب الطيبي بما محصله: نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذى علمه للصحابة۔

۱۔ محمد بن اسماعيل البخارى، الامام: صحيح البخارى (رشيديه، دهلى) ۱/۱۱۵

والجواب الثاني الذي نقله العلامة بدرالدين العيني والعلامة ابن حجر العسقلاني وغيرهما من شراح الحديث هو هذا :

ويحتمل على طريقة أهل العرفان أن المصلين لما إستفتحوا باب الملكوت بالتحيات ، أذن لهم بالدخول في حرم الحي الذي لا يموت ، فقرت أعينهم بالمناجاة ، فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة متابعته ، فاذا التفتوا فاذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر، فأقبلوا قائلين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته[1]

قال العلامة محمد عبدالحي اللكنوي :

قال والدي العلامة واستاذي القمقام (العلامة عبدالحليم اللكنوي) أدخله الله في دارالسلام في رسالته "نورالايمان بزيارة آثار حبيب الرحمن" أن الحقيقة المحمدية كأنها سارية في كل وجود وحاضرة في باطن كل عبد ، وانكشاف هذه الحالة على الوجه الأتم في حالة الصلوة ، فحصل محل الخطاب[2]

١- محمود بن أحمد العيني ، بدرالدين : عمدة القاري (ط : بيروت) ٦/ ١١١

(ب) احمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري (ط : بيروت) ٢/ ٢٥٠

(ج) محمد بن عبدالباقي الزرقاني : شرح المواهب اللدنية (ط: مصر ١٢٩٢ هـ) ٧/ ٧٨-٣٧٧

(د) ايضا : زرقاني على الموطا (ط مصر) ١/ ١٩٠

(ه) محمد عبدالحي اللكنوي العلامة : السعاية (ط لاهور) ٢/ ٢٢٧

٢- ايضا السعاية ٢/ ٢٢٨

و الحقيقة أن هذه المسئلة تتعلق بالعرفان وصفاء الباطن لا يسلمها من لا علاقة له بالمعرفة والكشف ومن هو فاقد البصيرة ، وليس خطابنا مصروفا الى أمثال هؤلاء ، بل إنما نخاطب من يعرف بالمقامات العلية الروحانية للأنبياء عليهم الصلوة والسلام والأولياء رحمهم الله تعالى .

قال الشيخ المحقق ، المحدث الكبير ، الشاه عبدالحق المحدث الدهلوی ، باللغة الفارسية ، وهذه ترجمة كلامه :

النبي ﷺ يكون دائما فى جميع الأحوال والأوقات مطمح نظر المؤمنين وقرة عين العابدين ، خاصة فى حال العبادة وآخرها ، فان وجود النورانية والانكشاف يكون أتم وأقوى فى هذه الأحوال .

قال بعض العارفين : إن هذا الخطاب مبنى على أن الحقيقة المحمدية سارية فى ذرات الموجودات وأفراد الممكنات، فالنبي ﷺ موجود وحاضر فى ذوات المصلين، فينبغي للمصلى أن يتنبه على هذه الحقيقة ولا يغفل عن حضور النبي ﷺ ؛ ليستفيض من أنوار القرب وأسرار المعرفة[1]

ومن العجب العجاب أن امام غير المقلدين فى شبه القارة الهندية

١- عبدالحق المحدث الدهلوی ، اشعة اللمعات (ط : سكهر) ١/٤٠١

(ب) نور الحق المحدث الدهلوی : تيسير القاری شرح صحيح البخاری (ط : لكنؤ) ١/٧٣-١٧٢

الباكستانية ، النواب صديق حسن خان البوفالى قد سرد هذه العبارة بعينها فى كتابه "مسك الختام شرح بلوغ المرام" (٢٤٤/١) وفى هذا المقام نتوقف لسويعة، ونسأل غيرالمقلدين الذين يكفرون ويشركون اهل السنة والجماعة بسبب عقيدة الحاضر والناظر، هل تعدون النواب البوفالى فى عداد المشركين ام لا ؟ فان أبيتم فما الفرق بينه وبين أهل السنة بعد هذا النص الصريح ؟

إن قيل : إن الخطاب الواقع فى التشهد لا يصلح للاستناد ، فانه كان مختصا بحياة رسول الله ﷺ، أما بعد التحاقه ﷺ إلى جوار رحمةالله تعالى فكانت الصحابة يقولون السلام على النبى ، كما هو مروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قلنا : إن العلامة العلى القارى رحمه الله تعالى أجاب عن هذا الايراد ، وهذا نصه :

> وأما قول ابن مسعود كنا نقول فى حياة رسول ﷺ السلام عليك أيها النبي ، فلما قبض قلنا : السلام على النبي، فهو رواية أبي عوانة ، ورواية البخارى الأصح منها بينت أن ذلك ليس من قول ابن مسعود ، بل من فهم الراوى عنه ، ولفظها فلما قبض قلنا السلام يعنى على النبى (لفظ يعنى دال على أنه تفسير من الراوى على حسب فهمه) فقوله قلنا : السلام يحتمل أنه أراد به إستمررنا به على ما كنا عليه فى حياته ويحتمل أنه أراد أعرضنا عن الخطاب ، وإذا احتمل اللفظ لم يبق فيه دلالة ، كذا ذكره ابن حجر[1]

قال العلامة محمد عبدالحي اللكنوى ناقلا عن شرح القسطلانى :

١- على بن سلطان محمد القارى ، العلامة : المرقاة (ط : ملتان) ٣٣٢/٢

ان هذه الرواية مخالفة للروايات الأخر ، فانها ليس فيها هذا الحرف ، على أن هذا التغيير ليس من تعليم النبى ﷺ حيث قال ابن مسعود قلنا : السلام على[1]

وبهذا السبب اختار جمهور الصحابة والائمة الاربع رضى الله تعالى عنهم ذلك التشهد الذى وقع فيه "السلام عليك أيها النبي".

وقد يقال : انا لا نسلم على النبى ﷺ فى التشهد مخاطبا اياه ، بل انما نقول هذه الكلمات حكاية عن واقعة المعراج ؛ فلا يلزمنا اعتقاد كونه ﷺ حاضرا وناظرا .

أجيب على هذا الاشكال بأجوبة :

١ـ كون السلام بصيغة الخطاب فى التشهد حكاية عن واقعة المعراج مبنى على رواية غير معتمدة ، قال الشيخ أنور شاه الكشميرى أحد العلماء الديوبندية : لم أجد سند هذه الرواية[2]

٢ـ لما كان التشهد مبنيا على محض الحكاية يلزم أن يكون قولنا ألتحيات لله والصلوات والطيبات ، ايضا على طريق الحكاية لا على سبيل الاهداء ، فمن أعرض عن انشاء السلام على النبى ﷺ لزمه الاعراض عن اهداء العبادات كلها الى حضرة الله جل شانه .

٣ـ قد سبق آنفا فى حديث البخارى: فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح فى السماء والأرض ؛ فلو كان التشهد والسلام

١ـ محمد عبدالحى اللكنوى ، العلامة : السعاية ٢/٢٢٨

٢ـ محمد انور شاه الكشميرى : عرف الشذى (ط : ديوبند) ص : ١٣٩

الواقع فيه مبنيا على الحكاية لم يكن لاصابة السلام كل عبد صالح معنى ، فلابد لكل مصل أن يقدم هدية التسليم الى رسول الله ﷺ وعباد الله الصالحين ، وهذا هو معنى انشاء السلام -

٤- صرح أئمتنا الحنفية أن المصلى يقصد بألفاظ التشهد الانشاء لا الحكاية :

قال فى تنوير الأبصار وشرحه الدر المختار :

(ويقصد بألفاظ التشهد) معانيها مرادة له على وجه (الانشاء) كأنه يحيى الله تعالى ويسلم على نبيه وعلى نفسه وأوليائه (لا الاخبار) عن ذلك (الى ان قال) لاحكاية سلام الله تعالى[1]

الحديث الثانى

أخرج الامام البخارى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، انه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان :

ما كنت تقول فى هذا الرجل لمحمد[2]

وجه الاستدلال أن "هذا" اسم الاشارة وأسماء الاشارة انما تستعمل للاشارة المحسوسة -

قال ابن الحاجب :

أسماء الاشارة ما وضع لمشار اليه

قال الشارح الجامى فى شرحه :

١- علاء الدين الحصكفى ، الامام : الدر المختار (مجتبائى ، دهلى) ١/٧٧

٢- محمد بن اسماعيل البخارى ، الامام : صحيح البخارى (ط : دهلى) ١/٨٤-٨٣

أي لمعنى مشار اليه اشارة حسية بالجوارح والأعضاء
لأن الاشارة عند اطلاقها حقيقة في الاشارة الحسية ـ ـ ـ ـ
ومثل ذلكم الله ربكم مما ليست الاشارة اليه حسية محمول
على التجوز[1]

وقال ابن الحاجب: ويقال ذا للقريب ـ ومما هو مسلم في اصول الفقه والمنطق أن المجاز ساقط عن درجة الاعتبار ما أمكن العمل بالحقيقة ـ

فتبين بهذا الحديث أن النبي ﷺ يكون محسوسا لكل مقبور وقريبا منه ، فان هذا هو المعنى الحقيقي لاسم الاشارة ، ولا يحتاج لاثبات الحقيقة الى قرينة ، فمن قال : انه اشارة الى معلوم ذهني ، فعليه ابراز قرينة صارفة عن ارادة الحقيقة ، ودونه خرط القتاد ـ

والمقصد أن آلاف رجال ونسوة يموتون في العالم ويدفنون في قبورهم في ساعة واحدة ، وكل منهم يبصر النبي ﷺ ، ويسأل عنه ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال رجل من اهل العلم عند مذاكرة هذا الحديث : ان الأغطية تكشف عن الميت ، حتى تحصل له رؤية النبي ﷺ، قلت له : إذا كان كشف الغطاء عن واحد من أفراد الأمة واقعا عمليا ، أو ليس من الممكن أن يرفع الله تعالى الحجاب عن سيد الخلق ﷺ حتى يرى العالم مثل كفه ؟

قال الامام العلامة الشيخ علي نور الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية (م٤٤٠١هـ) :

١ـ عبدالرحمن الجامي ، العلامة : شرح جامي (مطبع يوسفي، لكنئو) ص:٢١١

ان الملكين يقولان للمقبور ما تقول فى هذا الرجل ؟
واسم الاشارة لا يشاربه الا لحاضر ، هذا هو الاصل فى حقيقة معناه ، وأما قول بعض العلماء أنه يمكن أن يكون حاضرا ذهنا فلا سبيل اليه هنا ، لأنا نقول له : ما الذى دعا الى التجوز والعدول عن الحقيقة الى ذلك فوجب أن يكون حاضرا بجسده الشريف (أى شخصه الكريم) بلا كلام[1]

من حسن السعادة رؤية جماله
صلى الله تعالى عليه وسلم

أخرج الائمة ، البخارى ومسلم وأبو داؤد عن ابى هريرة قال :
قال رسول الله ﷺ :
من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى[2]

هذا الحديث يدل على ان من رآه ﷺ فى النوم فسيراه فى اليقظة، وهل هذا على عمومه فى حياته وبعد مماته أوكان هذا فى حياته؟ وهل ذلك لكل من رآه مطلقا أو خاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه السلام؟ اللفظ يعطى العموم ، ومن يدعى الخصوص فيه بغير مخصص منه ﷺ فتعسف ، هذا ما قاله الامام أبو محمد بن ابى جمرة ، قال العلامة جلال الدين السيوطى بعد ما نقله :

١- يوسف بن اسماعيل النبهانى ، الامام : جواهر البحار (ط : مصر) ٢/١١٦

٢- محمد بن اسماعيل البخارى، الامام : صحيح البخارى (مجتبائى، دهلى) ٢/١٠٣٥

مزاده وقوع الرؤية الموعود بها فى اليقظة على الرؤية فى المنام ولو مرة واحدة ، تحقيقا لوعده الشريف الذى لا يخلف وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبيل الموت عند الاحتضار ، فلا يخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده ، وأما غيرهم فتحصل لهم الرؤية فى طول حياتهم اما كثيرا واما قليلا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم على السنة — والاخلال بالسنة مانع كبير[1]

أخرج مسلم فى صحيحه عن مطرف، قال : قال عمران بن حصين قد كان يسلم على حتى اكتويت ، فترك ثم تركت الكى فعاد -

قال ابن الأثير فى النهاية :

يعنى أن الملائكة كانت تسلم عليه فلما اكتوى بسبب مرضه تركوا السلام عليه ، لأن الكى يقدح فى التوكل والتسليم الى الله والصبر على ما يبتلى به العبد وطلب الشفاء من عنده ، وليس ذلك قادحا فى جواز الكى ولكنه قادح فى التوكل وهى درجة عالية وراء مباشرة الأسباب[2]

تبين من هذا الحديث أن الاخلال بالسنة مانع كبير -

قال الامام القرطبى بعد ما أشار إلى عدة أحاديث :

إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا

١- عبدالرحمن بن ابى بكرالسيوطى، الحاوى للفتاوى (ط : بيروت) ٢/٢٥٦

٢- أيضا : ٢/٢٥٧

موجودين أحياء ، وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من أوليائه[1]

قال النبي ﷺ : أما موسى كأنى أنظر إليه إذا انحدر فى الوادى يلبى ، رواه البخارى فى كتاب المناسك ـ وأيضا رأى النبي ﷺ فى المنام عيسى بن مريم وهو يطوف بالبيت ، رواه البخارى فى كتاب الأنبياء ـ

قال الامام النووى :

فإن قيل : كيف يحجون ويلبون وهم أموات وهم فى دارالآخرة وليست دار عمل ، فاعلم أن للمشائخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة ، أحدها : أنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم ، والشهداء أحياء عند ربهم ، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ، كما ورد فى الحديث الآخر وأن يتقربوا إلى الله بما استطاعوا ، لأنهم وان كانوا قد توفوا ، فهم فى هذه الدنيا التى هى دارالعمل ، حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التى هى دارالجزاء انقطع العمل[2]

وقريب منه ما أفاده الامام العلامة ابن حجر العسقلانى[3]

قال القاضى ابو بكر بن العربى على ما حكاه الامام السيوطى :

رؤية النبي ﷺ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورؤيته

١- محمد بن احمد القرطبى ، الامام : التذكرة (المكتبة التجارية) ص : ١٩١

٢- يحيى بن شرف النووى : شرح مسلم (ساحل العرفان ، بيروت) ٢٢٨/٢

٣- احمد بن حجر العسقلانى : فتح البارى (ط : بيروت) ٣٧٨/٦

على غير صفته إدراك للمثال ـ وهـذا الذي قـاله في غـاية الحسن ـ ولايمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه ، وذلك لأنه ﷺ وسائر الأنبياء أحياء ردت اليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم بـالخـروج من قبورهـم والتصـرف في الملكوت العلـوي والسفلي ، وقـد ألف البيهقي جزأ في حياة الأنبياء[1]

قال الامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى :

وإذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عـالم الغيب والملكوت فلايرى بالعين الظاهرة ، وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان، ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لايبصر بها ولايتصور أن يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه .

ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجـائبه والموتى في عـالم الملكوت فشاهـدوهم وأخبروا ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم[2]

١ـ عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، الامام : الحاوي للفتاوى ٢/٢٦٣

٢ـ محمد بن محمد الغزالي ، الامام : احياء علوم الدين (ط : بيروت) ٤/٥٠٤

الرؤية فى المنام

قد تشرف كثير من السعداء بزيارة النبي الأطهر ﷺ فى المنام أو اليقظة ، فلنذكر بعض وقائعهم:

١۔ قال عمر بن الخطاب ﷺ : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام ، فرأيته لا ينظر إلى ، فقلت : يا رسول الله ما شأنى ؟ فالتفت إلى وقال : ألست المقبل وأنت صائم ؟ قال : والذى نفسي بيده لا أقبل إمرأة وأنا صائم أبدا(١)

٢۔ قال العلامة ابن تيمية : وكذلك أيضا ما يروى "أن رجلا جاء إلى قبر النبي ﷺ ، فشكا إليه الجدب عام الرمادة ، فرآه يأمره : أن يأتى عمر ، فيأمره أن يخرج فيستسقى بالناس" فإن هذا ليس من هذا الباب ، ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذه الوقائع كثيرا(٢)

٣۔ عن سلمى قالت : دخلت على أم سلمة وهى تبكى ، فقلت : ما يبكيك ؟ قالت : رأيت رسول الله ﷺ تعنى فى المنام ، وعلى رأسه ولحيته التراب ، فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : شهدت قتل الحسين آنفا ، رواه الترمذى وقال : هذا حديث غريب(٣)

وقد عقد الإمام الترمذى بابا فى الشمائل ، سماه "باب ما جاء فى رؤية رسول الله ﷺ فى المنام" روى فيه روايات عن الذين رأوه ﷺ فى المنام ۔

١۔ محمد بن محمد الغزالى ، الامام : احياء علوم الدين (ط : بيروت) ٤/٥٠٦

٢۔ احمد بن تيمية ، العلامة : اقتضاء الصراط المستقيم ص : ٣٧٣

٣۔ محمد بن عبدالله الخطيب : مشكوة المصابيح (ط : كراتشى) ص : ٥٧٠

الرؤية فى اليقظة

١ـ قال الامام عمادالدين اسماعيل بن هبة الله : قال عبدالله بن سلام: ثم أتيت عثمان لأسلم عليه ـ وهو محصور ـ فقال : مرحبا بأخى رأيت رسول الله ﷺ فى هذه الخوخة ، فقال: يا عثمان حصروك؟ قلت : نعم قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ، فأدلى لى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت، حتى أنى لأجد برده بين ثديى وبين كتفى، فقال : إن شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم انتهى ـ

قال العلامة السيوطى : وهذه القصة مشهورة عن عثمان ـ مخرجة فى كتب الحديث بالاسناد ـ أخرجها الحارث بن أبى أسامة فى مسنده وغيره، وقد فهم المحققون منها أنها رؤية يقظة[1]

٢ـ قال الامام أبو محمد بن أبى جمرة : وقد ذكر عن بعض الصحابة ـ أظنه ابن عباس رضى الله عنهما ـ أنه رأى النبى ﷺ فى النوم، فتذكر هذا الحديث، وبقى يفكر فيه، ثم دخل على بعض أزواج النبى ـ أظنها ميمونة ـ فقص عليها قصته ، فقامت وأخرجت له مرآته ﷺ قال ﷺ : فنظرت فى المرآة فرأيت صورة النبى ﷺ ولم أر لنفسى صورة[2]

٣ـ قال الشيخ سراج الدين بن الملقن فى طبقات الأولياء : قال الشيخ عبدالقادر الكيلانى قدس سره : رأيت رسول الله ﷺ قبل

١ـ عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى : الحاوى للفتاوى ٢/٢٦٢

٢ـ ايضا : ٢/٢٥٦

الظهر فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ قلت : يا أبتاه أنا رجل أعجم، كيف أتكلم على فصحاء بغداد؟ فقال : افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا وقال : تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج علي، فرأيت عليا كرم الله تعالى وجهه قائما بإزائي في المجلس فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ قلت : يا أبتاه قد ارتج علي فقال : افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا فقلت : لم لا تكملها سبعا قال : أدبا مع رسول الله ﷺ ثم توارى عني(١)

٤- وقال أيضا في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي : كان كثير الرؤية لرسول الله عليه الصلاة والسلام يقظة ومناما فكان يقال : إن أكثر أفعاله يتلقاه منه ﷺ يقظة ومناما ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة قال له في إحداهن : يا خليفة لا تضجر مني فكثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي(٢)

٥- وقال الشيخ تاج الدين بن عطاءالله في لطائف المنن : قال رجل للشيخ أبي العباس المرسي يا سيدي صافحني بكفك هذه فانك لقيت رجالا وبلادا فقال : والله ما صافحت بكفي هذه الا رسول الله ﷺ قال : وقال الشيخ: لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين ، ومثل هذه النقول كثير من كتب القوم جدا(٣)

١- محمود الالوسي ، السيد : روح المعاني (ط : بيروت) ٣٥/٢٢

٢- ايضا : ٣٦/٢٢-٣٥

٣- ايضا : ٣٦/٢٢

٦- قال العلامة الألوسي البغدادي :

وجوز أن يكون ذلك بالاجتماع معه عليه الصلاة والسلام روحانية ولا بدع في ذلك فقد وقعت رؤيته ﷺ بعد وفاته لغير واحد من الكاملين من هذه الأمة والأخذ منه يقظة[١]

وفي بعض المجاميع حج سيدي أحمد الرفاعي، فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة فقبلها[٢]

٧- قال الامام الرباني المجدد للألف الثاني رحمه الله تعالى بالفارسية ما ترجمته :

بقيت هذه الحالة إلى مدة ، ثم اتفق لي المرور بمرقد ولي ، فجعلته لي مساعدا في هذه المعاملة ، وفي أثناء هذا الحال توجهت رحمة الله تعالى الي وانكشفت حقيقة المعاملة على وجه الكمال ، وتجلى روح رحمة للعالمين خاتم المرسلين ﷺ فاطمئن قلبي الحزين[٣]

١- محمود الألوسي ، السيد : روح المعاني (ط : بيروت) ٢٢/٣٥

٢- عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ، الامام : الحاوي للفتاوي ٢/٢٦١

٣- احمد السرهندي، الامام الرباني : مكتوبات (باللغة الفارسية) الدفتر الأول ، مكتوب ٢٢٠

وأبرز مشاهدته الأخرى باللغةالفارسية ، وهذه ترجمة مقاله :

كنت اليوم صباحا فى حلقة المراقبة ، فاذا أنا بسيدنا إلياس وسيدنا الخضرعلى نبينا وعليها الصلوات والتسليمات فى صورة الروحانيين ، قال سيدنا الخضر عليه السلام فى هذا اللقاء الروحانى : نحن أرواح ، إن الله تعالى منح أرواحنا قوة كاملة بأن تتطور بصورة الأجسام وتؤدى الحركات والسكنات والعبادات التى تؤديها الأجسام[1]

٨ـ قال المولوى محمد أنور شاه الكشميرى الديوبندى : ويمكن عندى رؤيته ﷺ يقظة ، لمن رزقه الله سبحانه ، كما نقل عن السيوطى رحمه الله تعالى أنه رآه ﷺ إثنين وعشرين مرة وسأله عن أحاديث ثم صححها بعد تصحيحه ﷺ[2]

٩ـ وقال أيضا : والشعرانى رحمه الله تعالى ايضا كتب أنه رآه ﷺ وقرء عليه البخارى فى ثمانية رفقة معه ، ثم سماهم وكان واحد منهم حنفيا وكتب الدعاء الذى قرأه عند ختمه ، فالرؤية متحققة وإنكارها جهل[3]

١٠ـ قال شيخ مشائخ الهند : الشاه ولى الله المحدث الدهلوى : لما دخلت المدينة المنورة وزرت الروضة المقدسة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليمات ، رأيت روحه ﷺ ظاهرة بارزة ،

١ـ احمد السرهندى ، الامام الربانى : مكتوبات (باللغة الفارسية) الدفتر الاول ، مكتوب ٢٨٢

٢ـ محمد أنور شاه الكشميرى : فيض البارى (ط : لاهور) ٢٠٤/١

٣ـ أيضا : ٢٠٤/١

لا في عالم الأرواح فقط ، بل في المثال القريب من الحس ، فأدركت أن العوام إنما يذكرون حضور النبي ﷺ في الصلوات وإمامته بالناس فيها وأمثال ذلك من هذه الدقيقة[1]

١١- وقال أيضا : ثم توجهت إلى القبر الشامخ المقدس مرة بعد أخرى، فبرز ﷺ في رقيقة بعد رقيقة فتارة في صورة مجرد العظموت والهيبة وتارة في صورة الجذب والمحبة والأنس والانشراح وتارة في صورة السريان ، حتى أتخيل أن الفضاء ممتلئ بروحه عليه الصلوة والسلام ، وهي تتموج فيه تموج الريح العاصفة ، حتى أن الناظر يكاد يشغله تموجها عن ملاحظة نفسه[2]

١٢- إن الامام احمد رضا القادرى البريلوى لما سافر إلى الحرمين الشريفين مرة ثانية ، وقف تجاه الروضة المنيفة طويلا يصلى على النبي ﷺ ويتمنى أن ترزق له رؤيته ﷺ يقظة ، ولكن لم يحصل له المرام في الليلة الاولى، فرجع وأنشد المديح النبوى في حالة الاضطراب والإشتياق الشديد ، مطلعه :

وہ سوئے لالہ زار پھرتے ہیں

ترے دن اے بہار پھرتے ہیں

(هو يجول الى الحديقة ، أيها الربيع ! بسببه يعترى الانقلاب على أيامك)

وقال في مقطعه :

١- ولى الله المحدث الدهلوى ، الشاه : فيوض الحرمين (مجد سعيد ، كراتشي) ص : ٨٢

٢- أيضا : ص : ٨٣

کوئی کیوں پوچھے تری بات رضا ؟
تجھ سے کتنے ہزار پھرتے ہیں

(أيها الرضا ! لم يتنبأ احد عن حالك ؟ يتجول ألف كلاب أمثالك)

فلما أنشد هذا المديح فى المواجهة العالية تشرف برؤية جماله ﷺ عيانا[1]

١٣- قال ، شيخ المشائخ الشيخ أخند زاده سيف الرحمن النقشبندى حفظه الله تعالى : تشرفت بزيارة سيد العالم ﷺ فى كل حفلة بقدر ثلث سنين و نصف ـ رزقنا الله تعالى هذه السعادة الكبرى فى الدنيا والآخرة

قال العلامة جلال الدين السيوطى فى رسالته "تنوير الحلك فى إمكان رؤية النبى والملك" بعد ما نقل أحاديث وآثارا ما نصه :

فتحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبى ﷺ حى بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شئ وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فاذا أراد الله رفع الحجاب عن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التى هو عليها ، لا مانع من ذلك ولا داعى إلى التخصيص برؤية المثال[2]

وقد نقل العلامة الألوسى البغدادى هذا النص بعينه[3]

١- محمد ظفرالدين البهارى : حياة اعلىٰ حضرت (ط : كراتشى) ١/٤٤
٢- عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى : الحاوى للفتاوى ٢/٢٥٦
٣- محمود الالوسى ، السيد : روح المعانى ٢٢/٣٦-٣٧

رؤية الشخص الواحد فى مواضع شتى

ليست رؤية الشخص الواحد فى شتى الأمكنة ممكنة فقط ؛ بل هى واقعة بالفعل ، ولها صور عديدة :

١ـ أن يرفع الله تعالى الأغشية ، فيرى الشخص الواحد فى عدة مقامات مع كونه فى مقام واحد

٢ـ أن يكون الرجل الواحد موجودا فى مكان وترى تماثيله فى مجالات مختلفة ، كما هو المشاهد فى التلفزيون ، والحقيقة أنه يساعدنا اى مساعدة فى فهم مسئلة الحاضر والناظر ؛ إذ الأمر الذى قد تحقق بواسطة الآلات الكهربائية ، كيف لا يكون مقدورا لله تعالى ؟ إن الله تعالى لغنى عن الأسباب والآلات ، فما وجه الاستبعاد ؟

٣ـ أن يسخر الله تعالى للشخص الواحد أجساما عديدة مثالية ، يتصرف فيها الروح الواحد ، ولا يلزم منه تكثر الجزئى الذى هو مستحيل عند المناطقة ، فان مناط الوحدة والتعدد هو الروح ، وعند ما كان الروح واحدا يكون الشخص واحدا وإن تكثرت الأجسام ـ

عن قرة المزنى ﷺ أن رجلا توفى ابنه ، وكان يحبه حبا شديدا ، فقال له رسول الله ﷺ : أما تحب أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك ، فقال رجل : يا رسول الله له خاصة أم لكلنا ؟ قال : بل لكلكم ، رواه احمد[1]

قال العلامة على القارى فى شرح هذا الحديث :

١ـ محمد بن عبدالله الخطيب : مشكوة المصابيح (ط: دهلى) ص: ١٥٢

فيه إشارة إلى خرق العادة من تعدد الأجساد المكتسبة حيث أن الولد موجود فى كل باب من أبواب الجنة[1]

أخرج احمد والنسائى بسند صحيح عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : لما أسرى بي فأصبحت بمكة ، قطعت وعرفت أن الناس مكذبى ـ فذكر الحديث إلى أن قال : قالوا : وتستطيع أن تنعت المسجد وفى القوم من سافر اليه ، قال رسول الله ﷺ : فذهبت أنعت فمازلت أنعت حتى التبس على بعض النعت فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل ـ أو عقال ـ فنعته وأنا أنظر إليه

قال الامام السيوطى بعد ما نقل هذا الحديث :

فهذا إما من باب التمثيل كما فى رؤية الجنة والنار فى عرض الحائط ، وإما من باب طى المسافة وهو عندى احسن هنا ومن المعلوم أن أهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم[2]

ومن ذلك ما أخرجه إبن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم والحاكم فى المستدرك وصححه عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿لو لا أن رأى برهان ربه﴾ قال: مثل له يعقوب، وأخرج ابن جرير مثله عن سعيد بن جبير، وحميد بن عبدالرحمن ، ومجاهد ، والقاسم، ابن أبي بزة ، وعكرمة، ومحمد بن سيرين، وقتادة ، وأبي صالح ، وشمر ابن عطية والضحاك ، وأخرج عن الحسن قال : انفرج سقف البيت فرأى يعقوب وفى لفظ عنه قال : رأى تمثال يعقوب

١- على بن سلطان محمد القارى : مرقاة المفاتيح (ط : ملتان) ١٠٩/٤

٢- عبدالرحمن بن ابى بكرالسيوطي: الحاوى للفتاوى (ط : بيروت) ٢٢٢/١

قال الامام السيوطي بعد ما سرد هذه الآثار :

فهذا القول من هؤلاء السلف دليل على إثبات المثال أو طي المسافة وهو شاهد عظيم لمسألتنا حيث رأى يوسف عليه السلام وهو بمصر أباه وكان إذ ذاك بأرض الشام ففيه إثبات رؤية يعقوب عليه السلام بمكانين متباعدين فى وقت واحد ، بناء على إحدى القاعدتين اللتين ذكرتا (من إثبات المثال أوطي المسافة) والله أعلم[1]

قال العلامة علاء الدين القونوى فى تأليف له يسمى الاعلام :

وفى الممكن أن يخص الله بعض عباده فى حال الحياة بخاصية لنفسه الملكية القدسية وقوة لها يقدر بها على التصرف فى بدن آخر غير بدنها المعهود مع استمرار تصرفها فى الأول ـــــــ وإذا جاز فى الجن أن يتشكلوا فى صور مختلفة فالأنبياء والملائكة والأولياء أولى بذلك

وقد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الأجساد وعالم الأرواح سموه عالم المثال وقالوا : هو ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى : ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ فتكون الروح الواحدة كروح جبريل فى وقت واحد مدبرة لشبحه الأصلى وهذا الشبح المثالى ــــــ

---

(١) عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي : الحاوى للفتاوى ١/٢٢٢

وكذلك الأنبياء ، ولا بعد فى ذلك لأنه اذا جاز إحياء الموتى لهم وقلب العصا ثعبانا وأن يقدرهم الله على خلاف المعتاد فى قطع المسافة البعيدة كما بين السماء والأرض فى لحظة واحدة إلى غير ذلك من الخوارق ، فلا يمتنع أن يخصهم بالتصرف فى بدنين وأكثر من ذلك وعلى هذا تخرج مسائل كثيرة وتنحل به إشكالات غير يسيرة ـ ـ ـ ـ ـ ولهم حكايات كثيرة مبنية على هذه القاعدة . وهى من أمهات القواعد عندهم[1] (هذا كلام القونوى مع اختصار)

قال العلامة الألوسى البغدادى :

والأنفس الناطقة الانسانية إذا كانت قدسية قد تنسلخ عن الأبدان وتذهب متمثلة ظاهرة بصور أبدانها أو بصور أخرى ، كما يتمثل جبريل عليه السلام ويظهر بصورة دحية أو بصورة بعض الأعراب كما جاء فى صحيح الأخبار حيث يشاء الله عزوجل مع بقاء نوع تعلق لها بالأبدان الأصلية يتأتى معه صدور الأفعال منها ، كما يحكى عن بعض الأولياء قدست أسرارهم أنهم يرون فى وقت واحد فى عدة مواضع وما ذاك إلا لقوة تجرد أنفسهم وغاية تقدسها فتمثل وتظهر فى موضع وبدنها الأصلى فى موضع آخر :

لا تقل دارها بشرق نجد   كل نجد للعامرية دار[2]

ثم قال :

١ـ عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى :   الحاوى للفتاوى ١/٢١٩ـ٢١٨

٢ـ محمود الألوسى ، العلامة السيد :   روح المعانى ٢٣/١٣

وهذا أمر مقرر عند السادة الصوفية مشهور فيما بينهم وهو غير طي المسافة وإنكار من ينكر كلا منهما عليهم مكابرة لا تصدر إلا من جاهل أو معاند ، وقد عجب العلامة التفتازاني من بعض فقهاء أهل السنة أي كابن مقاتل حيث حكم بالكفر على معتقد ما روى عن إبراهيم بن أدهم قدس سره أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية ورؤى ذلك اليوم بمكة ، ومبناه زعم أن ذلك من جنس المعجزات الكبار وهو مما لا يثبت كرامة لولي وأنت تعلم أن المعتمد عندنا جواز ثبوت الكرامة للولي مطلقا إلا فيما يثبت بالدليل عدم إمكانه كالاتيان بسورة مثل إحدى سور القرآن ، وقد أثبت غير واحد تمثل النفس وتطورها لنبينا ﷺ بعد الوفاة وادعى أنه عليه الصلاة السلام قد يرى في عدة مواضع في وقت واحد مع كونه في قبره الشريف يصلي ، وقد تقدم الكلام مستوفى في ذلك[1]

وقال أيضا :

وقد رأى ﷺ ليلة أسرى به جماعة من الأنبياء غير موسى عليه السلام في السموات مع أن قبورهم في الأرض ولم يقل احد : إنهم نقلوا منها إليها على قياس ما سمعت آنفا[2]

عن أبي ذر قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب

١- محمود الالوسي ، السيد : روح المعاني ٢٣/١٤

٢- ايضا : ٢٣/١٤

الشمس ، فقال : يا أبا ذر أتدري اين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش[1] والأمر في ذلك مشكل ، فقد صرح إمام الحرمين وغيره بأنه لا خلاف في أنها تغرب عند قوم وتطلع على آخرين ، فكيف تستقر وتسجد تحت العرش كل ليلة ؟ أجاب العلامة الألوسي على هذا السؤال بما نصه :

وليس ذلك مما إدعى الحكميون استحالته من شغل النفس الواحدة أكثر من بدن واحد، بل هو امر وراءه كما لا يخفى على من نور الله بصيرته ، فيمكن أن يقال : إن الشمس نفسا مثل تلك الأنفس القدسية وإنها تنسلخ عن الجرم المشاهد المعروف مع بقاء نوع من التعلق لها به فتعرج إلى العرش فتسجد تحته بلا واسطة وتستقر هناك وتستأذن ، ولا ينافي ذلك سير هذا الجرم المعروف وعدم سكونه حسبما يدعيه أهل الهيئة وغيرهم ------ لأن ما ذكرنا من كون السجود والسكون باعتبار النفس المنسلخة المتمثلة بما شاء الله تعالى لا ينافي سير الجرم المعروف ------

وعلى هذا الطرز يخرج ما يحكى أن الكعبة كانت تزور واحدا من الأولياء ، بأن يقال إن الكعبة حقيقة غير ما يعرفه العامة وهي باعتبار تلك الحقيقة تزور والناس يشاهدونه في مكانها أحجارا مبنية[2]

١- محمد بن اسماعيل البخاري، الامام : صحيح البخاري ٢/ ٧٠٩

٢- محمود الالوسي ، السيد : روح المعاني ٢٣/ ١٤

نصوص الأئمة الأعلام

هذه المسألة من قبيل المشاهدات والواردات ، لا يسلمها الا من حصل له صفاء الباطن إلى أن يتشرف برؤية الأنبياء والأولياء أو كان منقادا لأئمة الدين الجامعين بين الشريعة والطريقة ، فمن كان فاقد البصيرة ولا يعترف بما قاله اهلها لانستطيع أن نجبره على تسليم وجود الشمس حال كونها في رابعة النهار.

قد ذكرنا في ما مضى بعض نصوص الائمة ، ونذكر بعضها في ما يلى :

قال عمرو بن دينار: في قوله تعالى ﴿فاذا دخلتم فسلموا على أنفسكم﴾ لمن لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ـ

قال العلامة على القارى في شرحه للشفاء :

اى لأن روحه حاضرة في بيوت أهل الاسلام

وعمرو بن دينار هو امام المحدثين يروى عن ابن عباس وابن عمر وجابر وعنه شعبة وسفيانان وحمادان وهو عالم حجة ، أخرج له الأئمة الستة[1]

قال الامام البيهقى :

وحلولهم (أى الأنبياء) في أوقات مختلفة في أماكن متعددة جائز عقلا ، كما ورد به خبر الصادق[2]

قال الامام حجة الاسلام الغزالى :

١ـ على بن سلطان محمد القارى : شرح الشفاء (ط : المدينة المنورة) ٣/٤٦٤

٢ـ ايضا : مرقاة المفاتيح (ط : ملتان) ٣/٢٤١

والرسول عليه السلام له الخيار فى طواف العالم مع أرواح الصحابة رضي الله عنهم، لقد رآه كثير من الأولياء[1]
قال العلامة سعد الدين التفتازانى :

وإنكارها (أي الكرامات) ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء، إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قط ولم يسمعوا من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء مع اجتهادهم فى أمور العبادات واجتناب السيئات، فوقعوا فى أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات، يمزقون أديمهم ويمضغون لحومهم، لا يسمونهم إلا باسم الجهلة المتصوفة ولا يعدونهم إلا فى عداد آحاد المبتدعة ـ

وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السنة حيث قال : فى ما روى عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفى ذلك اليوم بمكة، أن من اعتقد جواز ذلك يكفر، والانصاف ما ذكره النسفي حين سئل عما يحكى أن الكعبة تزور واحدا من الأولياء، هل يجوز القول به؟ فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة[2]

وهكذا قال العلامة محمود بن إسرائيل الشهير بابن قاضي سماونة، وهذا نصه :

اقول: ينبغي أن لا يكفر ولا يستجهل، لأنه من الكرامات

١- محمد بن اسماعيل الحقي ، العلامة : روح البيان ١٠/٩٩

٢- مسعود بن عمر التفتازاني : شرح المقاصد (ط : لاهور) ٢/٢٠٤

لا من المعجزات ، إذ المعجزة لابد فيها من التحدى ، ولا تحدى ههنا ، فلا معجزة ، وعند أهل السنة تجوز الكرامة[1]

وللعلامة جلال الدين السيوطي رسالة في هذا المبحث اسمها "المنجلي في تطور الولي" رفع اليه سؤال أن رجلين حلفا بالطلاق أن شيخها بات عند كل واحد منها فهل يحنث احدهما ؟ فأجاب : بأنه لا يخلو إما أن يقيم كل منها بينة أولا يقيم أحد منها او يقيمها واحد دون الآخر ، فالحالان الأولان عدم الحنث فيها واضح :

وأما الحال الثالث فقد ينازع فيها من يتوهم أن وجود الشخص الواحد في مكانين في وقت واحد غير ممكن ، بل هو مستحيل، وليس كما توهمه هذا المتوهم من الاستحالة ، فقد نص الائمة الاعلام على أن ذلك من قسم الجائز الممكن ------

فاقول : قد نص على إمكان ذلك أئمة أعلام منهم العلامة علاء الدين القونوى شارح الحاوى ، والشيخ تاج الدين السبكى ، وكريم الدين الاملى شيخ الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ، وصفى الدين بن أبي المنصور ، وعبد الغفار بن نوح القوصى صاحب الوحيد ، والعفيف اليافعى، والشيخ تاج الدين بن عطاء الله ، والسراج الملقن ، والبرهان الأبناسى ، والشيخ عبدالله المنوفى ، وتلميذه خليل المالكى صاحب المختصر، وأبوالفضل محمد بن إبراهيم التلمسانى

---

١ - محمود بن اسرائيل ، القاضي : جامع الفصولين(ط: مصر ، ١٣٠٠ ھ) ٢/٢٣٢

المالكي ، وخلق آخرون(١)

ثم قال :

وحاصل ما ذكروه في توجيه ذلك ثلاثة أمور :

أحدها : أنه من باب تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما يقع ذلك للجان .

والثاني : أنه من باب طي المسافة وزوى الأرض من غير تعدد ، فيراه الرائيان كل في بيته وهي بقعة واحدة ، إلا أن الله طوى الأرض ورفع الحجب المانعة من الاستطراق فظن أنه في مكانين وإنما هو في مكان واحد ، وهذا أحسن ما يحمل عليه حديث رفع البيت المقدس حتى رآه النبي ﷺ بمكة حال وصفه إياه لقريش صبيحة الاسراء .

والثالث : أنه من باب عظم الجثة بحيث ملأ الكون فشوهد في كل مكان ، كما قرر بذلك شأن ملك الموت ، ومنكر ونكير حيث يقبض من مات في المشرق والمغرب في ساعة واحدة ويسأل من قبر فيها في الساعة الواحدة ، فإن ذلك أحسن الأجوبة في الثلاثة(٢)

قال العلامة ابن القيم الجوزية :

وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع ، بحيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون في غيره ، وهذا غلط محض ، بل

١- عبدالرحمن بن ابي بكرالسيوطي ، الحاوى للفتاوى ١/٢١٧

٢- أيضا : ١/١٨-٢١٧

الروح تكون فوق السماوات فى أعلى عليين وترد إلى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهى فى مكانها هنالك ، وروح رسول الله ﷺ فى الرفيق الأعلى دائر ويردها الله تعالى إلى القبر فترد السلام على من سلم عليه وتسمع كلامه[1]

قال الامام العلامة عبدالوهاب الشعرانى :

ومنها شهود الجسم الواحد فى مكانين فى آن واحد كما رأى محمد ﷺ نفسه فى أشخاص بنى آدم السعداء حين اجتمع به فى السماء الأولى كما مر وكذلك آدم وموسى وغيرهما فانهم فى قبورهم فى الارض حال كونهم ساكنين فى السماء فإنه قال رأيت آدم رأيت موسى رأيت إبراهيم وأطلق وما قال رأيت روح آدم ولا روح موسى فراجع ﷺ موسى فى السماء وهو بعينه فى قبره فى الأرض قائم يصلى كما ورد . فيامن يقول إن الجسم الواحد لا يكون فى مكانين كيف يكون إيمانك بهذا الحديث فان كنت مؤمنا فقلد وإن كنت عالما فلا تعترض فان العلم يمنعك وليس لك الاختيار فانه لا يختير الا الله وليس لك أن تتأول أن الذى فى الأرض غير الذى فى السماء لقوله عليه الصلاة والسلام رأيت موسى وأطلق وكذلك سائر من رآه من الانبياء هناك فالمسمى موسى إن لم يكن عينه فالاخبار عنه كذب أنه موسى هذا[2] ـ

قال العلامة الألوسي البغدادى :

١ـ ابن القيم الجوزية : كتاب الروح (ط : دكن) ص ١٧٣

٢ـ عبدالوهاب الشعرانى : اليواقيت والجواهر (ط : مصر) ٢/٣٦

والمرئي إما روحه عليه الصلوة والسلام التي هي أكمل الأرواح مجردا وتقدسا بأن تكون قد تطورت وظهرت بصورة مرئية بتلك الرؤية مع بقاء تعلقها بجسده الشريف الحي في القبر السامي المنيف على حد ما قال بعضهم : إن جبرئيل عليه السلام مع ظهوره بين يدي النبي عليه الصلوة والسلام في صورة دحية الكلبي أو غيره لم يفارق سدرة المنتهى .

وإما جسد مثالي تعلقت به روحه ﷺ المتجردة القدسية، ولا مانع من أن يتجدد الجسد المثالي إلى ما لا يحصى من الأجساد مع تعلق روحه القدسية عليه من الله ألف صلوة وتحية بكل جسد منها ويكون هذا التعلق من قبيل تعلق الروح الواحدة بأجزاء بدن واحد(١)

قال الامام الرباني المجدد للألف الثاني : وهذه ترجمة عبارته الفارسية :

للجن قدرة موهوبة من الله، يتشكل بأشكال شتى ويعمل أعمالا عجيبة . فما العجب لو منحت هذه القدرة لأرواح الكمل ؟ وأى حاجة الى بدن آخر ؟

ومن هذا القبيل وقائع محكية عن بعض الأولياء الكرام، وهي أنهم يحضرون في عدة أمكنة في آن واحد ويعملون أعمالا مختلفة، وفي هذا المقام تتجسد لطائفهم بصورة أجساد مختلفة وتتشكل في صور متنوعة .

١ـ محمود الالوسي، العلامة السيد : روح المعاني ٢٢/٣٥.

ومثل هذا ما وقع لاحدالكاملين من أهل الهند ، لم يخرج من بلده قط ، ومع ذلك أخبرت جماعة قدمت من مكة المكرمة بأنا رأيناه فى حرم الكعبة وتحدثنا معه كذا وكذا ، وقال جمع : إنا رأيناه بالروم وقال جمع آخر : إنا رأيناه ببغداد .

وهذا كله بسبب أن لطائفه تطورت فى صور عديدة ، وفى بعض الأحيان لاتكون له خبرة بهذه التطورات ----

وهكذا يستمد أهل الحوائج من الأولياء الأحياء والأموات فى المخاوف والمهالك ، فيرون أن أرواحهم تحضر و تدفع عنهم البليات ، وتلك الأولياء قد يطلعون على دفع البلية وقد لايطلعون ، وفى الحقيقة تتشكل لطائفهم ، وهذا التشكل قد يكون فى عالم الشهادة وقد يكون فى عالم المثال .

كما أن ألف رجل يرون النبي ﷺ بالمنام فى ليلة واحدة فى شتى الصور ، ويستفيدون منه ﷺ فوائد جمة ، وهذا كله نتيجة أن صفاته ولطائفه ﷺ تتطور فى صور مثالية .

وهكذا المريد يستفيد فوائد من الصور المثالية لمرشده ، والمشائخ يحلون معضلاتهم[1]

لقد ألف الامام العلامة على نورالدين الحلبي ، صاحب السيرة الحلبيــة (م١٠٤٤هـ) رسالة سماها "تعريف أهل الاسلام والايمان بأن

١- احمد السرهندى الامام الربانى : مكتوبات باللغة الفارسية (ط : لاهور) المجلد الثانى ، الجزء السابع ص : ٢٧

محمدا ﷺ لا يخلو منه مكان ولا زمان" نقلها العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني في جواهر البحار (٢/١٢٥-١١١).

قال الشيخ الحاج محمد إمداد الله المهاجر المكي ، والعلماء الديوبنديون يزعمونه مرشدا لهم :

> لا ينبغي إعتقاد تولده ﷺ وقت القيام ، ولا بأس لو إعتقد أحد أن تفضله ﷺ في هذه الخلمة أمر ممكن ، فان عالم الخلق متقيد بزمان ومكان ، وعالم الأمر برى" منهما ، فتفضل ذاته المباركة ﷺ ليس بمستبعد[1]

ولا يخفى عليك أن هذا الكتاب مما قرظ عليه وصدقه المولوى اشرف على التانوى من أكابر العلماء الديوبندية .

قال العلامة السيد محمد علوى المالكى المكى :

> روحانية المصطفى ﷺ حاضرة في كل مكان، فهي تشهد أماكن الخير ومجالس الفضل ، والدليل على ذلك أن الروح من حيث هي روح غير مقيدة في البرزخ ، بل منطلقة تسبح في ملكوت الله ـــــ
>
> والدليل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح : نسمة المؤمن على طائر، تسبح حيث تشاء اوكما قال (رواه مالك) وروحه ﷺ أكمل الارواح فهي لذلك أكمل[2]

قال إمام غير المقلدين النواب وحيد الزمان مترجم الصحاح السنة :

١- محمد امداد الله المهاجر المكي : شمائم امداديه (ط : لكنئو) ص ٩٣

٢- محمد بن علوى المالكى المكى : الذخائر المحمدية (ط : قاهرة) ص ٢٥٩

قلت : بهذا يدفع الشبهة التى أوردها القاصرون أنه كيف يمكن استحصال الفيوض والبركات وبرد القلب والأنوار من أرواح الصلحاء بزيارة قبورهم فان أرواحهم فى أعلى عليين لأن الروح ليس من جنس الأجسام التى إذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون فى غيره ولو سلم فله من سرعة الانتقال والحركة ما يسهل له العروج إلى السماء ثم النزول منه والتوجه إلى الزائر كلمح بالبصر ويشهد عليه قوله تعالى ﴿فاطلع فرأه فى سواء الجحيم﴾[1]

وبعد هذا صرح أن الكون فى مكانين فى وقت واحد متيسر للروح الانسانى ۔

اعتداء مؤلف "البريلوية"

قد تقدم فى الأوراق السابقة إبراز مسألة الحاضر والناظر فى ضوء القرآن والحديث ونصوص أئمة الدين بل بعض أئمة غير المقلدين ايضا ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ۔ اسمع أيها القارى الكريم! واعد النظر فى اسماء بعضهم :

سيدنا عبدالله بن عمر ، إمام المحدثين عمرو بن دينار ، الامام البيهقى ، الامام الغزالى ، الامام الرازى ، الامام القرطبى ، الإمام علاء الدين الخازن ، الامام ابن الحاج ، الامام راغب الاصفهانى ، العلامة بدر الدين العينى ، العلامة ابن حجر العسقلانى ، العلامة محمد بن عبدالباقى الزرقانى ، الامام جلال الدين السيوطى ، الامام الربانى

١- وحيد الزمان ، النواب : هدية المهدى (ط : سيالكوت) ص ٦٣

المجدد للألف الثانى ، العلامة ملا على القارى ، الامام عبد الوهاب الشعرانى ، العلامة السيد محمود الألوسى ، العلامة إسماعيل الحقى ، العلامة على نور الدين الحلبى ، الشيخ المحقق عبدالحق الدهلوى، الشاه ولى الله الدهلوى، الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى ، الشيخ الحاج محمد امداد الله المهاجر المكى ، العلامة عبدالحى اللكنوى ، العلامة السيد محمد علوى المالكى وغيرهم ممن عدهم الامام السيوطى -

ضع هؤلاء الأجلة فى جانب وقساوة القلب لمؤلف "البريلوية" فى جانب آخر فى ضدهم ، حيث يقول :

وهذه هى عقائد الخرافيين والبدعيين والمشركين الذين أضلهم الشيطان وأغواهم فى البلدان الاسلامية الأخرى غير باكستان والهند[1]

يتبين لك أن هذه الطائفة ، طائفة غير المقلدين (اللامذهبية) تسب وتشرك فى ستارة البريلوية كل المسلمين فى أى بلد من بلاد العالم كانوا ، بل يتهمون الأئمة الأعلام للأمة الاسلامية بوصمة البدعة والشرك ولا يستحيون ، وإنا نسائلهم أن الشاه ولى الله الدهلوى الذى تزعمونه قدوة لكم هل تعدونه فى عداد المشركين ؟ ثم ماذا تقولون فى النواب صديق حسن خان البوفالى ؟ الذى يقول :

قال بعض العارفين : إن هذا الخطاب (السلام عليك أيها النبي) مبنى على أن الحقيقة المحمدية جارية وسارية

١- احسان الهي ظهير : البريلوية ، ص ١١٢

فى ذرات الموجودات وافراد الممكنات ، فالنبي ﷺ موجود وحاضر فى ذوات المصلين[١] (هذه ترجمة عبارته الفارسية)

وهل تحاسبون النواب وحيد الزمان إمام غير المقلدين فى زمرة أهل الشرك ؟ الذى يقول :

لأن الروح ليس من جنس الأجسام التى إذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون فى غيره[٢]

البريلوية شعار أهل السنة فى شبه القارة

شتائم ومسبات إحسان إلهى ظهير كلها تتوجه إلى علماء أهل السنة والجماعة ، ولكن بالنظر الى المصلحة يسميهم باسم البريلوية ، ترى فى مايلى بعض الأقاويل عن ائمة اهل السنة ، نسبها إحسان إلهى ظهير الى البريلوية، أليس معناه أن أهل السنة والبريلوية عنده ايضا مترادفان وفى الحقيقة أن المنابذين لأهل السنة والجماعة فى شبه القارة الهندية والباكستانية سموهم باسم البريلوية لكى يبدو أنها فرقة حديثة وأن يسبوا ويشتموا أهل السنة بسهولة ولايأخذهم أحد على هذا الاعتداء ، رغم أنها ليست فرقة اصلا ، بل هم قائمون بكل جهودهم على طريقة أهل السنة والجماعة -

وهذه كلمات الأئمة الأعلام التى نسبها ظهير الى البريلوية :

١ـ قد سبق أن الامام العلامة الشيخ على نور الدين الحلبى صاحب

١ـ صديق حسن البوفالى : مسك الختام شرح بلوغ المرام (ط : كانبور) ٢٤٤/١

٢ـ وحيد الزمان ، النواب : هدية المهدى ، ص ٦٣

السيرة (م١٠٤٤ﻫ) ألف رسالة سماها :

"تعريف أهل الاسلام والايمان بأن محمدا ﷺ لا يخلو منه مكان ولا زمان"

أنظر جواهر البحار للعلامة يوسف بن إسماعيل النبهانى (١٢٥/٢-١١١)

٢- قال الشاه ولى الله المحدث الدهلوى : ثم توجهت إلى القبر الشامخ المقدس مرة بعد أخرى فبرز ﷺ فى رقيقة بعد رقيقة ----- حتى أتخيل أن الفضاء ممتلئ بروحه عليه الصلوة والسلام[١]

٣- قال العلامة السيد محمود الألوسى : وإما جسد مثالى تعلقت به روحه ﷺ المجردة القدسية ولامانع من أن يتجدد الجسد المثالى إلى ما لايحصى من الأجساد[٢]

٤- قال الملا على القارى : ولا يبعد من الأولياء حيث طويت لهم الأرض وحصل لهم أبدان مكتسبة متعددة وجدوها فى أماكن مختلفة فى آن واحد[٣]

٥- قال إمام المحدثين عمرو بن دينار : إن لم يكن فى البيت أحد فقل ألسلام على النبي ورحمة الله وبركاته -

قال الملا على القارى فى شرحه :

أى لأن روحه حاضرة فى بيوت أهل الاسلام[٤]

١- ولى الله الدهلوى ، الشاه : فيوض الحرمين : ص ٨٣

٢- محمود الالوسى ، السيد : روح المعانى ، ٣٥/٢٢

٣- على بن سلطان محمد القارى : مرقاة المفاتيح (ط : ملتان) ٣١/٤

٤- ايضا : شرح الشفاء (ط : المدينة المنورة) ٤٦٤/٣

٦ـ قال الامام العلامة جلال الدين السيوطي ، في رسالته "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء":

المراد برد الروح التفرغ من الشغل وفراغ البال مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته والاستغفار لهم من السيئات ، والدعاء بكشف البلاء عنهم والتردد في أقطار الأرض لحلول البركة فيها وحضور جنازة من مات من صالح أمته ، فإن هذه الأمور من أشغاله في البرزخ ، كما وردت بذلك الأحاديث والآثار[1]

٧ـ قال العلامة إسماعيل الحقي ما معناه : أن رسول الله ﷺ كان حاضرا رسالة كل رسول وما وقع من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف[2]

٨ـ قال العلامة السيد محمود الألوسي : فقد وقعت رؤيته ﷺ بعد وفاته لغير واحد من الكاملين من هذه الأمة والأخذ منه يقظة[3]

٩ـ قال العلامة جلال الدين السيوطي، ثم العلامة السيد محمود الألوسي ثم العلامة عمر بن سعيد الفوتي الطوري : فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت[4]

١ـ عبدالرحمن بن ابي بكرالسيوطي: الحاوي للفتاوي ٢/١٥٣

٢ـ اسمعيل الحقي العلامة : روح البيان (ط : بيروت) ٩/١٨

٣ـ محمود الآلوسي ، السيد : روح المعاني ٢٢/٣٥

٤ـ عبدالرحمن بن ابي بكرالسيوطي: الحاوي للفتاوي ٢/٢٦٥

(ب) محمود الالوسي ، السيد : روح المعاني ٢٢/٣٧

(ج) عمر بن سعيد الفوتي : رماح حزب الرحيم (بيروت) ١/٢٣٠

١٠- قال العلامة ابن الحاج ، ثم العلامة القسطلانى : لافرق بين موته وحياته فى مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لاخفاء به(١).

١١- قال الامام الغزالى : والرسول عليه السلام له الخيار فى طواف العالم مع أرواح الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، لقد رآه كثير من الأولياء(٢)

هذه نصوص الأئمة الأعلام، أشرنا إلى مراجعها وأرقام صفحاتها ومجلداتها ، لكي تسهل المراجعة إليها ، ومن الاعتداء الغريب أن إحسان إلهي ظهير يستهزء ويسخرها ويعزيها الى البريلوية بهذا النمط : "يقول البريلويون" ، "ويقول الآخر ناقلا عن أئمته" ، "ونقل عن الآخرين أمثاله" ، وأخيرا يقول مبرزا حقده على أئمة المسلمين : وهذه عقائد الخرافيين والبدعيين والمشركين(٣) فقد باح بكل قوة وجهر أن الامام الغزالى ، والامام إبن الحاج ، والامام السيوطي ، والعلامة ملا علي القاري، والعلامة إسماعيل الحقي والعلامة القسطلاني والعلامة السيد محمود الألوسي وغيرهم ممن قدمنا أسماءهم ونصوصهم كلهم بدعيون مشركون ، نعوذ بالله تعالى من هذه القساوة الموثمة

١- ابن الحاج ، الامام : المدخل (ط : بيروت) ٢٥٢/١

(ب) احمد بن محمد القسطلاني : المواهب اللدنية مع الزرقاني (ط : مصر ١٢٩٢هـ) ٣٤٨/٨

٢- اسمٰعيل الحقي ، العلامة : روح البيان ، ٩٩/١٠

٣- احسان الهي ظهير : البريلوية ، ص ١١٢

قائلها ، والحقيقة أن غير المقلدين اللامذهبيين يزعمون كل من عداهم من أهل البدعة والشرك ، وهذه جريمة كبرى أية جريمة .

ازاحة المغالطة

قد سبق فى اول هذا البحث أن نظرية الحاضر والناظر لا تتعلق بجسمه الأقدس الخاص ولا ببشريته ﷺ ، بل انما تتعلق بنورانيته وروحانيته ﷺ ؛ وإحسان إلهى ظهير لم يصل فهمه إلى هذه النكتة ، فاعترض بأن النبى ﷺ كان موجودا فى الحجرة الشريفة والصحابة ينتظرونه فى المسجد. وكان وجوده فى تبوك مع عدم وجوده فى المدينة وغير ذلك[1] .

وزعم أن هذه العقيدة مخالفة لآيات قرآنية ، منها قوله تعالى :

وما كنت بجانب الطور (القصص ٢٨/٤٥)

ولم يدر أن هذا كله باعتبار جسمه الخاص ﷺ، وإلا فروحانيته متجلية فى كل مكان .

قال العلامة السعد التفتازانى فى مبحث التكوين :

ينبغى للعاقل أن يتامل فى أمثال هذه المباحث ولا ينسب إلى الراسخين من علماء الأصول ما تكون إستحالته بديهية ظاهرة على من له أدنى تمييز بل يطلب لكلامه محملا يصلح محلا لنزاع العلماء وخلاف العقلاء[2]

قال العلامة الصاوى (م١٢٤١ھ) فى تفسير هذه الآية الكريمة :

١- احسان الهى ظهير　　البريلوية : ص ١١١

٢- مسعود بن عمر التفتازانى :　　شرح العقائد (ط : لكنئو) ص ٤٥

هذا بالنظر للعالم الجسمانى لاقامة الحجة على الخصم وأما بالنظر للعالم الروحانى فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم الى أن ظهر بجسمه الشريف ولكن لايخاطب به أهل العناد[1]

قال الامام احمد رضا الحنفى البريلوى :

هذه المسألة ثابتة بالقرآن والحديث الصحيح وأقوال العلماء ، ومن اعتقدها كفرا فليستخبر عن إسلام نفسه[2] ـ

محور الاختلاف

قد تعود الناس بالسلام على النبي ﷺ فى التشهد بصيغة الخطاب وينادون خارج الصلوة عند الشدائد فيقولون "يا رسول الله" على قصد التوسل بالنبي ﷺ فى حضرة الله تعالى ، فشدد عليهم النكير المولوى محمد اسماعيل الدهلوى فقال :

أما نداء احد عند المعضلة وإعتقاد كونه حاضرا وناظرا فى كل موضع وإثبات قدرة التصرف له فالشرك ثابت بكل هذه الأمور وإن ظنه أصغر من الله ومخلوقا له وعبده[3]

فقام علماء أهل السنة والجماعة برده وإبراز ما هو مقصد عامة المسلمين ، وأقاموا عليه الدلائل من القرآن والحديث وأقوال الأئمة من السلف الصالحين ـ ـ ـ ـ ـ جزاهم الله تعالى الجزاء الأوفى كما قد سبق بعضها ـ

١ـ احمد بن محمد الصاوى المالكى : الصاوى على الجلالين (مصر) ٣/٢٠٦

٢ـ احمد رضا البريلوى : الفتوى النادره (ط : لاهور) ص ١٦

٣ـ محمد اسماعيل الدهلوى : تقوية الايمان (ط : دهلى) ص ٨

قائمة المراجع

١ـ القرآن الكريم

٢ـ آب حيات : لمحمد قاسم النانوتوى ، ط : دهلى

٣ـ الابريز : للشيخ أحمد بن المبارك ، ط : مصر

٤ـ الآثار المرفوعة : للعلامة عبدالحى اللكنوى ، ط : لاهور

٥ـ إحياء علوم الدين : للامام محمد الغزالى ، ط : بيروت

٦ـ أدلة أهل السنة والجماعة : للسيد يوسف الرفاعى ، ط : الكويت

٧ـ الأذكار : للامام يحيى بن شرف النووى ، ط : مصر

٨ـ إرشاد السارى : للامام أحمد القسطلانى ، ط : بيروت

٩ـ الاستيعاب : للامام ابن عبدالبر النمرى ، ط : بيروت

١٠ـ الاسلام فى عصر العلم : للعلامة محمد فريد وجدى، ط : بيروت

١١ـ أشعة اللمعات : للشيخ عبدالحق الدهلوى ، ط : باكستان

١٢ـ أطيب النغم : للشاه ولى الله المحدث الدهلوى ، ط : دهلى

١٣ـ اقتضاءالصراط المستقيم : للعلامة ابن تيمية ،ط :لاهور

١٤ـ الامن والعلى : للامام أحمد رضا البريلوى ، ط :لاهور

١٥ـ الانتباه : للشاه ولى الله الدهلوى ، ط : فيصل آباد

١٦ـ أنفاس العارفين : للشاه ولى الله الدهلوى ، ط : ملتان

١٧ـ الأنوار فى مولدالنبي محمد : لأبي الحسن البكرى، ط : نجف أشرف

١٨ـ أنوار الانتباه : للشيخ أحمد رضا البريلوى ، ط : لاهور

١٩ـ البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ، ط : بيروت
٢٠ـ بركات الامداد : للشيخ أحمد رضا البريلوى ، ط : بريلى بالهند
٢١ـ البريلوية : لاحسان إلهي ظهير ، ط : لاهور
٢٢ـ براهين قاطعة : لخليل أحمد الأنبيتوى ، ط : ديوبند بالهند
٢٣ـ بستان المحدثين : للشاه عبدالعزيز الدهلوى ، ط : كراتشى
٢٤ـ البشرية والرسالة : لمحمد أنور الجيلانى ، ط : باكستان
٢٥ـ بغية الرائد : للنواب صديق حسن ، ط : كوجرانواله
٢٦ـ بهجة الاسرار : للشيخ أبي الحسن على اللخمى ، ط : مصر
٢٧ـ تاريخ الخميس : للعلامة حسين الديار بكرى ، ط : بيروت
٢٨ـ تاريخ دعوت وعزيمت : لأبي الحسن على الندوى ، ط : كراتشى
٢٩ـ تحفه اثنا عشرية : للشاه عبدالعزيز الدهلوى ، ط : لاهور
٣٠ـ تحفة الاحوذى : لمحمد عبدالرحمن ، ط : باكستان
٣١ـ تذكرة الأولياء : للشيخ فريدالدين العطار ، ط : لاهور
٣٢ـ تذكرة الرشيد : لمحمد عاشق إلهي الميرتى، ط : كراتشى
٣٣ـ التذكرة : للامام محمد القرطبي ، ط : المكتبة التوفيقية
٣٤ـ تحذير الناس : لمحمد قاسم النانوتوى ، ط : ديوبند
٣٥ـ تفسير ابي السعود : للامام محمد العمادى ، ط : بيروت
٣٦ـ تفسير البيضاوى : لعبدالله بن عمر البيضاوى ، ط هند
٣٧ـ تفسير الجلالين : للامام عبدالرحمن السيوطى ، ط : دهلى
٣٨ـ تفسير فتح العزيز : للشاه عبدالعزيز الدهلوى ، ط : دهلى
٣٩ـ تفسير فتح القدير : لمحمد بن على الشوكانى ، ط : بيروت
٤٠ـ التفسير الكبير : للامام محمد بن عمر الرازى ، ط : مصر

٤١ـ تفسير مظهري : للقاضي محمد ثناء الله الباني پتي ، ط : دهلي
٤٢ـ تفسير النسفي : للامام عبدالله بن أحمد النسفي ، ط : بيروت
٤٣ـ التفهيمات : للشاه ولى الله الدهلوى ، ط : باكستان
٤٤ـ تقوية الايمان : لمحمد إسماعيل الدهلوى ، ط : دهلي
٤٥ـ التلخيص على هامش المستدرك : للامام الذهبي ، ط : بيروت
٤٦ـ تنوير المقياس : للامام محمد الفيروزآبادى ، ط : مصر
٤٧ـ تيسير القاري : للعلامة نور الحق الدهلوى ، ط : لكنؤ
٤٨ـ الجامع لاحكام القرآن : للامام محمد القرطبي ، ط : بيروت
٤٩ـ جامع البيان : للامام محمد بن جرير الطبرى ، ط : مصر
٥٠ـ جامع الفصولين : للعلامة محمود بن اسرائيل ، ط : مصر
٥١ـ جلاء الافهام : للعلامة ابن القيم الجوزية ، ط : فيصل آباد
٥٢ـ جمع الوسائل : للامام على بن سلطان محمد القارى، ط : كراتشي
٥٣ـ جواهر البحار : للعلامة يوسف بن إسماعيل النبهانى ، ط : مصر
٥٤ـ جواهر خمسة : للشاه محمد غوث الكواليارى ، ط : كراتشي
٥٥ـ الجوهر المنظم : للعلامة أحمد بن حجر المكى ، ط : لاهور
٥٦ـ حاشية على تفسير الجلالين : العلامة أحمد الصاوى ، ط : مصر
٥٧ـ حاشية على ملا جلال : للعلامة السيد الزاهد الهروى، ط : لكنؤ
٥٨ـ حاشية الهمعات : لمحمد نور الحق العلوى ، ط : حيدر آباد
٥٩ـ الحاوى للفتاوى : للامام عبدالرحمن السيوطي ، ط : بيروت
٦٠ـ حدائق بخشش : للامام أحمد رضا البريلوى ، ط : لاهور
٦١ـ الحديقة الندية : للامام عبدالغنى النابلسى ، ط : فيصل آباد
٦٢ـ الحصن الحصين : للامام محمد بن محمد الجزرى ، ط : مصر

٦٣ـ حفظ الايمان : لمحمد اشرف علي التانوى ، ط : ديوبند
٦٤ـ حلية الأولياء : للامام احمد الأصبهاني ، ط : بيروت
٦٥ـ حياة أعلي حضرت : للعلامة محمد ظفرالدين ، ط : كراتشي
٦٦ـ حيات النبي : للعلامة أحمد سعيد الكاظمي ، ط : ساهيوال
٦٧ـ خالص الاعتقاد : للامام أحمد رضا البريلوى ، ط : لاهور
٦٨ـ الخصائص الصغرى : للامام السيوطي ، ط : لاهور
٦٩ـ الخصائص الكبرى : للامام السيوطي ، ط : مصر
٧٠ـ الدر المختار : للامام علاء الدين الحصكفي ، ط : دهلي
٧١ـ دستور العلماء : للقاضي عبدالنبي أحمد نكرى ، ط : بيروت
٧٢ـ دلائل النبوة : للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، ط : بيروت
٧٣ـ الدولة المكية : للامام أحمد رضا البريلوى ، ط : كراتشي

٧٤ـ الذخائر المحمدية : للعلامة محمد بن علوى المالكي، ط : قاهره
٧٥ـ رسائل ابن عابدين : للسيد محمد أمين الشامي ، ط : لاهور
٧٦ـ الرسالة القشيرية : للامام عبدالكريم القشيرى ، ط : مصر
٧٧ـ رسول الله في القرآن الكريم : لحسن كامل ملطاوى ، مصر
٧٨ـ روح البيان : للعلامة إسماعيل الحقي ، ط: بيروت
٧٩ـ روح المعاني : للسيد محمود الألوسي ، ط : بيروت
٨٠ـ الروض الانف : للعلامة عبدالرحمن السهيلي ، ط : ملتان
٨١ـ رماح حزب الرحيم : للعلامة عمر الفوتي ، ط : بيروت
٨٢ـ زاد المعاد : للعلامة ابن القيم الجوزية
٨٣ـ الزبدة العمدة : للامام على القارى ، ط : باكستان
٨٤ـ زرقاني علي المؤطا : للعلامة محمد بن عبدالباقي الزرقاني ، مصر

٨٥ـ سبل الهدى والرشاد : للعلامة محمد بن يوسف الشامي، ط مصر
٨٦ـ سر الاسرار : للامام السيد عبدالقادر الجيلي ، ط : لاهور
٨٧ـ السراج المنير : للعلامة أحمد عبدالجواد الدمشقي ، ط : دمشق
٨٨ـ السعاية : للعلامة محمد عبدالحي اللكنوى ، ط : لاهور
٨٩ـ السيرة الحلبية : للامام على الحلبي ، ط : بيروت
٩٠ـ السيرة النبوية : للامام عبدالملك بن هشام ، ط : ملتان
٩١ـ سيوف الله الأجلة : لمحمد عاشق الرحمن الاله آبادى، ط : هند
٩٢ـ سنن ابن ماجة : للامام محمد بن يزيد بن ماجة ، ط : كراتشي
٩٣ـ سنن الدارمى : للامام عبدالله الدارمى، ط : قاهره
٩٤ـ شرح جامى : للعلامة عبدالرحمن الجامى ، ط : لكنئو
٩٥ـ شرح الشفاء : للامام على بن سلطان محمد القارى ، ط : بيروت
٩٦ـ شرح الشمائل : للعلامة عبد الرؤف المناوى ، ط : كراتشي
٩٧ـ شرح العقائد : للعلامة مسعود بن عمر التفتازانى، ط : لكنئو الهند
٩٨ـ شرح على الفقه الأكبر : للعلامة على القارى، ط : مصر
٩٩ـ شرح مسلم : للامام يحيى بن شرف النووى ، ط : كراتشي
١٠٠ـ شرح مسند الامام الاعظم : للامام على القارى، ط: دهلى
١٠١ـ شرح المقاصد : للعلامة مسعود بن عمر التفتازانى ، ط : لاهور
١٠٢ـ شرح المواقف : للسيد على بن محمد الجرجانى، ط : إيران
١٠٣ـ شرح المواهب اللدنية : للعلامة محمد الزرقانى، ط : مصر
١٠٤ـ شرح نخبة الفكر : للعلامة أحمد بن حجر العسقلانى ، ط : ملتان
١٠٥ـ شرف النبي : للامام أبي سعيد عبد الملك ، ط : تهران
١٠٦ـ الشفاء : للامام القاضى عياض المالكى، ط : ملتان

١٠٧ـ شفاء السقام : للامام تقي الدين السبكي، ط : فيصل آباد

١٠٨ـ شمائم امدادية : للشيخ محمد امداد الله المهاجر المكي

١٠٩ـ شواهد الحق : للعلامة يوسف النبهاني، ط : مصر

١١٠ـ الصارم المسلول : للعلامة ابن تيمية ، ط : بيروت

١١١ـ الصحيح : للامام محمد بن إسماعيل البخاري، ط : دهلي

١١٢ـ الصحيح : للامام مسلم بن الحجاج القشيري، ط : كراتشي

١١٣ـ صراط مستقيم : لمحمد إسماعيل الدهلوي ، ط : لاهور

١١٤ـ ضمان التكميل : لمحمد أشرف علي التانوي ، ط : دهلي

١١٥ـ الصواعق المحرقة : للعلامة إبن حجر المكي، ط : مصر

١١٦ـ الطبقات : للامام إبن سعد ، ط : بيروت

١١٧ـ طريق الهجرتين : للعلامة ابن القيم الجوزية ، ط : قطر

١١٨ـ عرائس البيان : للعلامة روز بهان، ط: لكنؤ

١١٩ـ عرف الشذي : لمحمد أنور شاه الكشميري ، ط : ديوبند

١٢٠ـ عصيدة الشهدة : للعلامة عمر الخربوطي ، ط : كراتشي

١٢١ـ عمدة القاري: للعلامة محمود بن أحمد العيني، ط : بيروت

١٢٢ـ عناية القاضي: للامام أحمد الخفاجي، ط : بيروت

١٢٣ـ غاية المأمول : للسيد أحمد البرزنجي ، ط : لاهور

١٢٤ـ غرائب القرآن : للامام نظام الدين حسن ، ط : مصر

١٢٥ـ الفتاوى الحديثية : للامام أحمد بن حجر المكي ، ط : مصر

١٢٦ـ الفتاوى الخيرية : للعلامة خير الدين الرملي ، ط : قندهار

١٢٧ـ فتاوى رشيديه : لرشيد أحمد الجنجوهي ، ط : كراتشي

١٢٨ـ الفتاوى الرضوية (المجلد الثاني) للشيخ أحمد رضا البريلوي ، ط : هند

١٢٩- الفتاوى الرضوية (المجلد الرابع) :
للشيخ أحمد رضا البريلوى ، ط : مباركفور بالهند
١٣٠- الفتاوى الرضويه (المجلد السادس) :
للشيخ أحمد رضا البريلوى.، ط : مباركفور بالهند
١٣١- الفتوحات الأحمدية : للعلامة سليمان الجمل ، ط : مصر
١٣٢- فتوح الشام : لمحمد بن عمر الواقدي ، ط : مصر
١٣٣- فتوح الغيب : للامام عبدالقادر الجيلي، ط : مصر
١٣٤- الفتوي النادرة : للشيخ أحمد رضا البريلوى ، ط : لاهور
١٣٥- فتح الباري : للامام أحمد بن حجر العسقلاني ، ط : بيروت
١٣٦- فردوس الاخبار : لحافظ شيرويه الديلمي ، ط : بيروت
١٣٧- فقه السيرة : للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ط : بيروت
١٣٨- فيض الباري : لمحمد أنور شاه الكشميري ، ط : قاهره
١٣٩- فيض القدير : للامام محمد عبد الرؤف المناوي ، ط : مصر
١٤٠- فيوض الحرمين : للشاه ولى الله الدهلوى ، ط : كراتشي
١٤١- القصائد القاسمية : لمحمد قاسم النانوتوى ، ط : ملتان
١٤٢- القصيدة النعمانية : للامام أبي حنيفة ، ط : فيصل آباد
١٤٣- قلائد الجواهر : للعلامة محمد بن يحيي التاذفي، ط : مصر
١٤٤- القول الجميل : للشاه ولى الله الدهلوى ، ط : كراتشي
١٤٥- الكامل : للامام إبن الاثير ، ط : بيروت
١٤٦- كتاب التاريخ الكبير : للامام محمد البخاري ، ط : بيروت
١٤٧- كتاب الجرح والتعديل : للامام عبدالرحمن ، ط : بيروت
١٤٨- كتاب الروح : للعلامة ابن القيم الجوزية ، ط : دكن بالهند

١٤٩ـ كتاب المنقذ من الضلال : للامام محمد الغزالى ، ط : تركيا
١٥٠ـ الكشاف : لمحمد بن عمر جار الله الزمخشري ، ط : تهران
١٥١ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس ، ط : بيروت
١٥٢ـ كليات إقبال ، ط : لاهور
١٥٣ـ كنزالعمال : للامام على المتقى البرهانفورى ، ط : حلب
١٥٤ـ لباب التأويل : للامام على بن محمد البغدادى، ط : مصر
١٥٥ـ مجمع بحار الأنوار : للعلامة محمد طاهر الفتنى، ط : لكنؤ
١٥٦ـ مجموعة الرسائل: للشيخ أحمد رضا البريلوى ، ط: لاهور
١٥٧ـ المجموعة النبهانية : للعلامة يوسف النبهانى ، ط : بيروت
١٥٨ـ مختصر الدسوقى على المختصر : لعلى الاقشهرى، ط : إيران
١٥٩ـ مختصر سيرة الرسول : لعبدالله بن محمد ، ط : لاهور

١٦٠ـ مدارج النبوة : للشيخ عبدالحق الدهلوى ، ط : سكهر
١٦١ـ المدخل : للامام ابن الحاج ، ط : بيروت
١٦٢ـ مرصاد العباد : للعلامة نجم الذين الرازى : ط : إيران
١٦٣ـ مرقاة المفاتيح : للامام على القارى ، ط : ملتان
١٦٤ـ المستدرك : للامام حاكم النيشابوري ، ط : بيروت
١٦٥ـ مسك الختام : للنواب صديق حسن ، ط : كانبور بالهند
١٦٦ـ مسند الامام أحمد بن حنبل ، ط : بيروت
١٦٧ـ مشارق الانوار : للعلامة حسن العدوى ، ط : مصر
١٦٨ـ مشكوة المصابيح: للامام محمد بن عبدالله ، ط : كراتشى
١٦٩ـ مصنف عبدالرزاق : للامام عبدالرزاق ، ط : بيروت
١٧٠ـ المصنف : للحافظ ابن أبي شيبة ، ط : كراتشى

١٧١- مطالع المسرات : للعلامة محمد مهدى الفاسى ، ط : مصر
١٧٢- المطول : للعلامة مسعود بن عمر التفتازانى ، ط : دهلى
١٧٣- معالم التنزيل : لحسين الفراء البغوى ، ط : مصر
١٧٤- مفاهيم يجب أن تصحح : للعلامة محمد بن علوى المالكى، دوبئى
١٧٥- المفردات : للامام حسين بن محمد الاصفهانى ، ط : كراتشى
١٧٦- مقالات يوم رضا : للشيخ عبد النبي كوكب ، ط : لاهور
١٧٧- مكتوبات : للامام الربانى الشيخ أحمد السرهندى ، ط : تركيا
١٧٨- المكتوبات : للشيخ عبدالحق المحدث الدهلوى ، ط : سكهر
١٧٩- المواهب اللدنية : شهاب الدين أحمد القسطلانى ، ط : مصر
١٨٠- موسوعة أطراف الحديث: لمحمد سعيد زغلول ، ط : بيروت
١٨١- الموضوعات الكبير : للامام على القارى، ط : دهلى
١٨٢- المؤطا : للامام محمد بن حسن الشيبانى ، ط: كراتشى
١٨٣- مولد العروس : للعلامة إبن الجوزى ، ط : بيروت
١٨٤- المولد الروى فى المولد النبوى ، للامام على القارى
١٨٥- المهند : لخليل أحمد الانبيتوى ، ط : ديوبند
١٨٦- النبراس : للعلامة عبدالعزيز البرهاروى ، ط : بنديال باكستان
١٨٧- نسيم الرياض : للعلامة أحمد الخفاجى ، ط : بيروت
١٨٨- نشر الطيب : لاشرف على التانوى ، ط : لاهور
١٨٩- النعمة الكبرى على العالم : للعلامة أحمدالمكى ، ط : مصر
١٩٠- نيل الاوطار : للقاضي محمد بن على الشوكانى ؛ ط : مصر
١٩١- وجاؤا يركضون : لأبي بكر جابر الجزائرى
١٩٢- وفاء الوفاء : للعلامة على بن أحمد السمهودى ، ط : بيروت

١٩٣ـ الوفاء : للامام عبدالرحمن بن الجوزى ، ط : باكستان
١٩٤ـ يك روزه : لمحمد إسماعيل الدهلوى ، ط : ملتان
١٩٥ـ اليواقيت والجواهر: للعلامة عبدالوهاب الشعرانى ، ط: مصر
١٩٦ـ هداية الحيارى : للعلامة محمد بن القيم الجوزية
١٩٧ـ هدية المهدى : للنواب وحيد الزمان ، ط : سيالكوث
١٩٨ـ همعات : للشاه ولى الله الدهلوى ، ط : باكستان

الدوريات

١٩٩ـ الرابطة (مكة المكرمة) عدد جمادى الاولى ١٤٠٩هـ
٢٠٠ـ الاعتصام لاهور (مجلة اسبوعية) عدد ١٣ـ مارس ١٩٩٠م
٢٠١ـ الاعتصام لاهور (مجلة اسبوعية) ٢٣ـ مارس ١٩٩٠م
٢٠٢ـ لواء الاسلام (مجلة شهرية) : غرة ربيع الاخر ١٣٨٦هـ
٢٠٣ـ المدينة (جده) عدد ٦ـ صفر ١٤٠٢هـ
٢٠٤ـ نوائے وقت (لاهور) ٢ـ ديسمبر ١٩٩٣م

★ ★ ★

الفهرس الموجز

محتويات الكتاب "من عقائد أهل السنة"

(١) الحياة الخالدة

(٢) المعجزة وكرامات الأولياء

(٣) حول مبحث التوسل

(ه) مدينة العلم (ﷺ)

(٦) سيدنا محمد ﷺ نور الحق وأول الخلق (ولم يكن له ﷺ ظل)

★ ★ ★


بسم الله الرحمن الرحيم
الله
نور السموات والارض